الجامعـــة الإســـلامية – غـــزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــة أصـــول الـــدين
قســم التفسـير وعلــوم القــرآن

المنهج القرآني في تزكية الأنفس

"دراسة موضوعية من خلال القصص القرآني "

إعداد الطالب
محمود إبراهيم محمود نور

إشراف
الدكتور/ جمال محمود الهوبي

قُدّم هذا البحث استكمالًا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٣هـ -٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى:١٤]

الإهداء

أهدي هذه الرسالة:

- إلى والديّ الغاليين على قلبي؛ الذين أولياني اهتمامًا كبيرًا، وشجّعاني على مواصلة الدراسة.

- إلى إخوتي وأخواتي الأعزّاء؛ الذين كانوا لا يألون جهدًا في توفير كل ما من شأنه أن يساعدني في إتمام هذه الرسالة.

- إلى زوجتي الغالية التي صبرت على انشغالي.

- إلى أبنائي وبناتي الذين صبروا وكابدوا مرارة الطريق.

- إلى صديق عمري ورفيق رحلتي العلميّة ماجد رجب سكّر حفظه الله ورعاه، حيث كان نعم الصاحب ونعم الرفيق.

- إلى أرواح الشهداء الأكرم منّا جميعًا.

- إلى كلِّ الأسرى الذين صبروا على قيد السّجّان.

- وإلى العلماء والدعاة وطلاب العلم في كلّ زمان ومكان.

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، وأثني عليه الخير كله أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث، وأصلّي وأسلّم على معلّمي وقدوتي محمد ﷺ.

وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿... وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقوله ﷺ (لا يشكر الله من لا يشكر النّاس)[١]، لذلك فإنّني أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير **للدكتور جمال محمود الهوبي–حفظه الله–**، الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة؛ حيث إنّه لم يَألُ جهدًا في متابعتي وتقديم النّصائح الغالية لي، فكان نعم المشرف والموجّه، وكان يحثّني باستمرار على الكتابة لإنجاز هذا البحث، وقد منحني من وقته الكثير على الرغم من انشغالاته الكثيرة، فجزاه الله عنّي خر الجزاء وأحسنه.

كما أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين، وعضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ زكريّا إبراهيم الزميلي حفظه الله ورعاه.

وفضيلة الشيخ الدكتور/ عبدالله علي الملّاحي حفظه الله ورعاه.

اللذين تفضّلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وأشكرهما على ما سيقدّماه لي من نصائح، وملاحظات أنتفع بها، سائلًا العليَّ القديرَ أن ينفع بعلمهما.

وأتقدّم كذلك بالشكر لكليّة أصول الدين ممثّلة بعميدها **فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد حسن بخيت حفظه الله ورعاه، ومحاضريها وإدارييها الكرام.**

وأشكر الدراسات العليا لما قدمته من خدمات وتسهيلات.

كما لا يفوتني أن أدعو لوالديَّ بالمغفرة والدرجات العلا لما بذلاه في تربيتي وحسن توجيهي، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتقدّم بالشكر والامتنان لكل من ساهم في مساعدتي في هذا البحث ولو بإسداء رأي أو توجيه أو تصحيح، وخاصّة صديقي الغالي ماجد رجب سكر حفظه الله ورعاه.

الباحث

---

[١] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف، ج٤، ص٢٧٤، ح٤٨١١، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير، ج٢، ص١٢٧٦، ح٧٧١٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدّى الأمانة وبلغ الرسالة، وجاهد في الله حق جهاده، صلوات ربى وسلامه عليه وعلى أله وأصحابه وأزواجه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد:

فإن القرآن الكريم أشرف كتاب، وأشرف كلام على هذه البسيطة، لذا عكف العلماء على خدمته ببيان علومه وتفسيره.

وكل ما يتعلق بكتاب الله يعد من أجلِّ العلوم، وأشرفها قدرا، وأعلاها منزلة، وأسماها مكانة؛ لأنّه معجزة الله الخالدة الباقية إلى يوم القيامة، فالإنسان حينما يتأمل ويتدبّر القران الكريم يجد فيه علاجا لجميع مشكلات هذا العصر، بل كل العصور، ويجد فيه مناهج عديدة للارتقاء بالنفوس وتزكيتها.

وتزكية النفوس ركن ركين من أركان البعثة النبوية التي أرساها رسول الله ﷺ قولًا وفعلًا ودعوة، وهى منهج جميع الأنبياء، كما أنّها أصل الانطلاقة الكبرى المنتظرة لاستئناف حياة إسلامية على منهاج النبوة.

وقد بُعِث الأنبياء والرسل ليذكِّروا النّاس بآيات الله، ويزكّوا أنفسهم ممّا علق بها من أدران، ومصداق ذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام لذريته: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، وقد جاءت الاستجابة لهذه الدعوة، والمنّة على هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١] .

ولمّا كان على عاتق الدعوة النهوض بالأمّة والارتقاء بالأجيال الصاعدة، كان لزاما علينا تزكية النفوس والارتقاء بها؛ لذا ومن هذا المنطلق اخترت الكتابة في هذا الموضوع المهم "المنهج القرآني في تزكية الأنفس من خلال القصص القرآني".

وفي الختام أسال الله ﷻ أن يتقبل منى عملي هذا، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم.

أولًا: أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الموضوع من خلال اعتبارات كثيرة: منها:

١-تعلُّق موضوع هذه الدراسة بأشرف كتاب على هذه البسيطة، ألا وهو القرآن الكريم، ومنهجه في تزكية الأنفس من خلال القصص القرآني.

٢-تزكية الأنفس هي الأساس المتين، والركن الركين الذي يبدأ به التغيير، وهي حجر الأساس في بناء الإنسان المسلم والأمة الإسلامية.

٣-تبرز أهمية الموضوع في كونه يبحث في منهج الأنبياء، وطريقتهم في التزكية والارتقاء، وذلك من خلال القرآن الكريم.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب لاختيار الموضوع منها:

١-خدمة كتاب الله ﷻ من خلال إبراز هذه الدراسة التفسيرية .

٢- الرغبة في دراسة هذا الموضوع دراسة تخصّصية مستقلة ومحكَّمة علميًا.

٣- ما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة للأمة الإسلامية.

٤-تشجيع مشرفي في قسم التفسير وعلوم القران الكريم على طرق هذا الموضوع والبحث فيه.

٥- إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية ليفيد منها طلاب العلم

ثالثًا: أهداف الدراسة والغاية منها:

لهذه الدراسة أهداف كثيرة وغايات متعددة، منها:

١- ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة؛ وذلك من خلال خدمة كتابه الكريم.

٢- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكّمة تتناول موضوعا جديدا في علم التفسير.

٣- فتح أفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي سيخرج بها الباحث في الخاتمة إن شاء الله ﷻ.

٤- تسليط الضوء على أهمية هذا الموضوع، وزيادة الاهتمام من قبل الدعاة للارتقاء بالشباب المسلم.

٥- بيان أهمية تزكية الأنفس وعلاقتها ببناء الأمة الإسلامية.

رابعا: الدراسات السابقة:

* لم اعثر على دراسة علمية محكّمة لهذا الموضوع في قاعدة بيانات الجامعة الإسلامية.

* بعد مراسلة معهد الملك فيصل للبحوث تبين أنّه لم يُكتب في هذا الموضوع.

لكن هناك بعض الكتب تناولت مثل هذا الموضوع مثل:

١) المستخلص في تزكية الأنفس لسعيد حوي.

٢) منهج الأنبياء في تزكية النفوس لسليم بن عيد الهلالي.

٣) منهج الإسلام في تزكية الأنفس لأنس كرزون.

وقد تميّز هذا البحث عمّا سبقه من أبحاث بأنّه تحدّث عن منهج الأنبياء في تزكية الأنفس باعتبارهم القدوة والمثل الأعلى للبشريّة.

خامسا: منهج الباحث:

اتبعت منهج التفسير الموضوعي، وقد التزمت بما يلي:

١- الرجوع إلى المصادر الأصلية في علم التفسير وعلوم القرآن الكريم قديما وحديثا .

٢- عَزْو الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية بالرسم العثماني مشكَّلة برواية حفص عن عاصم الكوفي.

٣- تقسيم الآيات وتوزيعها على الفصول والمباحث.

٤- ربط الآيات بالواقع.

٥-الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث، وعزوها إلى مظانِّها، وذلك حسب ضوابط التخريج وأصوله، ونقل حكم العلماء على الأحاديث التي في غير الصحيحين ما أمكن ذلك.

٦-- توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في الحاشية.

٧- الترجمة للأعلام المغمورين في متن الرسالة.

٨- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.

٩- إثبات المراجع في الحاشية، مبتدئا بذكر اسم المرجع والمؤلف والمحقّق إن وُجِد، ثم الجزء والصفحة، وذكر البيانات التفصيلية في فهرس المراجع.

١٠- ترتيب المصادر والمراجع في مجموعات حسب الأحرف الهجائية.

١١- التّعليق والموازنة بين الآراء والترجيح ما أمكن.

١٢- إعداد فهارس علمية، وهى:

* فهرس الآيات القرآنية.

* فهرس الأحاديث النبوية.

* فهرس الأعلام المترجم لهم.

* فهرس المصادر والمراجع.

* فهرس الموضوعات.

سادسا: خطة الدراسة:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

المقدمة وقد اشتملت على:

١- أهمية الموضوع .

٢- أسباب اختيار الموضوع.

٣- أهداف الدراسة والغاية منها .

٤- الدراسات السابقة.

٥- منهج الباحث.

٦- خطة الدراسة.

الفصل التمهيدي

مفهوم تزكية الأنفس وعلاقتها بتقوى الله تعالى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تزكية الأنفس، تعريفها، ماهيتها، أهميتها.

المطلب الأول: تعريف تزكية الأنفس.

المطلب الثاني: ماهية تزكية الأنفس.

المطلب الثالث: أهمية تزكية الأنفس.

المبحث الثاني: الأنفس وعلاقة تزكيتها بالتقوى.

المطلب الأول: صفات الأنفس.

المطلب الثاني: التقوى لغة واصطلاحا.

المطلب الثالث: إضافات التقوى في القران الكريم.

المطلب الرابع: علاقة تزكية الأنفس بالتقوى.

الفصل الأول

وسائل تزكية الأنفس وأركانها وثمارها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وسائل تزكية الأنفس.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوسائل العامة لتزكية الأنفس.

أولا: التوحيد.

ثانيا: الصلاة والزكاة والإنفاق.

ثالثا: الحج والنسك.

رابعا: الجهاد في سبيل الله.

خامسا: الوضوء والغسل والتيمم.

سادسا: اعتزال النساء في المحيض.

المطلب الثاني: الوسائل الخاصة لتزكية الأنفس.

أولا: تلاوة القران والذكر.

ثانيا: الصدق والعدل.

ثالثا: المراقبة والمحاسبة والمجاهدة.

رابعا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
خامسا: الحذر من حبائل الشيطان ومكائده.
سادسا: معالجة أمراض القلوب.

المبحث الثاني: أركان تزكية الأنفس وثمراتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أركان تزكية الأنفس.

أولا: الإخلاص لله تعالى.
ثانيا: الاتباع.
ثالثا: العلم.
رابعا: الرضا بالله والرضا عن الله.

المطلب الثاني: ثمرات تزكية الأنفس.

أولا: الرقابة على الأقوال والأفعال.
ثانيا: الارتقاء بالحقوق والمعاملات.
ثالثا: غفران الذنوب ورضا الله.
رابعا: النجاة من النار ودخول الجنة.

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية في تزكية الأنفس في القصص عند الأنبياء عليهم السلام .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج أولى العزم من الرسل.

المطلب الأول: منهج نوح عليه السلام في تزكية الأنفس.
المطلب الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في تزكية الأنفس.
المطلب الثالث: منهج موسى عليه السلام في تزكية الأنفس.
المطلب الرابع: منهج عيسى عليه السلام في تزكية الأنفس.
المطلب الخامس: منهج محمد عليه السلام في تزكية الأنفس.

المبحث الثاني: منهج أنبياء آخرين.

المطلب الأول: منهج هود عليه السلام في تزكية النفوس.
المطلب الثاني: منهج صالح عليه السلام في تزكية النفوس.
المطلب الثالث: منهج لوط عليه السلام في تزكية النفوس.

المطلب الرابع: منهج شعيب عليه السلام في تزكية النفوس.
المطلب الخامس: منهج سليمان عليه السلام في تزكية النفوس.
المطلب السادس: منهج يوسف عليه السلام في تزكية النفوس.

الفصل الثالث
معوقات تزكية الأنفس

المطلب الأول: الانتصار للنفس.
المطلب الثاني: عدم الانصياع للحق.
المطلب الثالث: الكبر والغرور.
المطلب الرابع: العادات والتقاليد السلبية.
المطلب الخامس: المكابرة والجدل العقيم.
المطلب السادس: هوى النفس.
المطلب السابع: حب الدنيا.
المطلب الثامن: تزيين الشيطان.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي سيتوصل إليها الباحث من خلال دراسته الموضوعية.

الفهارس: وتشتمل على:
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث القرآنية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي:

مفهوم تزكية الأنفس وعلاقتها بتقوى اللّه تعالى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تزكية الأنفس، تعريفها، ماهيتها، أهميتها.

المبحث الثاني: الأنفس وعلاقة تزكيتها بالتقوى.

المبحث الأول:

تزكية الأنفس، تعريفها، ماهيّتها، أهمّيتها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف تزكية الأنفس.

المطلب الثاني: ماهية تزكية الأنفس.

المطلب الثالث: أهمية تزكية الأنفس.

المبحث الأول: تزكية الأنفس، تعريفها، ماهيتها، أهمّيتها

المطلب الأول: تعريف تزكية الأنفس:

أولًا: التزكية لغة:

قال ابن فارس[١] في معناها: "الزَّاء وَالْكَاف وَالْحَرْف الْمُعْتَل أَصْل يَدُلُّ عَلَى نَمَاء وَزِيَادة. وَيُقَال: الطَّهَارة زكَاة الْمَال. قَال بَعْضُهم: سُمِّيَتْ بذلك لأنّها ممّا يُرْجَى به زكاء الْمَال، وهو زِيَادَته ونَمَاؤه، وقال بعضهم: سُمِّيَت زكَاة لأنها طَهَارة. قَالوا: وَحُجَّة ذلك قوله جَلّ ثَنَاؤُه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾[التوبة:١٠٣]، وَالْأَصْل فِي ذَلِك كُلِّه رَاجِعٌ إِلَى هَذَيْن الْمَعْنَيَيْن، وَهُمَا النَّمَاء وَالطَّهَارَة، ومن النَّمَاء: زَرْعٌ زَاكٍ، بَيِّن الزَّكَاء. وَيُقَال هو أمر لَا يَزْكو بِفُلَان، أَيْ لَا يَلِيقُ بِه. وَالزَّكَا: الزَّوْج، وهو الشَّفْعُ"[٢].

وقال ابن منظور[٣]:"الزكاة: الصلاح، وزكّى الرجل نفسَه إِذا وَصَفَها وأَثنى عَلَيْهَا "[٤].

وقال مرتضى الزّبيدي[٥] "وَيُقَال: تزكيةُ النفسِ ضَرْبَان: فعْلِيَّة، وَهِي محمودة شرعا، كَقَوْلِه تَعَالَى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩] بِأَن يحملهَا على الاتصاف بكامل الْأَوْصَاف.

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة يحاجج بها الفقهاء، توفي سنة ٣٩٠ه بالري. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ج١، ص١١٨، ط١٩٠٠، دار صادر-بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج٣، ص١٨١٧، دار الفكر، ١٣٩٩ه-١٩٧٩.

(٣) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، ولد عام ٦٣٠ه، صاحب لسان العرب الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر وقيل: في طرابلس الغرب، ولي القضاء في طرابلس، ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، عمي في آخر عمره، تُوفّي عام ٧١١ه. انظر الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ج٧، ص١١٨، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ج١٤، ص٣٥٨، ط٣، ١٤١٤ هـ، دار صادر – بيروت.

(٥) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب المرتضي. علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، له تاج العروس في شرح القاموس مطبوع مشهور في عشرة مجلدات، اعتنى فيه بضبط الأعلام والأنساب خاصة للمتأخرين، وله العديد من المؤلّفات الأخرى، تُوفّي سنة ١٢٠٥ هـ. انظر: طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ص١٨١، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار الرشد، الرياض.

وقوْلِيَّة، وهي مذمومة، كَقَوله تعالى: ﴿...فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[النَّجم:٣٢]، أَي: بثنائكم عَلَيْهَا وافتخارِكم بأفعالكم"(١).

وجاء في تهذيب اللغة "كُلّ شيءٍ يَزْدَاد ويسمَن فَهُو يَزْكُو زَكاء"(٢).

ويرى الرّاغب(٣) أنّ النّموّ فيها ناتج من بركة الله تعالى فيقول: "أصل الزّكاة: النّموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدّنيوية والأخرويّة. يُقال: زكا الزّرع يزكو إذا حصل منه نموّ وبركة"(٤).

وخلاصة القول أن التزكية لغة كما يراها الباحث تنحصر في الطهارة والنماء والزيادة والبركة.

ثانيًا: الزكاة اصطلاحا:

قال الأصفهاني: "هُوَ اسْمٌ لأخذ شئ مَخْصُوص مِنْ مَالٍ مَخْصُوص عَلَى أَوْصَافٍ مَخْصُوصَة لِطَائِفَة مَخْصُوصَة"(٥).

وقال النووي(٦): "عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص"(٧).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ج١، ص٩١، دار الهداية.

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج١٠، ص١٧٥، ط١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل أصبهان، سكن بغداد، اشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، والأخلاق، والمفردات في غريب القرآن. توفّي عام ٥٠٢ه. انظر: الأعلام، للزركلي، ج٢، ص٢٥٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص٣٨٠، ط١، دار القلم، الدار الشامية–دمشق بيروت.

(٥) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ج٥، ص٣٢٥، دار الفكر.

(٦) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، منهاج الطالبين، الدقائق، تصحيح التنبيه، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأربعون حديثا النووية. توفّي سنة ٦٧٦ه–١٢٧٧م. انظر: الأعلام، للزّركلي، ج٨، ص١٤٩.

(٧) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص١١٤، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

قال الماوردي(١): "الصّدقة زكاة، والزّكاة صدقة، يفترق الاسم ويتّفق المسمّى"(٢).

يتضح من خلال استعراض هذه المادة إلى أنها عامة في زكاة الأموال والأبدان، وزكاة النّفس وطهارتها إشارة إلى ما يكون حلالًا لا يُسْتوضَح عقباه، ومنه الزّكاة لما يخرجه الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيه من رجاء البركة، أو لتزكية النّفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا؛ فإنّ الخَيْريْن موجودان فيها. وقد قرن الله ﷻ الزّكاة بالصّلاة في القرآن تعظيما لشأنها.

وبزكاء النّفس وطهارتها يصير الإنسان زاكيا بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرّى الإنسان ما فيه تطهيره.

والزكاة من الأسماء المشتركة بين المُخْرَج والفعل، فتطلق على العين، وهي المال الذي دُفِعَ للزكاة، وعلى المعنى وهو التزكية(٣).

والتدسية ضد التزكية، قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[الشمس:٩-١٠]، وأصل التدسية: الإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ ...أم يدسّهُ في التّراب... ﴾[النّحل:٥٩]، فالعاصي يدسّ نفسه في المعصية ويحقرها(٤).

قال الزّجاج: "﴿ دَسَّاهَا ﴾ جعلها ذليلة حقيرة خسيسة"(٥).

وقال ابن قتيبة: "أي أخفاها بالفجور والمعصية"(٦).

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، وسُمّي بالماوردي نسبة إلى بيع الماورد، وله من التصانيف تفسير القرآن الكريم، والنكت والعيون، وأدب الدين والدنيا، وصنف في أصول الفقه والأدب وانتفع الناس به. وتوفي يوم الثلاثاء ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، ج٣، ص٢٨٤.

(٢)الأحكام السلطانية، أبو الحسين علي البصري، الشهير بالماوردي، ص١٧٩، دار الحديث القاهرة.

(٣) انظر: لسان العرب، ج١٤، ص٣٥٨.

(٤) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ص٧٨، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار المعرفة-المغرب.

(٥) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج١٠، ص٦٢٩، ١٤١٦ه-١٩٩٥م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

(٦) مجموع الفتاوى، ج١٠، ص٦٢٩.

وأصل الزكاة: الزيادة في الخير، ولن ينموَ الخير إلّا بترك الشّر، كما أنّ الزّرع لا ينمو حتّى يُزَالَ عنه الدّغل(١)(٢).

وقد وردت هذه اللفظة في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم(٣)، وقد قمت بتلخيصها في النّقاط الأربع الآتية:

١-نسبت التزكية إلى الله ﷻ بمعنى:

أ- الهداية والتّوفيق في الدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿بَل اللهّ يزَكّي من يَشاء﴾[النساء:٤٩].

ب- التّطهير للمؤمنين من دنس الذنوب في الآخرة، ومنه قوله تعالى عن الكفّار: ﴿...وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٧٤].

٢-نُسِبت التزكية إلى الرسول ﷺ لأنّه المُرَبّي والمزكّي لأمّته، والمرشد إلى طريق الخير، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾[البقرة:١٥١]، وقال في موضع آخر: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

٣-ونسبت التزكية إلى العبد لأنّه:

أ-يزكّي نفسه بالإيمان والمجاهدة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَد أَفْلح من زكّاها﴾ [الشمس:٩].

ب-يزكّي أمواله بدفع الزّكاة التي هي حق الفقير، ومنه قوله تعالى:﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزّكاة...**﴾ [البقرة:٤٣].

ج-يزكّي طعامه بالبحث عن الحلال الطّيب، ومنه قوله تعالى: ﴿**...فلينظر أَيّهَا أزكى طَعامًا...**﴾[الكهف:١٩].

(١) الدّغَل: الدَّغَلُ: دَخَلٌ في الأمْرِ مُفْسِدٌ. وأدْغَلْتُ في هذا الأمر: أي أدْخَلْتَ فيه ما يُخالِفُه. انظر: المحيط في اللغة، الصاحب بن عبّاد، ج١، ص٢٠٣.

(٢) مجموع الفتاوى، ج١٠، ص٦٢٩.

(٣) ذكر (الفيروز أبادي) في كتابه (بصائر ذوي التمييز)، ج٣، ص١٣٢-١٣٥ ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي فيها الحديث عن التزكية والمعاني المقصودة بها، وقسّمها إلى أربعة عشر وجهًا لكنّها جميعًا ترجع إلى المعاني الأربعة التي ذكرتها.

٤-وردت التزكية في القرآن الكريم في معرض الحديث عن دعوى التّزكية، بأن يمدح الإنسان نفسه تفاخرًا أو تظاهرًا بالصّلاح والتّقوى، وهو شيء مذموم ومنهيّ عنه، قال تعالى:﴿ أَلَمْ ترَ إلى الذين يزكّون أنفسهم بل الله يزكّي من يشاء...﴾[النّساء:٤٩].

والمقصود من التّزكية في بحثنا هذا هو المعنى الثّالث من المعاني التي ذُكِرَتْ.

وقد تحدث صاحب كتاب إعانة المستفيد عن التزكية كلامًا جميلًا هذا نصّه."ويجب على الإنسان أن لا يزكِّي نفسه أبداً، يقول الله ﷻ: ﴿...فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النَّجم:٣٢]، فالإنسان لا يزكِّي نفسه، بمعنى: يمدح نفسه ويُعجب بنفسه، ويظنّ أنه كامل، وأنّه من الأخيار، بل دائماً يتّهم نفسَه بالتقصير في حقّ الله تعالى.

أمّا التزكية التي أثنى الله ﷻ على أصحابها في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩]، فالمراد بها تطهيرُها بالأعمال الصالحة وترك الأعمال السيّئة، فهناك تزكيةٌ منهيٌّ عنها وهي: الإعجاب والمدح للنفس، وهناك تزكية مأمورٌ بها وهي الإصلاح والتوبة والعمل الصالح: قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩] "(١).

الخلاصة:

من خلال ما سبق يُمكن للباحث أنْ يعرّف التّزكية بأنّها: تطهير النّفس من نزعات الشّر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها ممّا يؤدّي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان.

ثالثًا: الأنفس لغة:

قال ابن فارس: "(نَفَس) النُّون وَالْفَاء وَالسِّين أَصْل واحِد يَدُلُّ عَلَى خُرُوج النَّسيم كَيْف كَان، من رِيح أو غَيْرها، وإليه يَرْجِع فُرُوعه، منه التَّنَفُّس: خُروج النَّسيم مِن الجوف. وَنَفَّس اللَّه كُرْبَته، وذلك أَنَّ فِي خرُوج النَّسيم رَوْحًا وَرَاحة. وَالنَّفَس: كُلُّ شَيْء يُفَرَّج به عن مَكْرُوب. وَالنَّفْس: الدَّم، وَهُوَ صَحِيح، وَذَلِك أَنَّه إِذَا فُقِدَ الدَّم مِنْ بدن الْإِنْسَان فَقَدَ نَفْسَه. وَالْحَائِض تُسَمَّى النُّفَسَاء لِخرُوج دَمِهَا. وَشَيء نَفِيس، أَيْ ذُو نَفْس وَخَطَر يُتَنَافَس به. وَالتَّنَافس: أَنْ يُبْرِز كُلُّ وَاحِد من الْمُتَبَارِزَيْن قُوَّة نَفْسِه" (٢).

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ج٢، ص٢٤٦، ط٣، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤٦٠.

"وأصابت فلَانا نَفْس، أَي عَين. والنَّفْس: المَاء، سُمّي نَفْساً لِأَنّ بِه قِوام النَّفْس، وَيُقَال: ادْفَع إليّ الشيءَ نَفْسَه، أَي عينه. وَرجل نَفوس، إِذا كَانَ يُصِيب النَّاس بِالْعين"(١).

"ويُقال أنت في نَفَس من أمرك، أي: في سَعَة وعافية"(٢).

يخلص الباحث إلى أنّ لفظ: النّفس في اللغة يطلق ويراد به معان عديدة: منها النفس بمعنى الروح، والنفس بمعنى جملة الشيء وحقيقته، والنفس: العين كما في قولهم أصابت فلانا نفس، والنفس والروح واحد، وقيل: بل هما متغايران إذ النفس مناط العقل، والروح مناط الحياة، وكذلك تأتي بمعنى الدم، لأن الانسان إذا فقد دمه فقد نفسه.

رابعًا: النفس اصطلاحا:

النفس في اصطلاح علماء الأخلاق هي كما يقول الجرجاني: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة، والحس والحركة الإرادية"(٣).

ويقول المناوي: هي جوهر مشرق للبدن ينقطع ضوؤه عند الموت من ظاهر البدن وباطنه، وأما وقت النوم فينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن دون باطنه، فالموت انقطاع كلي، والنوم انقطاع خاص، وعلى ذلك فيكون تعلقها بالإنسان على ثلاثة أضرب: إن غلب ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو (حال) اليقظة، وإن انقطع عن ظاهره فقط فهو النوم، وإن انقطع بالكلية فالموت"(٤).

أما النفس الإنسانية فهي تلك النفس الناطقة التي تحوز جميع خصائص النفوس الأخرى وتزيد عليها قوة العقل والإرادة " (٥).

---

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج٢، ص٨٤٨، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت.

(٢) معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، ج١، ص٢١٥، ط٢، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة.

(٣) كتاب التعريفات، للجرجاني، ص٢٦٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة.

(٥) قسم العلماء النفس تقسيمات عديدة باعتبارات مختلفة، ومن أهم هذه التقسيمات جعلها ثلاثة أنفس هي:

١-النفس النامية (في النبات) ولها خصائص الاغتذاء والنمو والتوليد.

٢-النفس الحاسة (في الحيوان) ولها نفس الخصائص السابقة وتزيد عليها الحس.

٣-النفس الناطقة (في الإنسان) ولها خصائص النوعين السابقين وتزيد عليهما العقل والإرادة (والبيان)، انظر: في ذلك: الإنسان وصحته النفسية، لمصطفى فهمي، ص ٨.

يرى الباحث من خلال التأمّل في آيات القرآن الكريم نجد أنّ لفظة (النّفْس) وردت في مواضع عديدة، وتعدّدت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، ولكن يُمْكن إجمال هذه المعاني في النقاط الخمسة التّالية:

١-النفس بمعنى الروح: ومنه قوله تعالى:﴿وَلو ترَى إذِ الظّالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيدِيهم أخرِجوا أنفسكم﴾[الأنعام:٩٣]، وذلك أنّ الكافر إذا حضرت وفاته تتفرّق روحه في جسده فتخرجها الملائكة وتنتزعها بشدّة، ويُقال لأصحابها ﴿أخرِجوا أنفسكم﴾ أي أرواحكم، وذلك توبيخًا وزجرًا[١].

٢-النّفْس بمعنى الإنسان كلّه روحًا وجسدًا: ومنه قوله تعالى:﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ...﴾[لقمان:٢٨]، أي إنّ خلق جميع النّاس وبعْثهم بالنّسبة إلى قدرة الله ﷻ كمثل خلق إنسان واحد، فالجميع هيّن عليه.

٣-النّفْس بمعنى القُوى المفكّرة في الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤]، فاليقين الذي هو إدراك عَمَلِيّ نُسِب إلى النّفس، كما هو واضح في قوله تعالى:﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

٤-النّفْس بمعنى القلب، وما يتّصل به من الصّدر والفؤاد، ومنه قوله تعالى: واذكر﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ...﴾ [الأعراف:٢٠٥]، وقال في موضع آخر: ﴿... فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ...﴾ [يوسف:٧٧].

٥-النّفس بمعنى قوى الخير والشّر في الإنسان.

وهذه النّفس لها صفات وخصائص كثيرة، فهي تحب وتكره، وتسوّل وتوسوس، وتنوي وتعزم. وترشد صاحبها إلى طريق الخير وتلومه على فعل الشّر[٢].

ومعظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر النّفس يُقْصَد بها هذا المعنى، ومن ذَلِكَ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ...﴾ [ق:١٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج٤، ص٧٧، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
(٢) انظر: منهج الإسلام في تزكية الأنفس، أنس كرزون، ج١، ص١٤-١٥.

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنّ الْجَنَّةَ هي الْمَأْوَى﴾ [النَّازعات: ٤٠ - ٤١]، وقوله سبحانه ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢].

خامسًا: التعريف الاصطلاحي لتزكية الأنفس كمركب إضافي:

التعريف الإجرائي لمصطلح تزكية الأنفس كما يراه الباحث كمركب إضافي يمكن استنباطه من التعريفات السابقة: هو تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات.

المطلب الثاني: ماهية تزكية الأنفس:

من خلال تعريف التزكية لغة واصطلاحا يتبين لنا أنّ: التزكية لها معنيان: المعنى الأول: التطهير، يقال: زكيت هذا الثوب تزكية، أي: طهرته، ومنه الزكاء، أي الطهارة.

والمعنى الثاني: الزيادة، ويقال: زكا المال يزكو إذا نما وزاد، ومنه الزكاة، لأنها تنمية للمال وزيادة له.

وعلى أساس المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي في تزكية النفوس، فتزكية النفس شاملة لأمرين: الأمر الأول: تطهيرها من الأدران والأوساخ.

والأمر الثاني: تنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة. لذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بتطهير النفوس وتزكيتها، ولا تكون تزكية النفوس إلا بالتحلية بالإيمان والقربات ومحاسن الأخلاق، والتخلية من المعاصي والذنوب والأخلاق الرذيلة.

ويرى صاحب كتاب مدارج السالكين أنّ: "تزكية النُّفُوس مُسَلَّم إِلَى الرُّسُل. وَإِنَّما بعثهم اللَّه لهذه التَّزْكِية وولّاهم إِيَّاها. وجعلها على أَيْدِيهم دَعْوة، وَتَعْلِيمًا وَبَيَانًا، وَإِرْشَادًا، لَا خَلْقًا ولا إِلْهَامًا. فهمُ الْمَبْعُوثون لِعِلَاج نُفُوس الْأُمَم. قال اللَّه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٥١].

وَتَزْكِية النُّفوس: أَصْعَب مِنْ عِلَاج الْأَبْدَان وَأَشَدُّ. فمن زَكَّى نَفْسه بِالرِّيَاضة وَالْمُجَاهَدة وَالْخَلْوة، التي لم يَجِئ بها الرُّسل: فهو كَالْمَرِيض الَّذِي عَالَج نَفْسه بِرَأْيه، وَأَيْن يَقَع رَأْيُه من

مَعْرِفة الطَّبِيب؟ فَالرُّسل أَطِبَّاء الْقُلُوب. فَلَا سَبِيل إِلَى تزكيتها وصلاحها إِلَّا من طَرِيقِهِم. وعلى أَيْدِيهم، وَبِمَحْض الِانْقِيَاد، وَالتَّسْلِيم لَهُم"(١).

والتزكية متعلقة بأمر واحد وهو (القلب)، والقلب مُتقلّب، وهو سريع التأثر.

ويرى سعيد حوى في المستخلص أنّ: " تزكية النفس تعني باختصار تطهيرها من الشرك وما يتفرع عنه، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة لله بالتحرر من دعوى الربوبية، وكل ذلك من خلال الاقتداء برسول الله(٢).

المطلب الثالث: أهمية تزكية الأنفس:

لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة ببيان أهمية تزكية النفوس وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ولعل من أبرز تلك النصوص وأظهرها قوله تعالى في سورة الشمس ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[الشمس: ١ـ١٠]،فلو تأملنا هذه الآيات لوجدنا أنّ الله ﷻ قد أقسم فيها أحد عشر قسما على أن صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في موضع آخر من الكتاب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤ـ١٥].

كما أخبر الله ﷻ بفوز من حقق هذه التزكية بالدرجات العلى، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾[طه: ٧٥ـ٧٦]، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنَّ مهمة الرسل كانت دعوة الناس إلى تزكية نفوسهم، قال تعالى لموسى عليه السلام في خطابه لفرعون: ؟ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾[النازعات:١٨]،وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج٢، ص٣٠٠، ط٣، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م، دار الكتاب العربي – بيروت.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، ص١٧٥، دار الأرقم عمان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

وهذه التزكية لا يغني فيها أحدٌ عن أحد، ولا ينفع فيها قريب عن قريب، ولا أبٌ عن ابنه، ولا زوج عن زوجه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [الدُخان:٤١] وقال: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]

ويتضح لنا أنّ تزكية النفس أمر هام جدا لأسباب عديدة منها:

١-حاجة النفس البشرية إلى التزكية مهما كان حظها من الطاعات.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: (أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ)[١].

فالتزكية ليست مفقودة أو ناقصة عند العصاة فحسب، بل هي ناقصة أو مفقودة عند كثير من الطائعين؛ لذا وجب التذكير بها، فإذا فُقدت التزكية من أهل الخير والصلاح والطاعة، فماذا في بقية الناس من المتلبسين بالبدع أو المنغمسين في الشهوات والمعاصي؟.

٢-كثرة الفتن تجعل حاجتنا إلى التزكية أكثر من حاجة السلف إليها.

لقد كثرت الفتن التي تغزو القلوب، والشهوات التي تفسد النفوس، حيث أصبحت الدنيا تجذب الناس وتخطف أبصارهم وبصائرهم إليها، فنحن في عصر مهما كان للإنسان فيه من الخير فلابد أن يعترضه من الشر ومن الفتن ما لا يكاد يُحْتمل له بما يكفي لردعه وردّ كيده عنه. فإذا علم المسلم أن الدنيا تصب عليه فتنها وشهواتها ليلاً ونهاراً، سماعاً ورؤية، وقراءة واطلاعاً، بهذا الكم العجيب من هذه الرزايا والبلايا، فإنه لابد أن يعرف أنه في حاجة إلى جهد أكبر. وإذا كنا نسمع من أهل الصلاح وأهل الإيمان من السلف الصالح حرصهم على الطاعات وعلى تزكية النفوس، رغم أنهم لم يكونوا يجدون من هذه الفتن والشهوات مثلما نجد؛ وجب علينا -حينئذ- أن ندرك أننا في حاجة أكثر لتزكية النفوس.

كما أنّ كثرة الفرق والأحزاب أدّى إلى تمزّق الأمّة وتشتّتها، وهذا بدوره يحتاج إلى قلوب ونفوس مخلصة تحمل على عاتقها توحيد الأمّة، وهذا لا يتأتّى إلّا بتزكية الأنفس، وتصفيتها من الأحقاد والأمراض.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج٤، ص٥١٦، ط١، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية -بيروت. قال الحاكم: صحيح. انظر: مستدرك الحاكم، ج٤، ص ٥١٦.

المبحث الثاني:

الأنفس وعلاقة تزكيتها بالتّقوى

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صفات الأنفس.

المطلب الثاني: التقوى لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث: استعمالات التقوى في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: علاقة تزكية الأنفس بالتّقوى.

المبحث الثاني: الأنفس وعلاقة تزكيتها بالتقوى

كلما كان المؤمن أكثر تقوى، ساعد ذلك في زيادة تزكية نفسه، والعكس صحيح.

فالتقوى عامل فعال ومساعد في تزكية الأنفس، وقد وردت كلمة التقوى في القرآن الكريم خمس عشرة مرة ، وفي هذا دلالة على اهتمام القرآن بها، فمن خلالها نتحصّل على تزكية النّفس.

المطلب الأول: صفات الأنفس:

إذا كان بعض العلماء قد تحدثوا عن أقسام للنفس الإنسانية، فإن ابن القيم في كتابه الروح قد تحدث عن صفات لهذه النفس، وقد ناقش هذه المسألة باستفاضة عندما قال:

لقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس، نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلُب عليه هذه ومنهم من تغلُب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]، ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمّى باعتبار كل صفة باسم فتسمّى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه. فإن من سمة محبته وخوفه ورجائه قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه، فيستغنى بمحبته عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه...، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلّا بالله وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتّى إلا بذكر الله، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور والثقة به عجز فالمتعلق بغيره مقطوع، والمطمئن إلى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع(١).

---

(١) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ج١، ص٢٢١، دار الكتب العلمية – بيروت.

ويمكن تقسيم صفات الأنفس إلى ما يلي:

١-النفس الأمارة.

ذهب ابن القيم إلى أنّ: النفس الأمارة هي المذمومة لأنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلّا ما وفقها الله وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلّا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكيا عن امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١]، وقال في موضع آخر: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٧٤]، وقال ﷻ على لسان السّامري الذي صنع لبني إسرائيل عجلًا يعبدونه: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه:٩٦].

وقد امتحن الله ﷻ الانسان بِهَاتَيْنِ النفسين الأمارة واللوامة كما أكْرمه بالمطمئنة فهي نفس وَاحِدة تكون أَمارَة ثمَّ لوامة ثُمّ مطمئنة وهي غَايَة كمالها وصلاحها(١).

وقد عرّف الجرجاني النّفس الأمّارة بقوله: "هي التي تميل إلى الطّبيعة البدنيّة، وتأمر باللذّات والشّهوات الحسّية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشّرور ومنبع الأخلاق الذميمة"(٢).

يخلص الباحث من خلال ما سبق إلى أنّ:

١-النّفس الأمّارة توسوس وتسوّل وتغوي، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وقال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام ﴿ ...قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا...﴾ [يوسف:١٨].

وقال ﷻ في الحديث عن قصّة قابيل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠]، أي زيّنت له الإقدام على هذه الجريمة، وحسّنت له فعلها(٣).

٢-الصفات التي تتصف بها النفس الأمّارة هي نفس الصّفات التي وصف الله بها إبليس اللعين في معرض التحذير منه، وبيان خطره وعداوته للبشر.

---

(١) انظر: الروح لابن القيم، ص٢٢٦.

(٢) التعريفات، ص٢٤٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص٤٥.

أ-فهو يوسوس للإنسان، كما قال تعالى آمرًا عباده بالاستعاذة من شرّه: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الذي يُوسْوِسُ فِي صُدورِ النَّاس﴾ [الناس:٤-٥].

ب-وهو يسوّل للإنسان ارتكاب المنكر أي يزيّنه له ويحسّنه حتّى يقع فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥].

ج-وهو يغوي ويضل، كما قال تعالى: ﴿...وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

وهكذا تلتقي عداوة الشيطان ووساوسه مع وساوس النّفس الأمّارة بالسّوء ليكون كلاهما عدوّا للإنسان يجره إلى المعصية ويصرفه عن الطاعة.

٢-النفس اللوامة.

أما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]،فاخْتُلِف فيها فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة، أخذوا اللفظة من التلوّم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر ألوانا متلونة فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتعصى، وتتقي وتفجر، إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالاتها وتلونها فهي تتلون كل وقت ألوانا كثيرة فهذا قول، وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللّوم ثم اختلفوا فقالت فرقة هي نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة، قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائما يقول ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى أو نحو هذا الكلام.

وقال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها وتلومه على فواته.

وقالت طائفة بل هذا اللوم للنوعين فإن كل أحد يلوم نفسه برا كان أو فاجرا فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته والشقي لا يلومها إلّا على فوات حظها وهواها.

وقالت فرقة أخرى هذا اللوم يوم القيامة فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئا على إساءته وإن كان محسنا على تقصيره.

وهذه الأقوال كلها حق، ولا تنافي بينها، فإن النفس موصوفة بهذا كله وباعتباره سميت لوامة، ولكن اللوامة نوعان: لوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته.

ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة، وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها، فهي التي يلومها الله عز وجل(١).

قال الجرجاني في تعريفه للنّفس اللّوامة:" هي التي تنوّرت بنور القلب، قدر ما تنبّهت به عن سِنَةِ الغفلة، وأخذت تلوم نفسها"(٢).

الخلاصة:

ويرى الباحث أنّ:

١- النفس اللوامة تكبح جماح النفس الأمارة وتصرفها عن الشّر، ولا شك أنّ هذا يحتاج إلى قوة تتحكّم في النّفس، وإيمان يضبط الغرائز ويزنها بميزان الشرع.

٢-يمكن أن نطلق على هذه الحالة من حالات النفس اسم المراقبة أو وازع القلب.

٣-النفس المطمئنة.

وهي أن تطمئن النفس في باب معرفة أسماء الله وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقبول، والتسليم، والإذعان، والدعاء، وانشراح الصدر له، وفرح القلب به، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش، فيطمئن إليه، ويسكن إليه، ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة، فهذا أول درجات الطمأنينة، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه، ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانا، وهذا حقيقة اليقين الذي وصف به سبحانه وتعالى أهل الإيمان حيث قال: ﴿...وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٤]، فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئن القلب إلى ما أخبر الله سبحانه به عنها طمأنينته إلى الأمور التي لا يشك فيها ولا يرتاب، فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر كما في حديث حارثة أنّهُ:(مرَّ برسول الله ﷺ فقال: كيف أصبحت يا حارثُ؟ قال: أصبحت مُؤمنًا حقًا. قال: انظر ما تقولُ؟

---

(١) بتصرف عن الروح، لابن القيم، ص ٢٠٣- ٢٠٤.

(٢) التعريفات، ص٢٤٣.

فإن لكل شيءٍ حقيقة، فما حقيقةُ إيمانك؟ قال: عزَفَتْ نفسي عن الدُّنيا، فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري، وكأني أرى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظرُ إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتصايحُون فيها، فقال: يا حارثُ عرفتَ فالزم ثلاثاً)[١]. والطمأنينة إلى أسماء الرب تعالى وصفاته نوعان: طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها، وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية، مثاله الطمأنينة إلى القدر وإثباته، والإيمان به يقتضي الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب إيمانه فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما أتاه لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه وقبل أن يخلق كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، فالعبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلّم، فهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها[٢].

قال الجرجاني في تعريفه للنّفس المطمئنّة: "هي التي تمّ تنوّرها بنور القلب حتّى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلّقت بالأخلاق الحميدة"[٣].

وقد نقل المفسرون في معنى النّفس المطمئنّة أقوالًا عن علماء السّلف، من أبرزها:

١-عن ابن عبّاس ﷺ قال: "المطمئنّة: المصدّقة".

٢-وعن قتادة قال: "هو المؤمن اطمأنّت نفسه إلى ما وعد الله".

٣-وعن مجاهد قال: " هي النّفس الراضية بقضاء الله التي علمت أنّ ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأنّ ما أصابها لم يكن ليخطئها ".

---

(١) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج٣، ص٢٦٦، مكتبة ابن تيمية – القاهرة. قال الهيثمي: فيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه، رَوَاه الْبَزَّار، وفيه يُوسُف بْنُ عطية لَا يُحْتَجُّ به.

(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، المقدمة، ط٤، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

(٣) التعريفات، ص٢٤٣.

٤-وعن ابن زيد قال: " سمّيت المطمئنّة لأنّها بشرت بالجنّة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع"(١).

يرى الباحث أنّ النفس المطمئنّة:

١-هي أعلى درجات النّفس، لأنّها اطمأنّت بإقامتها على طاعة الله، فسلّمت بوعده ورضيت بقضائه وتوكّلت عليه، وذاقت حلاوة الإيمان فلم تعد ترضى به بديلا، واستشعرت لذّة المناجاة بين يدي الله ﷻ فلم تعد تشغلها عن طاعة ربها مغريات الحياة، وقد ورد ذكر هذه الحالة من حالات النّفس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

٢-وهي نفس زكيّة ساكنة ثابتة مع الحق، لا يعتريها صراع ولا تخبّط ولا قلق ولا اضطراب، لأنّها أدركت طريق سعادتها ورضيت به، ولذلك يُقَال لها: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٨]، فقد رضيت عن الله ورضي الله عنها وأرضاها، ولذلك تُبَشَّر بمقعدها من الجنّة ويقال لها: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٩ -٣٠]، وتأتيها البشارة في مواضع ثلاثة: عند الاحتضار، وعند الحشر، وعند دخول الجنّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:٣٠].

٣-وللوصول إلى هذه الحالة من حالات النفس-النفس المطمئنّة- لا بدّ لنا من ذكر الله بالقول والعمل، ومراقبته في السر والعلن، حتّى تطمئنّ النّفس ويخشع القلب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

والارتقاء بالنّفس الإنسانية إلى هذه الحالة هي الثمرة الكبرى لتزكية النّفس.

٤-والفرق بين النّفس اللّوامة والنّفس المطمئنّة؛ أنّ النفس اللوامة تقف في وجه النفس الأمارة وتكبح جماحها فَتَغْلِبْ أو تُغْلَبْ، وتَقْوَى أو تَضْعُف، ولكن النفس المطمئنّة حالة مستقرّة من حالات النفس، وصفة راسخة تكون معها النّفس الأمارة في ضَعْف شديد لا تقوى معه على

---

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٣٠، ص١٩٠، ط١، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، والجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ج٢٠، ص٥٧-٥٨، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، دار الكتب المصرية - القاهرة.

التغلّب، فيصبح الخير مَلَكَة مُسْتَقِرّة في النّفس لا تحتاج معها إلى مجاهدة طويلة، فالمَلَكَة صفة راسخة في النفس كانت قبل رسوخها سريعة الزوال، فلمّا تكرّرت ومارستها النّفس صارت بطيئة الزوال أي أصبحت ملكة.

ويؤكد ذلك الجرجاني في تعريفه لها، فيقول: " هي صفة راسخة في النّفس...وتسمّى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النّفس حتّى رسخت تلك الكيفيّة فيها وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقًا"(١).

٥-النفس المطمئنّة واللّوامة والأمّارة هي صفات للنفس البشرية وليست أقسام لها. فهي نفس واحدة، قد تكون مطمئنّة أو لوامة أو أمارة بحسب تقربها من الله واجتهادها في الطّاعة أو بعدها عن ذلك، وباستمرار الإنسان في طاعة الله ومداومته عليها فإنّ نفسه تزكو وتسمو حتّى ترتقي إلى النفس المطمئنّة.

المطلب الثاني: التقوى لغة واصطلاحا:

أولًا: التقوى لغة:

هي الاسم من قولهم اتقى والمصدر الاتقاء وكلاهما مأخوذ من مادة (وَقَى).

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ:" الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدلّ على دفع شيْء عن شَيْء بغيره. ووقيته أقيه وقْيًا. والوقاية: ما يَقِي الشَّيْء. وَاتَّقِ اللَّه: تَوَقَّه، أَيِ اجعل بينك وبينه كالوقاية"(٢).

وقد روى عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سَمِعْتُ رَسُول اللَّه ﷺ يقول: (اتَّقُوا النَّار ولو بِشِقِّ تَمْرَة...)(٣)، وكَأَنَّه أَرَاد: اجعلوها وِقَاية بَيْنَكم وبينها.

---

(١) التعريفات، ص٢٢٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٦، ص١٣١.

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الزكاة، بَابٌ: اتَّقُوا النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة وَالقَلِيل مِنَ الصّدقة، ج٢، ص١٠٩، ح١٤١٧، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

وقال الرّاغب ما خلاصته: الوقَاية: حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه. يقال: وَقَيْت الشيء أَقِيه وقَاية ووِقَاء، قال تعالى: ﴿...وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدُخان:٥٦]، ﴿...وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾[الرعد:٣٤].

والتَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَة مما يُخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوًى، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه.

ويُقال: اتَّقَى فلان بكذا: إذا جعله وِقَاية لنفسه، وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾[الزُّمر:٢٤]، وفيه تنبيه على شدّة ما ينالهم، وأنّ أجدر شيء يتّقون به من العذاب يوم القيامة هو وجوههم [١].

قال ابن منظور: "وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز:﴿... وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]؛أَي جَزاء تَقْواهم، وَقِيل: مَعْنَاه أَلهَمَهُم تَقْواهم، وقَوْلُه تَعَالَى: ﴿...هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[المدثر:٥٦]؛ أَي هو أَهلٌ أَن يُتَّقَى عِقابه وأَهل أَن يُعمَل بِمَا يُؤَدِّي إِلى مَغْفِرته. وقَوْلُه تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١]. مَعْنَاه اثْبُت عَلَى تَقْوى الله ودُمْ عَلَيْه. وقَوله تَعَالَى:﴿ ... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨] "[٢].

ثانيًا: التقوى اصطلاحا:

عرف الراغب التقوى اصطلاحًا بأنّها: " حفظ النّفس عمّا يؤثم وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات"[٣].

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية:" التقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه"[٤].

وقال الجرجانيّ:"التّقوى في الطّاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها التّرك والحذر، وقيل هي: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النّفس عمّا تستحقّ به العقوبة من

---

(١) بتصرف عن المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص٥٣٠.

(٢) لسان العرب، ج١٥، ص٤٠٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ج١، ص٨٨١.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج٣، ص٦١٤.

فعل أو ترك، وقيل: هي المحافظة على آداب الشّريعة ومجانبة كلّ ما يبعد المرء عن الله تعالى، وقيل: هي ترك حظوظ النّفس ومباينة الهوى"(١).

وعرفها الإمام علي بن أبي طالب قائلا:" التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"(٢).

وقيل: ألّا ترى في نفسك شيئا سوى الله، وقيل: ألّا ترى نفسك خيرًا من أحد، وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم هو الذي اتقى متابعة الهوى، وقيل: الاقتداء بالنبي ﷺ قولًا وفعلًا"(٣).

ثالثًا: معاني التقوى في القرآن:

١- "الخوف والخشية كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١].

٢- العبادة كما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

٣- ترك المعصية كما في قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩].

٤- التّوحيد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:٣]، أي للتّوحيد.

٥- الإخلاص كما في قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢](٤).

---

(١) نضرة النعيم، عدد من المختصين، باب بين التقوى والورع، ج٤، ص١٠٨٠.

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي -عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، ج٢، ص٧٧، ط١، برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م، دار الكتاب.

(٣) انظر: كتاب التعريفات للجرجاني، ج١، ص٦٥.

(٤) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج٤، ص١٠٨٠.

الخلاصة:

التقوى تأتي بمعاني عديدة حسب موقعها في السياق، فتارة تأتي بمعنى الخوف والخشية، وتارة تأتي بمعنى العبادة، وتارة تأتي بمعنى ترك المعصية، وتارة بمعنى التوحيد، وهي مشتقة في أصل اللغة من التوقي، وأخذ الوقاية عما يضر.

وبما أن الإنسان يجعل لنفسه وقاية عن حر الشمس من الاستظلال بمظلة واللجوء إلى ظل، فعليه أن يأخذ لنفسه وقاية من عذاب الله وناره.

وكما يتقي من الحر باستعمال المراوح والمكيفات، ومن البرد بالملابس واللجوء إلى مواطن الدفء، يطلب الله منه أن يأخذ وقاية من حر جهنم وزمهريرها بعمل الطاعات واجتناب المنهيات.

وكما يأخذ لنفسه وسائل الوقاية من عدوه في الدنيا فليأخذ لنفسه وقاية من زبانية جهنم، فهذا مدلول أمر الله لعباده بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦].

ثالثًا: آراء السلف في معنى التقوى:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

بين الله تعالى في هذه الآية أنه ألزم الصحابة رضي الله عنهم كلمة التقوى، وأكثر المفسرين أن المراد بكلمة التقوى هي (لا إله إلا الله) وبين أنهم أحق بها من كفار قريش، وأنهم كانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير.

وقد أورد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره:" أنها لا إله إلَّا اللَّه مُحَمَّد رسول اللَّه، استَكْبر عنها الْمُشْركون يَوْم الْحُدَيْبية، يوم كَاتَبَهم رَسُول اللَّه ﷺ عَلَى قَضِيَّة الْمُدَّة[1].

وقد أورد الثعلبي[2] في تفسيره الكشف والبيان أقوال بعض الصحابة والتابعين في تفسيرهم لكلمة التقوى حيث قال: قال ابن عباس: المتقي الذي يتقي الشرك والكبائر والفواحش.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ج٢١، ص٣٠٨.

(٢) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور؛ كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير. وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء، يقال له: الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له وليس بنسب، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، انظر: وفيات الأعيان، ابن خلّكان، ج١، ص٨٠.

وقال ابن عمر: التقوى أن لا يرى نفسه خيرا من أحد.

وقال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار[١]: حدّثني عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم، وقال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وتشمّرت، فقال كعب: ذلك التقوى، وأخذ هذا المعنى ابنُ المعتز[٢] فقال:

خلِّ الذُّنوبَ صَغِيرَها ... وكَبِيرَها فَهْوَ التُّقَى

واصْنَعْ كماشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ ما يَرَى

لا تَحْقِرَنَّ صغيرةً ... إنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس التقوى قيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرّم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير على خير.

وقال سفيان الثوري: هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه"[٣].

"وقال الحسن: المتقون اتقوا ما حرم الله تعالى عليهم، وأدوا ما افترض الله تعالى عليهم. قال ميمون بن مهران: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه"[٤].

---

(١) هو كَعْب بنُ مَاتِع الحِمْيَرِيّ، اليَمَانِيّ، العلَّامة، الحَبْر، الذي كان يهوديّا فَأَسْلَم بعد وفاة النّبي ﷺ، وقدِم المدِيْنَة من اليمن فِي أَيَّامِ عُمَر ، فجالس الصحابة، وكان يُحَدِثُهُم عن الكتب الإِسْرَائِيْلِيَّة، ويَحْفَظ عجائب، ويَأْخُذ السُّنن عنِ الصحابة، وكان حسن الإسلام، مَتِيْن الدّيَانَة، مِنْ نُبَلَاء العُلَمَاء. وكَان خَبِيْراً بِكُتُب اليَهود، لَه ذَوْق فِي مَعْرِفَة صَحِيحِهَا مِنْ بَاطِلِهَا فِي الجُمْلة. انظر: سير أعلام النّبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ج٤، ص٤٧٢، ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م دار الحديث-القاهرة.

(٢) عبد الله بن جعفر بن محمد بن هارون بن العباس، ابن المعتز بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، الأديب صاحب الشعر البديع والنثر الفائق؛ أخذ الأدب والعربية عن المبرد وعن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي، أقام في الخلافة يوما وليلة، ولقبوه بالمرتضي بالله، وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض، كتاب البديع، مكاتبات الإخوان، أشعار الملوك، كتاب الآداب. مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين، وتوفي في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين.انظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، ج٢، ص٢٤٠، ط١، دار صادر -بيروت.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ج١، ص١٤٢، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٤) رياض الأنس في بيان تزكية الأنس، إبراهيم محمد العلي، ص١١٥-١١٦، ط٢، ١٤٢٦ه -٢٠٠٥م، المملكة الأردنية الهاشمية.

الخلاصة:

نخلص من التعريفات السابقة للتقوى: أنّها أمر نفسي يستشعره الإنسان ويعيش معه، فلا يرى نفسه خيرًا من أحد، حيث يعمل بطاعة الله على نور من الله راجيًا ثوابه خائفًا من عقابه، متقيًا للشرك والكبائر من خلال توحيده لله ومحاسبته لنفسه.

فإذا تأصلت وتعمقت هذه المفاهيم في وجدانه أصبح في تعامله للنّاس يحب لهم ما يحب لنفسه فيفوز بالدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: استعمالات التقوى في القرآن الكريم والسنّة:

أولًا: استعمال القرآن للتقوى.

لقد تعددت استعمالات القرآن التقوى وتنوعت فتارة تضاف إلى الله ﷻ وتارة تضاف إلى أمور أخرى، وقد فصّل سليم الهلالي إضافات التقوى في كتابه منهج الأنبياء في تزكية النفوس حيث قال: تضاف التقوى في القرآن الكريم إلى:

١- اسم الله ﷻ، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿...وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة:٩].

فإذا أضيفت التقوى إليه ﷻ؛ فالمراد: اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يتّقى ومن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي. فهو سبحانه أهل أن يُخشى ويُهاب ويُجل ويُعظّم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه؛ لما يستحقه من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة، وقوة البطش، وشدة البأس.

٢-وتضاف تارة أخرى إلى عقاب الله، فتضاف إلى مكان هذا العقاب ؛ كالنار ؛ كما في قوله تعالى: ﴿...فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٤]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

٣-وتضاف أيضا إلى زمانه؛ كيوم القيامة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨١]، وكقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾[البقرة:٤٨].

ثانيًا: استعمال السنّة للتقوى.

١- وأما في كلام رسول الله ﷺ؛ فإنها تضاف إلى المحظورات: فمن ذلك إضافتها إلى الظلم والشح؛ كقوله ﷺ من حديث جابر بن عبدالله (اتقوا الظلم؛ فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإنّ الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم)(١).

٢-وتُضاف إلى دعوة المظلوم؛ كما في قوله ﷺ لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن (...واتق دعوة المظلوم؛ فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب)(٢).

٣-وتُضاف إلى المحارم؛ كقوله ﷺ من حديث أبي هريرة (اتّق المحارم(٣) تكن أعبد النّاس...)(٤).

٤-وتُضاف إلى الشبهات؛ كقوله ﷺ من حديث النعمان بن بشير(إنّ الحلال بين، وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من النّاس فمن اتّقى الشبهات؛ استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات؛ وقع في الحرام...)(٥)(٦).

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٦، ح٢٥٧٨، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ج٢، ص١٢٨، ح١٤٩٦.

(٣) اتّق المحارم: أي: احذر الوقوع فيما حرّم الله عليك. انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، ج١، ص٢٧.

(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف(جـ ٤، ٥)، أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، ج٤، ص٥٥١، ح٢٣٠٥، ط٢، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، ج٢، ص٢٩٤، ح٢٣٤٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج٣، ص١٢١٩، ح١٥٩٩.

(٦) انظر: كتاب منهج الأنبياء في تزكية النفوس، سليم بن عيد الهلالـي، ص٢٩-٣١، ط٢، ١٤١٧ه-١٩٩٧م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع. بتصرف يسير.

المطلب الرابع: علاقة تزكية الأنفس بالتقوى:

كل من تدبر موارد التقوى في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله محمد ﷺ علم أنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة. فإذا قرأنا كتاب الله من أوله إلى آخره، نجد التقوى رأس كل خير، ومفتاح كل خير، وسبب كل خير في الدنيا والآخرة، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها، فالتقوى هي سبب السعادة والنجاة وتفريج الكروب والعز والنصر في الدنيا والآخرة، ولنذكر في هذا آيات من كتاب الله، ترشد إلى ما نقول من ذلك قوله ﷻ: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطَّلاق:٢]... قال بعض السلف: "هذه الآية أجمع آية في كتاب الله، وما ذاك إلّا لأنّ الله رتب عليها خير الدنيا والآخرة، فمن اتقى الله جعل له مخرجا من مضائق الدنيا ومضائق الآخرة، والإنسان في أشد الحاجة، بل في أشد الضرورة إلى الأسباب التي تخلصه من المضائق في الدنيا والآخرة، ولكنه في الآخرة أشد حاجة وأعظم ضرورة، فمن اتقى الله في هذه الدار فرج الله عنه كربات يوم القيامة، وفاز بالسعادة والنجاة في ذلك اليوم العظيم العصيب، إذا فالتقوى باب لتفريج كربة العسر وكربة الفقر وكربة الظلم وكربة الجهل وكربة السيئات والمعاصي وكربة الشرك والكفر إلى غير ذلك، والإنسان قد تضيق أمامه الدروب وتُسَد في وجهه الأبواب في بعض حاجاته، فالتقوى هي المفتاح لهذه المضائق وهي سبب التيسير لها".(١)

لقد امتثل رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – التقوى فحقّقوا سعادة الدنيا والآخرة وانتصروا بها على الأعداء، وفتحوا بها القلوب، وهدوا بها البشرية إلى الصراط المستقيم، وكذلك امتثل السلف الصالح التقوى اقتداءً بمن سبقهم من الأنبياء، وكان من ثمرات التقوى:

١ –**تكفير السيّئات وغفران الذنوب:** قال ﷻ: ﴿...إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ...﴾[الأنفال:٢٩]، وقال ﷻ: ﴿ ...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[الطلاق:٥].

٢ –**جزاء المتقين الجنّة:** ومن أعظم الأجر الفوز بالجنة والنجاة من النار. والله وصف أهل الجنة بالتقوى فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطُّور:١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم:٣٤]، فبين سبحانه أنه أعد الجنة لأهل التقوى، لذلك فنحن في أشد الحاجة إلى أن نتقي ربنا، ومتى اتقيناه فزنا بكل خير ونجونا من كل شر.

---

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث–٤، نخبة من العلماء، باب التقوى سبب كل خير، ج.٥، ص٢٦٣.

أما بالنسبة للتزكية فهي إحدى المهمات التي من أجلها بُعث الرسول ﷺ، بل هي غاية الرسالات وثمرتها، قال تعالى ممتناً ببعثة الرسول ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:٢]، وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤].

فالله امتن علينا في هاتين الآيتين ببعثه ﷺ الذي من مهماته قراءة آيات الله، وهذه نعمة كبرى؛ إذ نسمع كلام الله على لسان بشر منا.

وقد بيّن الله افتراق النفوس في الزكاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠)،فالنفس الزكية: هي الطيبة الطاهرة النقية"(١).

وجاء في كتاب الأصول العلمية: "وقد أقسم ﷻ أن الفلاح منوط بتزكية النفس وتطهيرها، وذلك في سورة الشمس، بعد أحد عشر قسماً، وليس في القرآن أقسام متوالية بهذه الكثرة على حقيقة واحدة؛ إلا في هذه السورة. قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:١٠]، وبين في آيات أخر أنه لا يدخل الجنة إلا من اتصف بهذه الزكاة "(٢).

الخلاصة:

يتضح للباحث من خلال استعراض معاني التقوى والتزكية أنّ بينهما تلازم وارتباط فبتزكية النفس وتطهيرها من الأدران نتحصل على التقوى، إذا فالتزكية مقدمة ضرورية وهامة للوصول إلى التقوى والتي بدورها أيضا وسيلة هامة للفوز برضوان الله والجنّة.

والعبادات كلها -مالية أو بدنية- ما هي إلا عمليات تزكية؛ لأنها تربط القلب بالخالق وتذكره به، وبذلك تحصل التقوى للقلب، ومن اتقى وخاف ربه؛ ابتعد عن المحرمات، وفعل الخير طيبة وإحسان وبر وعدل. ولذلك كانت الصلاة على رأس هذه الأعمال؛ لأنها من أنجع

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، باب التقوى سبب كل خير، ج٢، ص٢٨٦، ط١.

(٢) الأصول العلمية للدعوة السلفية، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ج١، ص٢٧-٢٩، ط٢، ١٣٩٨ه.

الوسائل للوصول إلى هذه التزكية قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت:٤٥].

الفصل الأول:

وسائل تزكية الأنفس وأركانها وثمارها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وسائل تزكية النفس.

المبحث الثاني: أركان تزكية الأنفس وثمراتها.

المبحث الأول:

وسائل تزكية الأنفس

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوسائل العامّة لتزكية الأنفس.

أولًا: التوحيد.

ثانيًا: الصلاة والزكاة والإنفاق.

ثالثًا: الحج والنّسك.

رابعًا: الجهاد في سبيل الله.

خامسًا: الوضوء والغسل والتيمم.

سادسًا: اعتزال النّساء في المحيض.

المطلب الثاني: الوسائل الخاصّة لتزكية الأنفس.

أولًا: تلاوة القرآن والذّكر.

ثانيًا: الصدق والعدل.

ثالثًا: المراقبة والمحاسبة والمجاهدة.

رابعًا: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

خامسًا: الحذر من حبائل الشيطان ومكائده.

سادسًا: معالجة أمراض القلوب.

المبحث الأول: وسائل تزكية الأنفس

المطلب الأول: الوسائل العامة لتزكية الأنفس:

لقد خلق الله الإنسان في هذه الحياة الدنيا وقد أودع فيه نفسا بحاجة إلى تزكية وتطهير، ولكي يتم له ذلك لا بدّ له أن يعمل أولا: على معالجة الصفات السلبية لديه وتيسير سبل معالجة الخطيئة والتوبة منها وإصلاح الآثار الناجمة عن الخطايا، وتجنب ما يؤدي إلى سقوط النفس وانحرافها.

ثانيا: لا بد له من بناء صفات إيجابية في النفس بشكل مستمر والتزكية هنا في بعدها التنموي تعمل على تنمية الشخصية الإنسانية بثروة من القيم الحافزة إلى الخير، وتحقق الغنى الحقيقي للنفس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَال: قَال رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: (لَيْس الْغِنَى عن كَثْرَة الْعَرَض[١]، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْس)[٢].

إذًا فالتزكية لا تقف عند حد تخليص النفس من عيوبها وذنوبها بل تهدف إلى إيجاد شخصية متنامية وفعالة ومنتجة لا تجمد عند حال: قال تعالى: ﴿...وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٤].

العبادات ودورها في تزكية الأنفس.

أولًا: التوحيد:

لا بدّ لكل بناء من أساس، وبمقدار قوة هذا الأساس ورسوخه ينهض البناء ويعلو ويقاوم الأعاصير، وبناء النّفس على الاستقامة والصلاح أساسه توحيد الله.

وتوحيد الله ليس إعلانًا باللسان فحسب بل هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل؛ لأنّه عمل نفسي يبلغ أغوار النّفس ويصحبه الخضوع والطاعة والتّسليم والعبادة، وكلّما ازداد التّوحيد رسوخًا أثمر ثمراته اليانعة في تزكية النّفس واستقامة السّلوك؛ لذلك اعْتُبِرَ الأساس الأول في تزكية النفس.

---

(١) العَرَض هو متاع الدنيا ومعنى الحديث الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة لأن من كان طالبا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى. انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ج١٠، ص١٦٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ج٢، ص٧٢٦، ح١٠٥١.

١-التوحيد لغة:

قال ابن فارس: "(وَحَدَ) الواو والحاء وَالدَّال: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ. من ذلك الْوَحْدَة. وَهو وَاحِدُ قَبِيلَتِه، إِذَا لم يكن فيهم مِثْلُه"(١).

وقال مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "الوَاحِد: أَوَّل عَدَد الحِسَاب"(٢).

قال الأفغاني: "التوحيد يطلق على ثلاثة معان: الأول: جعل الشيء واحدًا. الثاني: الحكم على الشيء بأنه واحد. الثالث: العلم والاعتقاد بأن هذا الشيء واحد. أي: نسبة الشيء إلى الانفراد، ونفي الشركاء عنه"(٣).

٢-التوحيد اصطلاحا:

قال محمد يسري: التوحيد اصطلاحا هو: " إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله"(٤).

وقال شيخ الإسلام- رحمه الله-: "هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه"(٥).

قال الجرجانيّ: "التّوحيد ثلاثة أشياء معرفة الله بالرّبوبيّة، والإقرار بالوحدانيّة، ونفي الأنداد عنه جملة"(٦).

وقال الإمام محمّد بن عبد الوهّاب:" التّوحيد: هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرّسل الّذين أرسلهم الله به إلى عباده"(٧).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص٩٠.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، ج٩، ص٢٦٣.

(٣) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، ج١، ص٨٤، ط١، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م، دار الصميعي.

(٤) طريق الهداية -مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة، محمد يسري، ج١، ص١٠٥، ط٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٥) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ج٨، ص٢٤٦، ط٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

(٦) التعريفات، ص٧٣.

(٧) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، ص٧٠، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ولتحقيق معنى التوحيد والعبودية بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

وقد جاء في كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان أنّ: "أصل التَّوْحِيد وَمَا يَصح الاعْتِقَاد عَلَيْهِ يجب أن يَقُول آمَنت بِاللَّه وَمَلَائِكَته وكتبه وَرُسُله والبعث بعد الْمَوْت وَالْقدر خَيره وشره من الله تَعَالَى والحساب وَالْمِيزَان وَالْجنَّة وَالنَّار وذلك كلُّه حق، وَالله تعالى واحد لا من طَرِيق الْعدَد وَلَكِن من طَرِيق انه لَا شريك لَهُ لم يلد وَلم يُولد وَلم يكن لَهُ كفوا أحد لَا يشبه شَيْئا من الْأَشْيَاء من خلقه وَلَا يُشبههُ شَيْء من خلقه لم يزل وَلَا يزَال بأسمائه وَصِفَاته الذاتية والفعلية"(١).

يرى الباحث أنّ هذه المعاني إن تحققت في نفس الإنسان وانغرست في قلبه أدّى ذلك إلى تزكية نفسه والارتقاء بها، ولأهمية التوحيد في حياة الإنسان فإنّ الله ﷻ كان يرسل الرسل بين الفترة والأخرى حتىّ يقيم عليهم الحجة، فتوالي إرسال الرسل من أجل هذا الهدف يدل على أهميته الكبرى، كما يدل على أنّ الانحراف عنه مستمر عند الإنسان فاقتضى ذلك تجديده بين الوقت والآخر.

قال الإمام ابن القيّم-رحمه الله-"والتَّوْحِيد أَوّل دَعْوَة الرُّسُل، وَأَوّل مَنَازل الطَّرِيق، وأَوّل مَقَامٍ يَقُوم فِيه السَّالِك إِلى اللَّه ﷻ "(٢).

ولذلك كان الموضوع الأساسي في القرآن الكريم هو التّوحيد، وكانت آيات القرآن تتنزل في مكة المكرمة سنوات طويلة، لتثبيت هذه العقيدة في النّفوس، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف:٥٩]، وقَالَ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿...اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف:٦٥]، وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴾[النحل:٣٦]، وعن ابْنِ عمر، أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَال:(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّه)(٣).

---

(١) الفقه الأكبر، ص١٢، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، مكتبة الفرقان- الإمارات العربية.

(٢) مدارج السالكين، ج٣، ص٤٤٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: فإن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، ج١، ص١٤، ح٢٥.

كما أنّ آيات القرآن الكريم حافلة بالرد على أهل الكتاب الذين نسبوا لله الولد وغيرهم من أصناف الملحدين والمشركين، وإلزامهم الحجة بما لا يستطيعون إنكاره من بديع صنع الله واستقامة نظام الكون وعدم اضطرابه.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢]، وقال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

وأبرز ما تركّز عليه آيات القرآن الكريم في تثبيت عقيدة التّوحيد إيقاظ الفطرة، فالإنسان إذا انطمست فطرته وأظلم قلبه انحرف عن التوحيد وادّعى الاستغناء عن خالقه، فإذا ألمّت به الشدائد وأيقن بالهلاك لجأ إلى الله وحده وأخلص التّوجّه إليه بالدعاء وأظهر افتقاره وتذلّله لخالقه، وسرعان ما ينكص على عقبه ويبتعد عن خالقه بمجرّد زوال الخطر، قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٢٢-٢٣].

ينقل سعيد حوى في المستخلص أقوال أهل السلوك في التوحيد حيث يقول: وقد اتفق أهل السلوك إلى الله على أنّ التوحيد هو البداية والنهاية، فكي يتحقق الإنسان بكمالات التوحيد: لا بدّ أن يمر بما يسمونه فناء في الأفعال، ثم الفناء في الصفات، ثم الفناء في الأحكام، ثم الفناء في الالتزام والعمل، وكل ذلك ليكون موحدا خالصًا.

فأن يحس قلبك أنّ كل شيء هو فعل الله وخلقه ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمر:٦٢]،فهذا هو الفناء في الأفعال، وأن تحس في ذاتك أنّه لا حول لك إلا بالله وأنه لا قوة لك إلا بالله، وأن تتخلق بما يجب التخلق به من أسماء الله الحسنى على مقتضى العبودية فذلك هو الفناء في الصفات، وأن يتذوق قلبك التسليم لأحكام الله وشريعته، والتسليم لله في حكمه فيك فذلك الفناء في الأحكام، وأن تبذل منتهى الجهد في القيام بالتكليف كله عبودية لله صلاة وجهادا وكسبا وغير ذلك، فذلك هو الفناء في الالتزام والعمل، وذلك كله توحيد(١).

وقد ذكر الدكتور أنس كرزون بعض النماذج القرآنية التي تبيّن آثار التّوحيد في النّفس الإنسانيّة وآثار الشرك فيها:

---

(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص٣٠٤.

١-أولًا: نماذج تبيّن آثار التوحيد.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٦].

هذه الآيات الكريمة تصوّر أثر التّوحيد في النّفس وتضرب له مثلًا بالشّجرة الطيبة الثّابتة التي لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها الرّياح، والمثمرة على مرّ الأيام دون أن ينقطع ثمرها. وقد روى المفسرون عن ابن عبّاس ﷺ "أنّه قال: الكلمة الطيبة شهادة أنّه لا إله إلّا الله"(١). أمّا كلمة الشرك فهي كالشّجرة الخبيثة التي لا أصل لها ولا ثبات، وهذا هو حال المشرك في اضطرابه وقلقه وعدم رسوخه(٢).

٢-ثانيًا آثار الشرك:

قوله تعالى: ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣٠ -٣١].

في هذا النص القرآني تصوير لحال المشركين الذين زلّت أقدامهم عن طريق التوحيد، وقد شبّه الله ﷻ الإيمان بالسماء لعلوّه، والشرك بالسّقوط منها، فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، فهو كمن سقط من السماء إلى الأرض فتمزّقت أوصاله وصارت الطّير تتخطّفها وتهوي بها الريح فتلقي بها في مكان سحيق، ومن كانت هذه صفته لا يُرْجى له خلاص إذ يفقد القاعدة الثابتة، قاعدة التّوحيد، والمستقر الآمن الذي يثوب إليه، فتخطفه الأهواء تخطّف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرّياح. ونلاحظ في هذا المشهد سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها (بالفاء) وهي صورة دقيقة عن حال من يشرك بالله تعالى(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص٥٣٠.

(٢) انظر: منهج الأنبياء في تزكية الأنفس، ج١، ص١٢٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢١٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج٦، ص١٤٩، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، ج٥، ص٦٩١، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، وظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ج٤، ص٢٤٢١، ط١٧ -١٤١٢ هـ، دار الشروق – بيروت- القاهرة.

٣-ثالثًا: حال المؤمن الذي استقامت فطرته.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥] .

في هذه الآية الكريمة بيان لحال المؤمن الذي استقامت فطرته على التّوحيد فشرح الله صدره للإسلام ونوّر طريقه وتولّاه بالخير، وأمّا من امتنع عن قبول الإيمان، واتّجه إلى الضلال فإنّ الله يزيده ضلالًا ويجعل صدره ضيّقًا منقبضًا، ومثله في ذلك كمثل الذي يصّعّد في السماء يجد ضيق الصدر كلّما زاد صعودًا حتّى ينقطع نفَسُه فلا يقدر على التنفس(١).

والله يؤيّد أهل التوحيد ويزيدهم هدى وإيمانا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧] .

أمّا أهل الضلال فالشيطان مسلّط على قلوبهم ممسك بخناقهم، كما قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩] .

٤-رابعًا: نماذج لأنواع الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[النور:٣٩-٤٠].

هذان مثلان ضربهما الله ﷻ لنوعي الكفار، فأمّا المثل الأول فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنّهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وما هم إلّا كسراب في أرض مبسوطة، يلتمع التماعًا كاذبًا، فيتبعه صاحبه الظّامىء، وهو يتوقّع الرّي، ويجري وراءه وقتًا طويلًا يطلبه فلا يظفر به، ثمّ يُفَاجأ بعد طول عناء بأنّه كان يسير وراء وهم خادع وأنّ الذي يحصل عليه هو عذاب الله ومقته، وهذا هو حال المنحرفين عن التّوحيد يظنّون أنّهم بمبادئهم الضالّة سينالون السعادة وسكينة النّفس والحياة الطّيبة فلا يظفرون إلّا بالحسرات والشّقاء.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص١٧٤، وفي ظلال القرآن، ج٣، ص١٢٠٤.

وأمّا المثل الثاني فهو لأصحاب الكفر من الأتباع وعامة النّاس، المقلّدين لأئمّة الضلال، السائرين خلفهم بعماية وطيش، حتى أظلمت قلوبهم وختم الله عليها، واجتمعت عليهم ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض كما تجتمع الظلمة في قاع البحر العميق الذي تعلوه الأمواج المتلاطمة، إذا أخرج أحد يده في هذه الظلمة لم يكد يراها، وهو مثل قلب الكافر المقلّد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب.

وهذا تصوير في غاية الدقة والشمول لحال الكافر ومآله، فهو يتقلّب في ظلمات من الجهل والشك والحيرة والضياع، كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، وطريقه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى أشدّ الظلمات(١).

٥-خامسًا: نموذج لبيان حال الموحّد والمشرك.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر:٢٩].

وهذا مثل يضربه الله سبحانه للعبد الموحّد والعبد المشرك، فالموحّد مثله كمثل عبد يملكه سيّد واحد لا ينازعه آخر فيه، إذا أطاعه عرف ذلك له، ينعم بالراحة والاستقرار، وتجتمع طاقاته على عمل واحد محدود، وأمّا المشرك فمثله كعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضًا، وهو بينهم حائر، لكل منهم فيه توجيه، ولكلّ منهم عليه تكليف، فهو لا يرضي هذا ولا ذاك مهما بذل من جهد، ولا يلقاه واحد منهم إلّا جرّه واستخدمه، فكيف يوفّق بين أهوائهم المتنازعة المتشاكسة التي تمزّق اتّجاهاته وقواه ؟!

إنّه مثل غاية في البراعة لتصوير حقيقة التّوحيد وحقيقة الشرك، فالقلب الموحّد هو الذي يحيا على هدى، ويستمد العون من الله وحده، وبذلك تجتمع طاقته وتتوحّد ويقف ثابت القدمين مستقرّا ينعم باليقين ووضوح الطّريق، والقلب المشرك يخضع للأهواء ويُستَذَل لعبوديّات البشر فهو مُعَذّب قلق لا يستقر على حال ولا يظفر بمآل(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٩٦، وفي ظلال القرآن، ج٤، ص٢٥٢١، والقرطبي، ج١٥، ص٢٥٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤، ص٥٢، والقرطبي، ج١٥، ص٢٥٢، والظلال، ج٥، ص٣٠٤٩.

الخلاصة:

يخلص الباحث مما سبق إلى أنّ:

١- التوحيد هو أصل كل زكاة ونماء، وأصل لما تزكو به القلوب والأرواح، فالمؤمن إذا وحّدَ الله توحيدًا خالصًا تحصّل على محبة الله فيطمأنّ قلبه وتصفو نفسه وفي ذاك تزكية له.

٢-والتوحيد الخالص أيضًا يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رقّ العباد فيكون المؤمن مع الناس حرا عزيزا كريما، ومع الله عبدا خاضعا ذليلا وفي هذا تزكية لنفسه وارتقاء بها.

٣-والتوحيد الخالص لله كذلك يؤدي إلى معرفة الله بصفاته الواجبة له مع تنزيهه عمّا يستحيل اتصافه به، وفي هذا تزكية للنفس البشرية أيّما تزكية.

٤-والتوحيد يؤدي إلى حصول اليقين فمن صفا في التوحيد صفا له اليقين.

٥-والإنسان الموحد يكتب الله له العز والتمكين والنصر المبين فيتولّى الله أمره في كل حين.

٦-والتوحيد الخالص لله يعمل على قطع الطمع عن الدنيا ويؤدي إلى التجرد للآخرة.

ثانيًا: الصلاة والزكاة والإنفاق:

١- الصلاة:

أ-الصلاة لغة:

قال ابن فارس: (صَلَى) الصَّاد وَاللَّام وَالْحَرْف الْمُعْتَلّ أَصْلَان: أَحَدهمَا النَّار ومَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْحُمَّى، وَالْآخِر جِنْس مِن الْعِبَادَة.

فَأَمَّا الْأَوَّل فَقَوْلُهم: صَلَيْتُ الْعُودَ بِالنَّار. وَالصَّلَى صَلَى النَّار. وَاصْطَلَيْتُ بِالنَّار. وَالصِّلَاء: مَا يُصْطَلَى بِهِ وَمَا يُذْكَى بِه النَّار وَيُوقَد.وَأَمَّا الثَّانِي: فَالصَّلَاة وَهِيَ الدُّعَاء. فقد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي: ﷺ قَال: (إِذَا دُعِي أَحَدُكُم إِلَى طَعَام فَلْيُجِب، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ)[١] يَعْنِي: الدُّعَاء أي فليدع لهم بالخير والبركة"[٢].

وقال صاحب كتاب دليل الحيران أنّ: "الصلاة لغة لها عدة إطلاقات:

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، باب ما جاء في إجابة الصائم، ج٣، ص٤١٣، دار الكتب العلمية – بيروت. قال الألباني: صحيح، انظر مشكاة المصابيح، للتبريزي، تحقيق: الألباني، ج١، ص٦٤١.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٠٠.

أ-إذا أطلقت من الله فهي: رحمة.

ب-إذا أطلقت من الملائكة فهي: استغفار.

ت- إذا أطلقت من العبد فهي: دعاء"[1].

وقد جمع حمد الصاعدي أشهر الأقوال التي قيلت في أصل الصلاة لغة فقال: اختلف علماء اللغة في أصل الصلاة: فقيل: الصلاة الركوع والسجود.

وقيل: أصل الصلاة الدعاء مأخوذة من (صَلَّى) يُصَلِّي إذا دعا.

وقيل: أصلها التعظيم وسُمِّيَت الصلاة المخصوصة صلاةً لما فيها من تعظيم الرب تعالى

وقيل: الأصل في الصلاة اللزوم، يقال: قد صَلِيَ واصطلى إذا لزم، ومن هذا مَن يُصْلَى في النار أي يلزم النار[2].

ب-الصلاة شرعا:

عرَّفها العلماء بأنها:" أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم "[3].

وأرادوا بالأقوال: القراءة، والتكبير، والتسبيح، والدعاء، ونحوه.

وبالأفعال: القيام، والركوع، والسجود، والجلوس، ونحوه[4].

ويربط صاحب كتاب دعائم التمكين بين الصلاة في اللغة والشرع فيقول:

"وإذا نظرنا إلى معنى الصلاة لغةً وشرعاً، وجدنا الصلة بينهما وثيقة؛ فالدعاء، واللزوم، والتعظيم، كلها معانٍ موجودة في الصلاة بمعناها الشرعي، وأُطْلِقَت على الصلاة، كلها من باب تسمية الشيء ببعض أجزائه"[5].

---

(١) دليل الحيران على مورد الظمآن، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي، ج١، ص٣٤، دار الحديث- القاهرة.

(٢) دعائم التمكين، حمد بن حمدي الصاعدي، ص٥٥، ط١٠، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. بتصرف.

(٣) شرح المنهاج، أحمد بن حجر الهيثمي، ج١، ص٤١٥، بدون طبعة، ١٣٥٧ه-١٩٨٣م، المكتبة التجارية الكبرى.

(٤) انظر: نضرة النعيم، ص٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص٥٥.

ت-استعمالات القرآن الكريم للفظة الصلاة.

لم يقصر القرآن الكريم إطلاق لفظ "الصلاة" على الصلوات الخمس المفروضة؛ بل أطلقه عليها وعلى غيرها، كما لم يقصر التعبير عن الصلاة المفروضة على لفظ "الصلاة" وحدها؛ بل عبَّر عن الصلاة المفروضة بألفاظ أخرى غير لفظ "الصلاة":

حيث جاء لفظ "الصلاة" في القرآن مراداً به عِدَّة معانٍ:

الأول: الصلاة بمعنى الدعاء، قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [التوبة:١٠٣] أي ادع لهم.

الثاني: بمعنى الاستغفار قال تعالى: ﴿ **...ويتّخِذ ما ينفق قُرُبات عندَ اللهّ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ...** ﴾[التوبة: ٩٩] أي استغفاره لهم.

الثالث: بمعنى بيوت الصلاة أو الكنائس قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج:٤٠].

الرابع: بمعنى الإسلام، قال تعالى: ﴿ **فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى** ﴾ [القيامة:٣١].

الخامس: بمعنى الدين، قال تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾ [هود:٨٧].

السادس: بمعنى القراءة: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** ﴾[الإسراء:١١٠].

أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن.

السابع: بمعنى الصلاة الشرعية أو الصلوات الخمس، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾[البقرة:٣]، وكذلك كل صلاة قُرِنَت بذكر الزكاة.

الثامن: الصلاة بمعنى صلاة الأمم الماضية قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾ [مريم:٣١]، وهذا بالنسبة لإطلاق لفظ الصلاة في القرآن على معانٍ متعددة ومنها المعنى الشرعي(١).

وحين نتأمل في هذا التعبير القرآني ندرك اهتمام القرآن بالصلاة وتفخيمه لشأنها لفظاً ومعنى، فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشّهادتين، بل هي عمود الإسلام، إذ هي صلة بين العبد وربه، يكررها كل يوم خمس مرات، يجدد فيها إيمانه، ويطهر فيها نفسه من أدران الذنوب، وتحول بينه وبين الفواحش والآثام، فإذا استيقظ العبد من نومه في صباحه مثل بين يدي ربه طاهرا نظيفا قبل أن ينشغل بحطام الدنيا ثم كبر ربه، وأقر بعبوديته واستعانه واستهداه، وجدد ما بينه وبين ربه من ميثاق الطاعة والعبودية ساجدا وقائما وراكعا، يكرر ذلك في كل يوم خمس مرات.

والصلاة مفتاح الجنّة وأوّل ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله، وهي العبادة الوحيدة التي فُرِضت في السماوات العُلَى ليلة الإسراء والمعْراج، وهي العبادة التي شُرِع لها الأذان، وشُيّدت لها المساجد، كما أنّها العبادة الوحيدة التي لا تسقط عن المُكَلّف في حضر ولا سفر، ولا غنى ولا فقر، ولا صحّة ولا مرض، ولا أمن ولا خوف.

وقد أمر الله ﷻ بهذه الفريضة وحضّ عليها وبيّن منزلتها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، أذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

١-قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة:٤٣].

٢-قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٨].

٣-﴿... **فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾ [النساء:١٠٣].

كما وردت أحاديث كثيرة في بيان مكانة الصلاة في الإسلام وفضلها وأحكامها والتّحذير من تركها ومن ذلك:

١-ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النّبي ﷺ: (أي العمل أفضل ؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثمّ أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثمّ أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)(٢).

---

(١) انظر: دعائم التمكين، ص٥٦-٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ج٤، ص١٤، ح٢٧٨٢.

٢-وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إنّ أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر...)(١).

ويتحدّث صاحب أصول الإسلام عن الصلاة قائلًا: "ولأداء هذه الصلاة يلزم المسلم أن يكون متطهرا في قلبه وبدنه وثوبه ومكان صلاته، وأن يؤديها المسلم جماعة مع إخوانه المسلمين - إن تيسر له ذلك - متوجهين بقلوبهم إلى ربهم، ومتوجهين بوجههم إلى الكعبة المشرفة بيت الله، فالصلاة قد وضعت على أكمل الوجوه وأحسنها التي تعبد بها الخالق تبارك وتعالى عباده، من تضمنها للتعظيم له بأنواع الجوارح، من نطق اللسان، وعمل اليدين والرجلين والرأس وحواسه، وسائر أجزاء بدنه، كل يأخذ حظه من هذه العبادة العظيمة. فالحواس والجوارح تأخذ بحظها منها، والقلب يأخذ حظه منها، فهي مشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير، وشهادة الحق، وقراءة القرآن الكريم، والقيام بين يدي الرب مقام العبد الذليل الخاضع للرب المدبر، ثم التذلل له في هذا المقام والتضرع والتقرب إليه، ثم الركوع والسجود والجلوس خضوعا وخشوعا واستكانة لعظمته وذلا لعزته، قد انكسر قلبه، وذل له جسمه، وخشعت له جوارحه، ثم يختم صلاته بالثناء على الله، والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ، ثم يسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة"(٢).

ويرى الباحث أنّ المسلم الذي يتواصل باستمرار في أدائه للصلاة بكل هيئاتها وأركانها فإنّه يتحصّل على التزكية في أجلى صورها وأعلى درجاتها.

وقد تحدّث عبد العزيز بن محمد السلمان في كتابه موارد الظمآن لدروس الزمان عن ثمرات الصلاة وفوائدها حيث قال:" هَذِه الصَّلاة التي هِي آكَدُ أركَان الإِسْلام بَعْد الشَّهَادَتَيْن وَهِي عَمُود الإِسْلام قَدْ أَعْرَض عنها الكثيرُ مِنْ النَّاس غير مُبَالين بِذَلِك جَهِلُوا مَا هِي الصَّلاة وأيُّ قِيمَة قِيْمَتُها وَمَا مَنْزِلَتُها بَيْنَ الطَّاعَات، وما علموا أَنَّهَا الصِّلَة بين العبد وبين ربِّه ولذلك هي تُطَهِّر الْمُصَلِّي مِنْ جَمِيع ذُنُوبه إِذَا اجْتُنِبَت الْكَبَائِر كَالزِّنَا واللِّواط وَأَكْل الرِّبَا.

وَيَزِيدك مَعْرِفة بها أن تَعْرِف مَالَها مِنْ مُتَعَلِّقَات ذلك أَنَّه إِذَا تَوَضَأ لَها ذَهَبَت ذُنُوب أَعْضَاء وُضُوئِه مَعَ ذِهَاب الْمَاء فَإِذَا تَشَهَّد بَعد الْوُضُوء فُتِحَت لَه أَبْوَاب الْجَنَّة يَدْخل من أَيُّهَا شَاء فَإِذا

(١) الجامع الكبير-سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أنّ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ج١، ص٥٣٥، ح٤١٣، تحقيق: بشار عواد معروف، ١٩٨٩م، دار الغرب الإسلامي بيروت. قال الألباني: صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، ج١، ص٤١٩، ح١٣٣٠.

(٢) الإسلام أصوله ومبادؤه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ج٢، ص١٢٣، ط١، ١٤٢١ه، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية.

مَشى إِلَى الْمَسْجِدِ كان له بِكُل خَطْوَة يَخْطُوها تَحُطُّ عنه خَطِيئة وَرُفِع له دَرَجَة فَإِذَا انْتَظَر الصَّلاة فَإِنَّه لا يَزَال في صلاة.

وَأَمَّا الْمُؤَذِّنون فَهُم أَطْوَل النَّاس أَعنَاقًا يَوْم الْقِيامَة وَيَشْهَد لَهُم كل مَا يَسْمَعُهُم حتَّى الأَشْجَار والأَحْجَار.

ومن قَال مِثْل مَا يَقُول الْمُؤَذِّن ثُمَّ دعا عَقِبَه وَجَبَت لَه شَفَاعة النَّبي ﷺ وَأَمَّا "قَمُّ"(١) الْمَسْجد وَتَنْظِيفه فهو مهر الْحُور الْعِين فِي الْجَنَّات، وورد من حديث جابر بن عبدالله أنّ رسول الله ﷺ قال: (ومن بنى مَسجدًا لله وَلَو كَمَفْحَص قَطَاة(٢) أو أصغر بَنى الله له بَيْتًا فِي الْجَنَّة)(٣).

وقد أكّد سعيد حوّى في كتابه المستخلص على أهمية الصلاة في تطهير النفوس وتزكيتها حيث قال: " الصلاة هي الوسيلة العظمى في تزكية النفس، وهي في الوقت نفسه علم وميزان على تزكية النفس، فهي وسيلة وغاية في آن واحد، فهي تعميق لمعاني العبودية والتوحيد والشكر، وهي ذكر وقيام وركوع وسجود وقعود.

فهي إقامة للعبادة في الهيئات الرئيسة لوضع الجسد، وإقامتها قطع لدابر الكبر والتمرد على الله واعتراف لله بالربوبية والتدبير فإقامتها على كمالها وتمامها قطع لدابر العجب والغرور بل قطع لدابر المنكر كله والفحشاء كله، قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

ويستطرد الأستاذ سعيد حوى في توضيح هذه النقطة قائلا: وإنما تكون الصلاة كذلك إذا أقيمت بأركانها وسننها وتحقق صاحبها بأدب الظاهر والباطن، ومن آداب الظاهر أداؤها كاملة بالجوارح، ومن آداب الباطن الخشوع فيها، فهو يجعل للصلاة الدور الأكبر في التطهير قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾[المؤمنون:١- ٢].

وأهل الخشوع هم أهل البشارة من الله، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الحج:٣٤- ٣٥](٤).

---

(١) قَمّ البيت أي كنس، انظر: معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤.

(٢) يعني موضعها الذي تجثم فيه، وإنّما سُمّي مفحصًا لأنّها لا تجثم حتى تفحص عنه التراب. انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد خان، ط١، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجدًا، ج١، ٢٢٤.

(٤) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص٣٥- ٣٦.

ث-الشروط الواجب تحققها في الصلاة لكي تؤدّي دورها في تزكية النفس.

من أهمّها شرطان:

الشرط الأول: إتمام الصلاة وإتقانها والمحافظة عليها وعدم التّهاون فيها، مع أدائها على الوجه المطلوب في الإخلاص والمتابعة للكتاب والسنّة.

ولذلك لمّا ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين الذين لا يصيبهم الهلع في دنياهم جعل من أولى هذه الصفات المداومة على الصلاة، ثم ختم تلك الصفات بذكر المحافظة على الصلاة أيضًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج:١٩-٢٣]، ثمّ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج:٣٤-٣٥].

والمحافظة على الصلاة تشمل أمورًا كثيرة منها:

أ-أداؤها على الوجه الشرعي والالتزام بأحكامها، وعدم سبق الإمام.

ب-أداؤها في أول وقتها دون تأخير أو تهاون، ولذلك قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤- ٥].

الشرط الثاني: الخشوع في الصلاة.

روح الصلاة الخشوع والتدبر وحضور القلب، والصلاة بغير خشوع كجسد بلا روح، ولا فلاح للمؤمن إلّا بالخشوع في صلاته، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١ -٢].

وإذا كان الخشوع في الصلاة ثمرة من ثمرات تزكية النّفس، ولا يحظى بالخشوع الكامل إلّا من ذاق حلاوة الإيمان، فإنّ استجلاب الخشوع، وتدريب النّفس عليه، ومجاهدتها للوصول إليه ضرورة لا بدّ منها لكي تحقق الصلاة ثمارها في تزكية النفس وصلاح القلب.

أسباب نيل الخشوع في الصلاة:

من أبرز هذه الأسباب الآتي:

١-**استشعار أهمّية الصلاة** وأنها صلة بين العبد وربه ومناجاة لخالقه، وراحة لنفس المؤمن وتكفير للسيئات ورفع للدرجات، وحاجز عن المعاصي، وتشريف للعبد، قال تعالى: ﴿الذينَ آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر اللهّ ألَا بِذكرِ اللهّ تطمئنّ القلوب﴾ [الرعد:٢٨].

٢-**دفع الخواطر** وعدم الانشغال بالأمور التي تسبب هذه الخواطر وتشتت الذهن من أصوات ومناظر ونقوش وغيرها، وتركيز البصر في موضع السجود وعدم الالتفات أو رفع البصر إلى أعلى.

٣-**تدبر الآيات التي يتلوها المسلم في صلاته** والتفكّر في معانيها، وممّا يساعد في ذلك حضور القلب، واختيار بعض الآيات القرآنية التي تقرع المسامع وتهز القلوب، وقد وصف الله عباده المتقين فقال: ﴿... إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨].

٤-**يقين المسلم بأنّ هذه الصلاة سيسأل عنها يوم القيامة**، واستحضاره مشهد الوقوف للحساب، وأنها قد تكون آخر صلاة يصليها في هذه الدنيا، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال:(أول ما يُسأل العبد عنه ويحاسب به صلاته، فإن قُبِلت منه قبل سائر عمله وإن ردت عليه رد سائر عمله)[١]

ج-أثر الصلاة في تزكية النفس.

من أبرز آثارها في تزكية النفس ما يلي:

١-الاستجابة لأمر الله ﷻ وإظهار العبودية له.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشّورى:٣٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

[١] سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ج٣، ص٢٤٦.

٢- مناجاة العبد لربه.

ولا شك أنّ هذه المناجاة من أعظم أسباب تزكية النفس وتقوية الإيمان، إذا هيّأ العبد نفسه لها، ولم ينشغل في صلاته بالتفكير بالدنيا.

٣-طمأنينة النفس وراحتها.

الصلاة تمد الإنسان بقوة روحية وتمنحه طمأنينة النفس وراحتها، وتعينه على مواجهة متاعب الحياة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

٤-الصلاة حاجز عن المعاصي.

عندما يؤدّي العبد الصلاة وترتاح بها نفسه، فإنّها تمده بقوة دافعة لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات، وتغرس في قلبه مراقبة الله ﷻ ورعاية حدوده، قال تعالى: ﴿... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ...﴾ [العنكبوت:٤٥].

٥-الصلاة تكفير للسيئات ورفع للدرجات.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:١١٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة)[١].

٦-الصلاة تطهر النفس من الأنانية والأحقاد.

اللقاء المتكرر بين المصلين في المساجد يزيد المحبة، ويقوّي روابط الأخوة، ويوثّق الروابط الاجتماعية، ويزيل الفوارق المادّية[٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، ج١، ص٤٦٢، ح٦٦٦.

(٢) انظر: منهاج الإسلام في تزكية النفس، أنس كرزون، ص٢٤٠-٢٤٣

يخلص الباحث إلى أنّ:

١-المؤمن بصلاته أبعد الناس من المحرمات والفواحش والزنا واللواط وشرب الخمر والدخان والميسر وقول الزور والسرقة والقتل والقذف واستماع آلات اللهو والموسيقى والتلفزيون، وأبعد الناس عن الغش والربا والبخس والمكر والخداع وغيرهما مما يخل بالدين أو ينقص المروءة والشرف، وفي هذا من التزكية ما فيه إذ من غير المعقول أن من بلغ به حبه في الاستقامة أن يقف أمام الله ويستهديه طريق الهداية ويركع ويسجد له بما هو أهله أن يُرَى بعد ذلك جوالا في طرق الغواية والمآثم التي يرتادها الفسّاق الذين مردوا على الفجور وتفننوا فيه، قال تعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

٢-الصلاة نور تُضيء لصاحبها طريق الهداية، وتحجزه عن المعاصي وتهديه إلى العمل الصالح وتُؤدّي دورها في تزكية النّفس ويتحقّق ذلك في قول الرسول ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو مالك الأشعري: (... والصلاة نور...)(١).

وقد أكّد هذا المعنى الإمام النّووي في شرحه على مسلم، وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، حيث اعتبرا الصلاة نور تضيء لصاحبها طريق الهداية وتبعده عن المعاصي وترشده إلى العمل الصالح.

٣-وهي نور في قلبه بما يجد من حلاوة الإيمان ولذة المناجاة لربّه، وهي نور بما تمنح النّفس من تزكية وطمأنينة وراحة وسكينة، وهي نور ظاهر على وجه المُقيم لها في الدنيا، تتجلّى بها وضاءة الوجه وبهاؤه بخلاف تارك الصلاة.

٤-وهي نور له يوم القيامة، ويتحقّق ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢](٢).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج١، ص٢٠٣، ح٢٢٣.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد ارحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ج٢، ص٢٢، ط٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-إبراهيم باجس، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م، مؤسّسة الرسالة-بيروت، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، ج٣، ص١٠٠، ط٢، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٢- الزكاة:

أ-الزكاة لغة:

النَّمَاء، يُقَال: زَكا الزَّرع إِذَا نَما، وبمعنى التَّطْهِير وقد سبق الحديث عن ذلك في بداية البحث، مما أغنى عن تكراره هنا(١).

ب-الزكاة شرعا:

بِالِاعْتِبَارَيْن، أَمَّا الأول فَلِأَنّ إِخْرَاجَها سَبَب النَّمَاء فِي الْمَال فَسُمِّيَت زَكَاة بِمَا يَؤُول إِلَيْه إِخْرَاجها. وَأَمَّا الثَّانِي: فَلِأَنَّهَا طُهْرة النَّفْس مِنْ رَذِيلة الْبُخْل، وَتَطْهِير مِن الذُّنُوب. وقد سبق التفصيل في ذلك(٢).

ت-أسماء الزكاة:

والزكاة لها أسماء عديدة ذكرها الزرقاني في شرحه على موطأ مالك منها:

١-**الزَّكَاة:** قال تَعَالَى:﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [البقرة:٤٣].

٢- **الصَّدَقَةُ:** ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [التوبة:١٠٣].

٣- **الْحَقُّ:**﴿ **وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ** ﴾[الأنعام: ١٤١].

٤- **النَّفَقَةُ:** مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ...**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة:٣٤](٣).

وقد تحدث عنها أيضا صاحب كتاب الإسلام أصوله ومبادئه قائلا: "الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، ويجب على المسلم الغني أن يخرج زكاة ماله، وهي جزء يسير جدا، ويدفعها إلى الفقراء والمساكين وغيرهم ممن يجوز دفعها إليهم.

---

(١) انظر: ص٣ من الرسالة.

(٢) انظر: ص٤ من الرسالة.

(٣) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ج٢، ص١٣٧، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة. بتصرف يسير.

ويجب أن يدفعها المسلم إلى مستحقها طيبة بها نفسه، ولا يمن بها على أهلها، ولا يؤذيهم بسببها، ويجب أن يدفعها المسلم ابتغاء رضوان الله، لا يريد بذلك جزاء ولا شكورا من الخلق؛ بل يدفعها خالصة لوجه الله لا رياء ولا سمعة.

وفي إخراج الزكاة استجلاب للبركة، وتطييب لنفوس الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وإغناء لهم عن ذل السؤال، ورحمة بهم من التلف والعوز إذا تركهم الأغنياء، وفي إخراج الزكاة اتصاف بصفات الكرم والجود والإيثار والبذل والرحمة، وتخل عن سمات أهل الشح والبخل والدناءة، وفيها يتكاتف المسلمون، ويرحم غنيُّهم فقيرَهم، فلا يبقى في المجتمع – إذا طبقت هذه الشعيرة – فقير معدم، ولا مدين مرهق، ولا مسافر منقطع"(١).

ويخلص الباحث من ذلك أنّه من خلال تطبيق شعيرة الزكاة تزكو نفس المسلم ويتخلّق بصفات حميدة كالإيثار والبذل والعطاء والكرم والسخاء.

ويقول صاحب الكشاف: " الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: القدر الذي يخرجه المزكى من النصاب إلى الفقير والمعنى: فعل المزكى الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله، فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره، لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل، تقول للضارب: فاعل الضرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكى: فاعل التزكية. وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث: من فاعل هذا؟ فيقال لك: فاعله الله أو بعض الخلق".(٢)

ويرى الباحث أنّ الطهارة والتزكية بمعنى واحد، ولكن تكون التزكية بمعنى النماء، والتطهير بمعنى النقاء، فهي تزكي مال الغني بما أنفق وتطهر قلبه من الشح، وتطهر قلب الفقير من الحقد والحسد على هذا الغني فيما أعطاه الله، فإذا ما أخذ الزكاة كان قلبه طيباً لا يحقد على الغني، بل يتمنى له الزيادة.

يقول سعيد حوى: والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون من الموت مع أنّ فيه لقاء المحبوب. وقد انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما، ولهذا تصدق أبو بكر الصديق ﷺ عنه بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه بشطر ماله، حيث أخرج أبو داود في

---

(١) الإسلام أصوله ومبادئه، محمد السحيم، ج٢، ص١٢٥.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ج٣، ص١٧٦، ط٣، ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

سننه من حديث عمر بن الخطاب أنّه قال: (أَمَرَنَا رَسُول اللَّه ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّق، فَوَافَق ذَلِك مَالًا عِنْدِي، فَقُلْت: الْيَوْم أَسْبِق أَبَا بَكْر إِنْ سَبَقْتُه يَوْمًا، فَجِئْت بِنِصْف مَالِي، فقال رسول اللَّه ﷺ «مَا أَبْقَيْت لِأَهْلِك؟»، قُلْت: مِثْلَه، قَال: وَأَتَى أَبُو بَكْر ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَه، فَقَال له رَسُول اللَّه ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِك؟» قَال: أَبْقَيْت لَهُم اللَّه وَرَسُولَه، قُلْت: لَا أُسَابِقُك إِلَى شَيْء أَبَدًا)(١).

أما القسم الثاني فدرجتهم دون درجة القسم الأول وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات، فيكون قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة.

أما القسم الثالث فهم الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب، وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال تعالى:﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد:٣٧].

وقد أمر الله بإخراج الزكاة لأنها تطهر الإنسان من صفة البخل فإنّه من المهلكات قال تعالى: ﴿ ...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[التغابن:١٦]، وتزول صفة البخل بأن يتعود الإنسان بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا. فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى(٢).

ث-اقتران الزكاة بالصلاة.

ولأهمّية الزكاة فقد ذكرت في آيات القرآن مقرونة بالصلاة، وذلك في اثنتين وثمانين آية، منها قوله تعالى:

١-﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ...﴾ [التوبة:١١].

٢-﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣].

٣-﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك، ج٢، ص١٢٩، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. قال الألباني: حديث حسن، انظر: مشكاة المصابيح، ج٣، ص١٦٩٩، ح٦٠٣٠.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، ص٥٨-٥٩. بتصرف.

ج-الشروط الواجب توفرها في الزكاة حتّى تثمر ثمراتها في تزكية النّفس.

يحدّثنا عن ذلك الدكتور أنس كرزون قائلًا: الزكاة حتّى تثمر ثمراتها في تزكية النفس لا بدّ أن يتحقق فيها شرطان:

الشرط الأول: البعد عن الرياء والتباهي والمنّ على الفقير.

فالمتصدّق عندما يتباهى بصدقته ويرائي بها أمام النّاس، ويمنُّ بها على الفقراء محتقرًا لهم ومتعاليًا عليهم، فإنّ هذا يبطل الصدقة ويضيع أجرها ويُذهب الآثار والثمرات المرجوّة منها في تزكية النّفس، بل يجعل صاحبها متعرّضًا لسخط الله وعقوبته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ ...﴾ [البقرة:٢٦٤].

وقال سبحانه مبيّنًا أنّ أجر الصدقة وثوابها لا يناله إلّا من أخلص فيها وخلّصها من المن والأذى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢].

الشرط الثاني: أن ينفق ممّا يحب، وأن تكون نفسه راضية.

ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢].

فالبر الذي هو جماع الخير لا يُنال إلّا بأن يبذل المسلم ما يحبّه من المال سخيّة بذلك نفسه، وبذلك يتحرّر من العبوديّة للمال ومن شحّ النفس وحب الذات. وهي آفات خطيرة تعوق مسيرة التزكية وتقف في طريقها(١).

ح-أثر الزكاة في تزكية النّفس.

الزكاة تزكية وتنقية وتطهير لنفس الغني وماله، وفي نفس الوقت تطهر نفس الفقير من الحسد والحقد على الغني فهي:

(١) منهج الإسلام في تزكية النفس، الدكتور أنس أحمد كرزون، ج١، ص٢٣٦-٢٣٩، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار ابن حزم-بيروت.

١-اختبار عملي لاستجابة المؤمن لأمر ربه.

فالله هو الخالق والرازق والمالك الحقيقي لهذا المال، حيث جعله وديعة يمتحن به نفوس العباد، قال تعالى: ﴿... وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ ...﴾ [النور:٣٣]، وقال في موضع آخر: ﴿... وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...﴾ [الحديد:٧]، وقال في موضع ثالث: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨].

فالغني ممتحَن بغناه، والفقير ممتحَن بفقره، والمال مال الله، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ...﴾ [البقرة:٢٤٥]، وقال في موضع آخر ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾ [التوبة:١١١].

٢-تطهير النفس من آفة الشّح.

الزكاة تدريب عملي على البذل والعطاء وحب الخير للنّاس، وعدم الجري وراء الدنيا، والتنافس على متاعها، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

٣- تطهير نفس الفقير وتزكيتها.

فالزكاة ليست مقصورة على تزكية نفس الغني فحسب، وإنّما هي تطهير لنفس الفقير من آفة الحسد والضغينة على الأغنياء إذا أُدِّيَت بشروطها وآدابها، وكذلك تطهّر نفسه وتغنيه من أن يمدَّ يده للآخرين، وفي ذلك تحقيق العفّة لهم من التسوّل والوقوف على أبواب النّاس.

٤-شكر النعمة ومعرفة قدرها.

ويتّضح ذلك من خلال مقارنة صاحب المال حاله بما يجده من أحوال الفقراء المعدمين الذين ابْتُلُوا بالفقر والبؤس، ولولا أنّه مكلف شرعًا بتفقد أحوالهم ومساعدتهم لما أدرك عظيم النعمة التي هو فيها.

وكما أنّ الصحة لا تُدرك قيمتها كاملة إلّا بالإصابة بالمرض أو برُؤْية أحوال المرضى والنظر في أوضاعهم، وكذلك نعمة الغنى لا تُدْرَك قيمتها إلّا بالنظر في أحوال الفقراء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] .

وهكذا تؤدّي الزكاة دورها في تزكية النفس، واستقامة السلوك، وإصلاح الفرد والمجتمع.

٣- الإنفاق:

أ-الإنفاق لغة:

قال ابن فارس: "(نَفَق) النُّون وَالْفَاء وَالْقَاف أَصلَان صَحِيحَان، يَدُلُّ أَحَدُهما على انْقِطَاع شَيْء وَذَهَابه، وَالْآخَر عَلَى إِخْفَاء شَيْء وَإِغْمَاضه. ومتى حُصِّل الْكَلَام فِيهِمَا تَقَارَبَا.

فَالْأَوَّل: نَفَقَت الدَّابَّة نفوقًا: مَاتَت، وَنَفَق السِّعر نَفاقًا، وَذَلِك أَنَّه يَمْضي فلا يَكسُد ولا يَقِف. وَأَنْفَقُوا: نَفَقَت سُوقُهم. وَالنَّفَقَة لِأَنَّها تَمْضِي لِوَجْهِهَا. وَنَفَق الشَّيْءُ: فَنِيَ يُقَالُ قَدْ نَفِقَت نَفَقَة الْقَوْم. وَأَنْفَق الرَّجل: افْتَقَر، أَيْ ذَهَب مَا عِنْدَه، ومنه قَوْلُه تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾[الإسراء:١٠٠].

والأصل الْآخَر النَّفَق: سَرَب فِي الْأَرْض لَه مَخْلَص إِلَى مَكَان. ومنه اشْتِقَاق النِّفَاق، لِأَنَّ صَاحِبه يَكْتُم خِلَاف مَا يُظْهِر، فَكَأَنَّ الْإِيمَان يَخْرُج منه، أَوْ يَخْرُج هو من الْإِيمَان فِي خَفَاء. وَيُمْكِن أَنَّ الْأَصْل فِي الْبَاب وَاحِد، وَهُوَ الْخُرُوج"(١).

قال ابن منظور في لسان العرب: "والنُّفَقَة والنَّافِقَاء: جُحْر الضَّبّ واليَرْبوع، وَقِيل: مَوْضِع يُرَقِّقه الْيَرْبُوع مِن جُحره".(٢)

ب-النفقة شرعا:

عرفها صاحب كتاب دليل الفالحين قائلا: "هي إخراج المال الطّيّب في الطّاعات والمباحات"(٣).

وجاء في نضرة النّعيم أنّ: "النّفقة هي سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن على من يعول من زوجة وولد وخادم "(٤) .

ت-من معاني النفقة في القرآن الكريم:

وردت معاني النّفقة في القرآن على وجوه منها:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤٥٤.

(٢) لسان العرب، ج١٠، ص٣٥٨.

(٣) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ج٢، ص٥١٤، ط٤، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج٣، ص٥٩٨.

١-**بمعنى فرض الزّكاة:** قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة:٣]، أي يزكّون ويتصدّقون.

٢- **بمعنى التّطوّع بالصّدقات:** قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران:١٣٤]، أي يتطوّعون بالصّدقة وشبهها: قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[الرعد:٢٢].

٣-**بمعنى الإنفاق في الجهاد:** قال تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥]، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:٢٦٢].

٤-**بمعنى الإنفاق على العيال والأهل:** قال تعالى: ﴿**...وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...**﴾[الطّلاق:٦]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾[الطّلاق:٧].

٥- **بمعنى الفقر والإملاق:** كقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا**﴾ [الإسراء:١٠٠][(١)].

قال ابن القيّم- رحمه الله تعالى- في معنى قوله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[البقرة:٢٤٥]، صدّر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمّن معنى الطّلب، وهو أبلغ في الطّلب من صيغة الأمر. والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازى عليه أضعافا مضاعفة ؟

وسمّي ذلك الإنفاق قرضا حسنا حثّا للنفوس، وبعثا لها على البذل؛ لأنّ الباذل متى علم أنّ عين ماله يعود إليه سهل عليه إخراجه، فإن علم أنّ المستقرض مليء وفيّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أنّ المستقرض يتّجر له بما اقترضه، وينمّيه له ويثمّره حتّى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنّه مع ذلك كلّه يزيده من فضله وعطائه أجرا آخر من غير جنس القرض، فإنّ ذلك القرض حظّ عظيم، وعطاء كريم؛

(١) انظر: نضرة النّعيم، ج٣، ص٥٩٨.

فإنّه لا يتخلّف عن قرضه إلّا لآفة في نفسه من البخل والشّحّ، أو عدم الثّقة بالضّمان. وذلك من ضعف إيمانه. ولهذا كانت الصّدقة برهانا لصاحبها[١].

والإنفاق تحدّث عنه سيد قطب في الظلال حيث قال: لقد وردت آيات كثيرة تحضّ عليه منها: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢١٥].

فالإنفاق في مثل الظروف التي نشأ فيها الإسلام ضرورة لقيام الجماعة المسلمة في وجه تلك الصعاب والمشاق والحرب التي كانت تواجهها وتكتنفها ثم هو ضرورة من ناحية أخرى: من ناحية التضامن والتكافل بين أفراد الجماعة وإزالة الفوارق الشعورية بحيث لا يحس أحد إلا أنه عضو في ذلك الجسد، لا يحتجز عنه شيئاً. وهو أمر له قيمته الكبرى في قيام الجماعة شعورياً، إذا كان سد الحاجة له قيمته في قيامها عملياً.

والإنفاق يربط بين طوائف من الناس. بعضهم تربطه بالمنفق رابطة العصب، وبعضهم رابطة الرحم، وبعضهم رابطة الرحمة، وبعضهم رابطة الإنسانية الكبرى في إطار العقيدة. وورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول...)[٢] .

ولقد علم الله أن الإنسان يحب- أول ما يحب- أفراد أسرته الأقربين.. عياله.. ووالديه. فسار به خطوة في الإنفاق وراء ذاته إلى هؤلاء الذين يحبهم ليعطيهم من ماله وهو راض فيرضي ميله الفطري الذي لا ضير منه، وفي الوقت ذاته يعول ويكفل ناساً هم أقرباؤه الأدنون، نعم، ولكنهم فريق من الأمة، إن لم يعطوا احتاجوا. وأخذهم من القريب أكرم لهم من أخذهم من البعيد. وفيه في الوقت ذاته إشاعة للحب والسلام في المحضن الأول وتوثيق لروابط الأسرة التي شاء الله أن تكون اللبنة الأولى في بناء الإنسانية الكبير[٣].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، ج١، ص١٤٨، ط١، ١٤١٠ ه، دار ومكتبة الهلال – بيروت. بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال، ج٢، ص١١٢، ح١٤٢٦.

(٣) ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص١١٢. بتصرف.

يرى الباحث أنّ الإسلام رغّب في الإنفاق، ودعا إلى التنافس فيه، وكلّما سارع المسلم إلى البذل والعطاء كان ذلك تطهيرًا لنفسه وماله وتزكية له ومضاعفة لأجره عند الله، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٢].

وجاء في الحديث الذي يرويه عدي بن حاتم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اتقوا النار ولو بشق تمرة...)[1].

ولقد شجّع الإسلام على صدقة السّر، وجعلها أعظم أجرًا من صدقة العلن لما فيها من البعد عن الرّياء فيكون تأثيرها في تزكية النفس عظيمًا، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

والذي ينفق ماله طلبًا لمرضاة الله، وتثبيتًا لنفسه على الإيمان، ويقينًا بما أعدّه الله له من الجزاء الأوفى؛ فقد استحقّ مضاعفة الأجر، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

والإنفاق في سبيل الله وسيلة عظيمة لعلاج أمراض النفوس، وتطهيرها من آفاتها وأمراضها، وغرس الصفات المحمودة فيها لأنّها:

أ-طهارة لنفس الغني من الشّح والبخل.

ب-طهارة لنفس الغني من التعالي على النّاس.

ت-طهارة لنفس الفقير من العداوة والحسد والأحقاد.

ث-طهارة للمال من دنسه، وتنمية له.

ج-تخلية للنّفس من الرذائل وتحلية لها بالفضائل، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ...﴾ [التوبة:١٠٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ج٨، ص١١٥، ح٦٥٦٣.

والإنفاق في سبيل الله الذي يعتبره البعض في الحساب المادّي نقص في المال، هو في الحقيقة نماء وزيادة وبركة، بعكس الرّبا الذي يفعله البعض طلبًا للزّيادة في المال؛ لكنّه في حقيقة الأمر نقص وسحت ومحق وهلاك.

وعندما تتطهّر النفس من آفاتها وتتحلّى بالفضائل تثمر أعظم الثمرات من سعادة في الدنيا، وقناعة ورضا بما قسّم الله من رزق، وفلاح في الآخرة.

ثالثًا: الحج والنسك.

١- الحج.

الحج ركن مهم من أركان الإسلام، يمتاز بأنّه عبادة قلبيّة وبدنيّة وماليّة، ويجب في العمر مرّة واحدة على المستطيع، وله مكانًا معيّنًا لا يُؤدّى إلّا فيه وهو بيت الله الحرام.

أ-الحج لغة:

عرّفه ابن فارس بأنّه:"الْقَصد، وَكُلُّ قَصد حَجٌّ"(١).

وقد عرفه صالح بن عبد السميع بأنّه: " قصد الشيء مرة أو فعل الشيء مرة بعد مرة أو مجرد القصد وذلك مأخوذ من قولك: حج فلان فلانا إذا كرر زيارته نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾[البقرة:١٢٥] أي يرجعون إليه كل عام ويكررون زيارته"(٢).

وقد عرفه المهدي بأنّه: " القصد إلى معظم"(٣).

وفي حاء الحج لغتان: الفتح والكسر، وقد قُرِيء في القرآن الكريم بهما حيث يقْرَأ بِكَسْر الْحَاء وَفتحهَا فالحجة لمن كسر أَنه أَرَاد الِاسْم وَالْحجّة لمن فتح أَنه أَراد الْمصدر، قال تعالى: ﴿... وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧](٤).

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٢، ص٢٩.

(٢) الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص٣٥٨، المكتبة الثقافية – بيروت.

(٣) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج٢، ص٤٧٧، لسنة٢٠٠٩م .

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ص١١٢، ط٤، ١٤٠١ هـ، دار الشروق – بيروت.

ب-الحج شرعا:

وقد عرفه المجدّدي قائلا: "هو زِيَارة مَكَان مَخصُوص بِفعل مَخْصُوص بِزَمَان مَخْصُوص أَو هُو قصد لبيت الله تَعَالَى بِصِفَات مَخْصُوصَة فِي وصف بشرائط مَخْصوصة"(١).

يتضح للباحث من خلال التعريفات السابقة أنّ الحج يأتي بمعنى قصد المكان والتوجه إليه، والمكان المقصود هو مكة المكرمة، كما يأتي بمعنى التكرار حيث يرجع الحجاج إليه في كل عام ويكررون زيارته، كما يأتي أيضًا بمعنى التوجه إلى معظّم فمكة المكرمة كما يعلم الجميع لها مكانة عظيمة عند الله وعند رسوله وعند النّاس، وزيارة مكة هي زيارة مخصوصة بفعل مخصوص له شروطه الخاصة.

ويتحدّث محمد السحيم عن الحج قائلًا: "والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ويجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر، يملك وسيلة النقل أو أجرتها إلى البيت الحرام، ويملك ما يكفيه من النفقة في ذهابه وإيابه، على أن تكون هذه النفقة فاضلة عن قوت من يعولهم، وأن يكون آمنا على نفسه في طريقه، وآمنا على من يعولهم أثناء غيابه، ويجب الحج مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا.

وينبغي لمن أراد الحج أن يتوب إلى الله، لتتطهر نفسه من دنس الذنوب، فإذا بلغ مكة المكرمة والمشاعر المقدسة أدى شعائر الحج عبودية وتعظيما لله، ويعلم أن الكعبة وسائر المشاعر لا تعبد من دون الله، وأنها لا تنفع ولا تضر، ولو لم يأمر الله بالحج إليها لما صح للمسلم أن يحج إليها.

وفي الحج يلبس الحاج إزارا ورداء أبيضين، فيجتمع المسلمون من جميع أقطار الأرض في مكان واحد، يلبسون زيا واحدا، يعبدون ربا واحدا، لا فرق بين رئيس أو مرؤوس، وغني أو فقير، أو أبيض أو أسود، الكل خلق الله وعباده، لا فضل لمسلم على مسلم إلا بالتقوى والعمل الصالح"(٢).

قال سعيد حوى: الحج تعويد للنفس على معان، من استسلام وتسليم، ومن بذل الجهد والمال في سبيل الله، ومن تعاون وتعارف ومن قيام لله بشعائر العبودية، وكل ذلك له آثاره في تزكية النفس، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] ولكي يؤدي الحج ثمراته كاملة لا بدّ من مراعاة الآداب والأعمال القلبية فيه، ثم ينقل سعيد حوى كلام الغزالي

---

(١) قواعد الفقه، ص٢٩٥.

(٢) الإسلام أصوله ومبادئه ، ج٢، ص١٢٦.

فيقول: وهاك كلام الغزالي في ذلك: قال-رحمه الله- تحت عنوان (في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة للحج)

أ-أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله وتعظيم شعائره.

ب-التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف.

ت-ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن، والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام، والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله، والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة.

ث-أن يكون غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين.

ج-أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا.

ح-أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك(١).

وقد ورد في مجلة البحوث الإسلامية أنّ: " الله جمع في الحج العبادة القلبية والقولية والفعلية والعبادة المالية، فالحج تجتمع فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله وحده، وتجتمع فيه الصلاة وإنفاق المال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والحلم، والشفقة، والرحمة، والتعليم للخير، وجهاد النفس، واجتناب المحرمات.

ومن ثمرات الحج: إخلاص التوحيد لله سبحانه، والاستجابة لأمره وإظهار الخضوع والتذلل له سبحانه، وتذكر الآخرة، وترويض النفس على بذل الجهد المالي والبدني تقربا لله تعالى، وحصول التعارف، والتواد بين المسلمين، وتحقيق المساواة بينهم بظهورهم بمظهر واحد، وفي عبادة واحدة، وفي مكان واحد.فإذا تحصلت هذه المعاني السامية في النفوس صار المجتمع مجتمعا طاهرا نقيا، يدين بدين الحق، ويعامل الخلق بالعدل والصدق"(٢).

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ج١، ص٢٦١-٢٦٢، ط١، دار المعرفة – بيروت.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية-مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، تأليف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد٨٦، ص١٤.

وقد أكد محمد الحمد على هذه المعاني السامية حيث قال:

"ومن ثمرات الحج: تذكّر الآخرة، وترويض النفس على بذل الجهد المالي والبدني؛ تقرباً لله. ومن ثمراته: حصول التعارف، والتوادد بين المسلمين"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشهدوا مَنافع لهم﴾ [الحج:٢٧]، قال ابن عباس ﷺ في تفسيره لهذه الآية: ﴿ لِيَشهدوا مَنافع لهم﴾ أي منافع الدنيا والآخرة، أمّا منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأمّا منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدْن والذبائح والتجارات[2].

والله ﷻ جعل منافع الحج تحقيق مصالح الدين والدنيا، وقد جاء اللفظ نكرة ليدل على كثرة المنافع وتجدّدها وتنوّعها، ومن أبرزها تزكية النّفس، وتقويم السلوك وتغذية الروح.

ت-أهم الشروط الواجب توفرها في الحج لكي يحقق دوره في تزكية النّفس.

الشرط الأول: الإخلاص لله والابتعاد عن الرياء والسمعة:

ويتم ذلك من خلال التّوجه إلى الله بقلب خالص ملبيًّا داعيًا قائلًا في كل منسك من مناسك الحج: اللهمّ حجًّا لا رياء فيه ولا سمعة، متمثّلًا قول الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] .

الشرط الثاني: تجنّب الرفث والفسوق والجدال:

لا بدّ للحاج أن يوطّن نفسه على تجنّب الرفث والفسوق والجدال امتثالًا لأمر الله ﷻ حيث يقول: ﴿ ... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ ...﴾ [البقرة:١٩٧].

وقد ذكر العلماء في تفسير هذه الآية أقوالًا عديدة[3]، يُمكن تلخيصها في الآتي:

أ-الرفث اسم جامع لكلّ فحش في الكلام، وكل فعل ينافي أعمال الحج، وبخاصة الجماع ودواعيه لأنّ هذا من محظورات الإحرام.

ب-الفسوق هو الخروج عن طاعة الله والوقوع في المعاصي.

---

(١) كتاب الطريق إلى الإسلام، ص٤٩، ط٢، دار بن خزيمة.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢١٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٧، وتفسير ابن كثير، ج١، ص٢٣٦-٢٣٧.

ج-**الجدال** هو المخاصمة والمنازعة التي تورث الضغائن.

وقد ذكر المفسرون أنّ هذه الآية تشمل كل من همّ في الحرم بمعصية عامدًا قاصدًا عازمًا عليها وإن لم يفعلها(١)، فكيف إذا فعلها ؟ !.

الخلاصة:

يتضح مما سبق أنّ الحج وسيلة عظيمة من وسائل تزكية النفس وتطهيرها من الشح والبخل وذلك ببذل المال وإنفاقه في رحلة الحج. كما أنّه يعمل على تقوية الصبر وتحمل المشاق لدى الإنسان وذلك بسبب الجهد الذي يبذله أثناء رحلة الحج.

والحج أيضًا وسيلة لغسل الذنوب وتنقية النفوس من الشوائب والأدران.

ويجتمع في الحج الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحلم، والشفقة، والرحمة، وجهاد النفس، واجتناب المحرمات، وفي ذلك تزكية عظيمة للنفس.

وفي الحج تحقيق المساواة بين المسلمين بظهورهم بمظهر واحد وعبادة واحدة ومكان واحد، فإذا تحصلت هذه المعاني النبيلة في النفوس صار المجتمع مجتمعًا طاهرا نقيا، يدين بدين الحق. ولو تأملنا في فريضة الحج لرأينا أنّه يحصل للمسلمين التعاون والتعارف، ويتذكرون يوم يبعثهم الله جميعا، ويحشرهم في صعيد واحد للحساب، فيستعدون بطاعة الله تعالى لما بعد الموت فتزكو أنفسهم وتتطهر من أدران المعاصي وبذلك يكون الحج أحد الأركان الهامة في تزكية الأنفس.

٢- النسك:

النسك لغة:

ذهب ابن فارس إلى أنّ: (نَسَكَ) النُّون وَالسِّين وَالْكَاف أَصْل صَحِيح يَدُلّ عَلَى عِبَادَة وَتَقَرُّب إِلَى اللَّه تَعالى. ورجل نَاسكٌ أي عابد. وَالذَّبِيحة الَّتِي تَتَقرب بِها إِلَى اللَّه نَسِيكة. والمنسك: الْمَوضِع يُذْبح فِيهِ النَّسائك، وَلَا يَكُون ذلك إِلَّا فِي الْقُرْبَان(٢).

النسك شرعا:

وفي الشرع: "ذبح القربان"(٣).

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢١٤.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص٤٢٠.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، ج١، ص٢١٥، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ج٩، ص٢٠٩، الطبعة الأخيرة-١٤١٣هـ-دار الوطن-دار الثريا.

قال مجاهد: النسك: "الذبح في الحج والعمرة "[1].

قال صاحب كتاب الفكر الجاهلي: " وأصل النسك: الدم، وبهذا المعنى ورد: من فعل كذا وكذا فعليه نسك: أي دم يهريقه. والنسيكة: الذبيحة، ومنسك: الموضع الذي تذبح فيه النسيكة وهذا هو المعنى القديم الأصلي للكلمة.

ومن معانيها العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى؛ لما كان للذبح من شأن في الديانات القديمة بحيث كان يعد عبادة أساسية عندها؛ ولذلك قيل: لمن انصرف إلى التعبد الناسك، وقد فسر علماء التفسير لفظة نسك الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] بذبح ذبيحة شاة أو ما فوق ذلك"[2].

وقد أوضح الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار أنّ الحكمة في النسك هو "تطهير القلوب من التوجه إلى غير الله تعالى في مثل هذا العمل الذي أراد به الخير والبر؛ لأن ذلك من الإشراك ولا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه"[3].

وقد تحدث صاحب كتاب التمهيد عن النسك قائلا: "قال الإمام: محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، هذه الآية تدل على أن عبادة الصلاة وعبادة النسك – وهو الذبح – هما لله ﷻ وحده. وقوله تعالى: قُلْ إِنَّ و (إِنَّ) من المؤكدات، ومجيء التأكيد في الجمل الخبرية يفيد: أن من خوطب بذلك مُنكِر لهذا الأمر، أو مُنَزَّل مَنْزِلَةَ المُنكِر له، ولهذا يكون الاستدلال بهذه الآية على التوحيد من جهة أنها خوطب بها من ينكر أن الصلاة لله وحده استحقاقا، وأن الذبح لله وحده استحقاقا – هم المشركون – فدل على أن هذه الآية في التوحيد وأن الذبح يجب أن يكون لله ﷻ وأن الذبح لغيره مخالف لما يستحقه الرب.

والنسك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢]

هو: الذبح أو النحر، يعني: التقرب بالدم، والتقرب بالدم لله ﷻ عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح، أو المنحورات من الإبل أو البقر، أو الغنم، أو الضأن، مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرها تقربا إلى الله ﷻ والصدقة بها عبادة عظيمة، فيها إراقة الدم لله، وفيها تعلق القلب بحسن الثواب من

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بـن سـليمان التميمـي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج١، ص١٤٣، ط٧، ١٣٧٧هـ–١٩٥٧م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.

(٢) محمد إبراهيم الفيومي، ج١، ص٤٩٥، ط٤، ١٤١٥هـ–١٩٩٤، دار الفكر العربي.

(٣) مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا وغيره من كتّاب المجلة، ج٨، ص١٩١.

الله، وفيها حسن الظن بالله، وفيها التخلص من الشح، والرغبة فيما عند الله سبحانه، ولهذا كان النحر والذبح عبادة من العبادات العظيمة التي يحبها الله تبارك وتعالى.

وقد دلت هذه الآية على أن النحر والصلاة عبادتان؛ لأنه جعل النسيكة لله، والله له من أعمال خلقه العبادات فدل قوله (وَنُسُكِي) على أن النسك عبادة من العبادات، وأنه مُستحَق لله"(١).

الخلاصة:

يتضح مما سبق أنّ ذبح النسك يطهر القلب من التوجه إلى غير الله. ويطهر النفس من رذيلة الشح والبخل، وفي هذه العبادة أيضًا نتحصّل على حسن الظن بالله حيث نقوم بذبح الشاة منتظرين ما وعدنا الله به من حسن الجزاء.

رابعًا: الجهاد في سبيل الله.

١-الجهاد لغة:

قال ابن فارس: "(جُهْد) الجيم والهاء والدّال أَصله الْمَشَقة، ثُمَّ يُحْمل عليه مَا يُقَارِبه. يُقَال جَهَدْت نَفْسِي وَأَجْهَدْت وَالجُهد الطَّاقة. قَال تَعَالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩] "(٢).

وقال ابن منظور: قَدْ تَكَرَّر لَفْظ الجَهْد والجُهْد فِي الْحَدِيث، وَهُوَ بِالْفَتْح، الْمَشَقَّة، وَقِيل: المبالغة والغاية، وبالضم، الْوُسْع وَالطَّاقَة؛ وَقِيل: هُمَا لُغَتَان فِي الْوُسْع وَالطَّاقة، فأَمّا فِي الْمَشقَّة وَالْغَايَة فَالْفَتْح لَا غَيْر.

وجَهَد دَابَّتَه جَهْدًا وأَجْهَدَها: بَلَغ جَهْدها وَحَمَّل عَلَيْها فِي السَّيْر فَوْق. وجَهد الرَّجُل فِي كَذا أَي جدَّ فِيهِ وَبَالغ، وَفِي حَدِيث الْغُسْل: إِذا جَلَس بَيْن شُعبها الأَربع ثُمَّ جَهَدَها أَي دَفَعَها وَحَفَزَها؛ وَقِيل: الجَهْد مِنْ أَسماء النِّكَاح. وجَهَده الْمَرَض وَالتَّعَب وَالْحُب يَجْهَدُه جَهْداً: هَزَلَه. وأَجْهَد الشيب: كَثُر وأَسرع(٣).

يتضح لنا مما سبق أنّ الجهاد لغة: هو بذل الجهد والطاقة والوسع.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشـيخ، ج١، ص١٤٣، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار التوحيد.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٤٨٦.

(٣) انظر: لسان العرب، ج٣، ص١٣٤.

٢-الجهاد اصطلاحا:

هو"بذل الجهد والوسع في قتال الأعداء من الكفار ومدافعتهم"(١).

وقد جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية أنّ الجهاد اصطلاحًا هو: " قِتَال الْمُسْلِمِين الْكُفَّار غَيْر الْمُعَاهِدِين إعْلاَء لِكَلِمَة اللَّه تَعَالى بَعْد دَعْوَتِهِمْ إلَى الإسْلام وَإِبَائِهِمْ"(٢).

وقد نقل صاحب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته تعريفه عن الحنفية قائلا: "واصطلاحاً عند الحنفية: هو الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله بالمال والنفس"(٣).

وأنسب تعريف للجهاد شرعا حسب رؤية الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي أنّه: بذل الوسع والطاقة في قتال الكفار ومدافعتهم بالنفس والمال واللسان"(٤).

إذًا يتضح لنا مما سبق أنّ الجهاد شرعاً يدور حول قتال المسلمين الكفار، في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دينه.

٣-أنواع الجهاد:

أ- مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿... وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢]، أي: جاهدهم بهذا القرآن حتّى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به(٥).

ب- جهاد القتال، وقد وردت فيه آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿...وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥].

ج- مجاهدة النفس والشيطان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]،قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون"(٦). ويُعد هذا الجهاد من أفضل أنواع الجهاد؛ لأنّه لا يُمكن مجاهدة الأعداء والكافرين سواء كان جهاد الدفع أو الطلب دون مجاهدة النّفس والهوى.

---

(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، ج١، ص١٩٩، مجموعة من المؤلفين، سنة الطبع: ١٤٢٤هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٢) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ج٣٢، ص٣١٥، الطبعة:(من ١٤٠٤ -١٤٢٧هـ).

(٣) أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، ج٨، ص١، ط٤، دار الفكر-سوريَّة – دمشق.

(٤) المرجع السابق، وهبة الزحيلي، ج٨، ص١.

(٥) انظر: تفسير الطبري، ج١٩، ص٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٢٢.

٤- مجالات الجهاد:

مجالات الجهاد كثيرة من أبرزها:

١-المجاهدة باللسان والبيان عن طريق الحجة والنّصح والدعوة والتّعليم والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

٢-المجاهدة بقتال الأعداء وبذل النّفس والمال في سبيل الله.

٣-مجاهدة النفس والشيطان.

وقد جعل الله الفلاح متعلّقًا بتزكية النفس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩]، كما جعله متعلّقًا بالجهاد، قال تعالى: ﴿... وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥]، وجعله أيضًا متعلّقًا بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

فطريق الفلاح هو طريق الدّعوة والجهاد، وهو نفسه طرق تزكية النّفس لا يختلفان، ومن هنا كان الجهاد بأنواعه وسيلة عظمى للتّزكية في المنهج الإسلامي(١).

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تبين فضل الجهاد، وأنه أفضل الأعمال عند الله تعالى منها: ما أخرجه البُخَارِيّ من حَدِيث ابْن أبي عمْرَة عَن أبي هُرَيْرَة أنّ رسول الله ﷺقال: (لغدوةٌ أَو رَوْحَة فِي سَبِيل الله خير مِمَّا تطلع عَلَيْهِ الشَّمْس أو تغرب)(٢).

فإذا كانت الغدوة الواحدة في سبيل الله، وهي السير أول النّهار، والرّوحة وهي السير آخره، خير من نعيم الدنيا كلّها، فكيف بمن يمضي أيّامه ولياليه مجاهدًا في سبيل الله داعيًا إلى دينه ؟!.

قال سعيد حوّى: "والجهاد تحرير للنفس من حب الحياة ومن حب الدنيا وبيع للنفس من ربها، وذلك أرقى ما تصل إليه النفس المزكّاة"(٣).

---

(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى، ص١٥٣.

(٢) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، د. علي حسين البواب، ج٣، ص٢٠٩، ط٢، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، دار ابن حزم- لبنان- بيروت.

(٣) المستخلص في تزكية الأنفس، ص١٥٣.

٥-الشروط الواجب تحقّقها في الجهاد حتّى يؤدّي دوره في تزكية النّفس.

أ-الإخلاص لله في الجهاد:

فالمسلم الذي يبذل جهده، ويضحّي بماله ونفسه ويعرّض حياته للخطر، ثمّ يقصد بذلك عرَضًا من أعراض الدنيا كالشّهرة والسّمعة، ولا يريد بذلك وجه الله ﷻ فهو في غاية البعد عن ربه، ولا يُرْجَى لعمله وتضحياته أن تُؤدّي ثمراتها في تزكية النّفْس، بل إنّه يُعرّض نفسه لسخط الله وعقوبته.

والدّليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:(إنّ أوّل النّاس يُقْضى يوم القيامة عليه رجل استُشهِد، فأُتِيَ به فعرّفه نعمه، فعرفها قال: فما عملتَ فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتّى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنّك قاتلت لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتّى أُلقي في النّار...)(١).

لذلك لا بدّ للمجاهد أن يصحّح نيّته، ويجعل جهاده لإعلاء كلمة الله والدّعوة إلى دينه، لا من أجل المغانم والمنافع والمكاسب الدنيويّة.

وقد روى البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يُقاتل ليُرى مكانُه، فمن في سبيل الله ؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(٢).

ب-التطبيق العملي لما يدعو ويأمر النّاس به.

فيجب على الداعية الذي يجعل الدعوة إلى الله ميدان جهاده، أن يدعو نفسه ويجاهدها وأن يخوض المعركة معها، حتّى يثمر جهاده النفع للآخرين والتّأثير فيهم.

وقد أوضح ابن القيّم-رحمه الله-هذه المسألة بجلاء، وبيّن أنّ الواعظ إذا عمي عن عيوبه حُرِم الانتفاع بموعظته، لأنّ النّفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولذلك قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿...وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ...﴾ [هود:٨٨] (٣).

فالموعظة لا تنفع إلّا إذا خرجت من القلب، فهي عندئذ تصل إلى القلوب، أمّا إذا خرجت من اللسان فإنّها لا تتجاوز الآذان.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسّمعة، ج٦، ص١٤٧، ح٤٩٥٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسّير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج٣، ص٢٠٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ج١، ص٤٤٦.

ولكن ينبغي للمسلم ألّا يتّخذ هذا الشرط ذريعة للتّخلّي عن واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كلّيّة، فكل ابن آدم خطّاء، والعبد مأمور بأن يتّقي ربّه بقدر الاستطاعة، وقد نبّه على ذلك الإمام ابن رجب الحنبلي فقال: "ومع هذا كله فلا بدّ للإنسان من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والتذكير، ولو لم يعظ إلّا معصومٌ من الزلل لم يعظ الناس بعد رسول الله ﷺ أحد، لأنّه لا عصمة لأحد بعده)[1].

٦-العلاقة بين الجهاد وتزكية النّفس:

الجهاد له آثار عظيمة في تزكية النّفس تتّضح في الجوانب الآتية:

أ-يحرّر النفس من حب الحياة والتّعلّق بها.

وهو بمثابة تدريب عملي على الزهد في الدنيا والتّطلّع إلى الآخرة، والتّشوق لما أعدّه الله لعباده في الجنّة، وهذا له أثر بالغ في تزكية النّفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ...﴾ [التوبة:١١١].

وهكذا يتضح أنّ الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة، فالله ﷻ عقد الصفقة واشترى هذه الأنفس والأموال وهو مالكها، وجعل الثّمن في تلك التجارة الرابحة جنّة عرضها السموات والأرض.

ب- يمحّص النفس ويدربها على الصبر والفداء.

طريق الجنة محفوف بالمكاره ولا يُنال براحة البدن، ولا بدّ من تعويد النفس على المشاق والصّعاب لتقوى وتصمد في وجه الشدائد والأهوال، وتدع الخمول والكسل.

كما أنّ حكمة الله اقتضت أن تتعرّض النفوس للتّمحيص ليظهر ثباتها ويستقيم حالها، ولا شك أنّ أكبر ميدان لهذا التمحيص هو ميدان الجهاد، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠ -١٤١] .

فالشدائد والمحن تُربي النفوس، كما تكشف عن معادنها، وتُظْهر درجة ثباتها، ولذلك كان ميدان الجهاد المقياس الحقيقي الذي يعرف به المؤمن درجة التزكية التي ارتقت إليها نفسه.

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ص١٩، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنّشر.

ت-الجهاد عزّة للنفس وقوة لها.

الجهاد أعظم وسيلة لتنمية العزّة في نفس المسلم، وتطهيرها من الذلة والمهانة والخمول، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩] .

والنّفس الذليلة لا تصلح لعمل، ولا يُرجَى منها خير، إلّا إذا تخلّت عن أسباب هذه الذلّة، وعرفت أنّ الحياة الكريمة لا تكون إلّا بالإقبال على الآخرة، وبذل النفس لإعلاء كلمة الله، فالجهاد وإن كان شاقّا على النّفس إلّا أنّه وسيلة عظيمة لصلاحها وتزكيتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦] .

الخلاصة:

يرى الباحث أنّ الجهاد له علاقة وطيدة بتزكية النفس حيث أنّه:

١- يعمل على تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس والإيثار. قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢] .

٢- الجهاد رحمة من الله بالناس لأنه شرع لإنقاذهم من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان، ألا يعتبر ذلك تزكية لهم ؟ لأنهم لو تركوا وماتوا على الكفر دخلوا النار.

٣-يعمل على تمحيص المؤمنين من ذنوبهم، قال تعالى: ﴿...وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾[آل عمران:١٤٠].

٤-والجهاد هو إحدى الطرق التي تؤدي إلى الشهادة، وتطلع الإنسان إلى الشهادة وتمنيه إياها يؤدي إلى تزكية نفسه وسموّها. كما أن الجهاد سبب للهداية التي هي وسيلة من وسائل تزكية النفس، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩]. والجهاد أيضا يعمل على تربية النفس بالبلاء، فالنفس البشرية عندما تتعرض للمحن والابتلاءات فإنها تزكو وتسمو وتقوى.

٥-وكذلك الجهاد يعمل على تصفية القلوب من حب الدنيا ومن شهواتها ومناصبها وفي ذلك تزكية عظيمة لها.

خامسا: الوضوء والغسل والتيمم.

أولا: الوضوء.

١-الوضوء لغة:

قال ابن فارس: "(وَضَأَ) الْوَاو وَالضَّاد وَالْهمزَة: كَلِمَة وَاحِدَة تَدُلُّ عَلَى حُسْن وَنَظَافَة. وَضُؤَ الرَّجُلُ يَوْضُؤ، وَهِيَ وَضِيء. وَالْوَضُوء: الْمَاء الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِه. وَالْوُضُوء فِعْلُك إِذَا تَوَضَّأْت، مِنَ الْوَضَاءَة، وَهِيَ الْحُسن وَالنَّظَافة، كَأَنَّ الْغَاسِلَ وَجْهَه وَضَّأَه، أَيْ حَسَّنَه"(١).

٢-الوضوء شرعًا:

" غسل أعضاء مخصوصة بنية مخصوصة"(٢).

وعرفته صاحبة كتاب فقه العبادات بأنه" استعمال الماء في أعضاء مخصوصة بكيفية مخصوصة"(٣).

٣-دليل مشروعيته:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

وحديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: (لا تُقبل صلاةٌ بغير طهور ولا صدقة من غلول)"(٤).

وقد تحدث محمد العثيمين عن فوائد الوضوء فقال: "فالطهارة للصلاة فرضها الله تعالى على وجه سهل يسير يطهر الإنسان في الوضوء أربعة أعضاء فقط هي الوجه واليدان إلى المرفقين غسلا، والرأس مسحا لا غسلا؛ والعضو الرابع الرجلان إلى الكعبين غسلا هذه هي الأعضاء المفروض تطهيرها في الوضوء، وما أيسر تطهيرها، وما أعظم فائدته، فإن هذه الأعضاء هي أعضاء العمل غالبا، ففي الوجه النظر والشم والكلام، وفي الرأس السمع،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص١١٩.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٥٥.

(٣) فقه العبادات على المذهب الحنبلي، الحاجّة سعاد زرزور، ج١، ص٧١، بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، ج١، ص٢٠٤، ح٢٢٤.

والتفكير، وفي اليدين البطش، وفي الرجلين المشي، فأكثر عمل الإنسان بهذه الأعضاء، فتطهيرها تكفير للأعمال التي عملها بها"[١].

وجاء عن عَمْرُو بن عَبَسة السلمي قال: قلت: يا رسول الله ما الوضوء؟ حدّثني عنه، قال: (ما منكم من رجل يَقْرب وَضُوءَه، فيمضمض ويستنشق، فينثر إِلَّا خرجت خطايا فيه وخياشيمه مع الماء، ثُمَّ إذا غسل وجهه كما أَمَره الله إِلَّا خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثُمَّ يغسل يديه إلى المرفقين إِلَّا خرجت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثمَّ يمسح رأسه إِلَّا خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثُمَّ يغسل قدميه إلى الكعبين إِلَّا خرجت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلّى، فحمد الله وأثنى عليه، ومجَّده بالذي هو له أهل، وفرّغ قلْبه لله إِلَّا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أُمُّه)"[٢].

وورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "(أَلَا أَدُلُّكم على ما يَمْحو اللهُ به الْخَطَايَا، وَيَرْفَع به الدَّرَجَات؟ قَالُوا بلَى يا رَسُول الله قَال: إِسْبَاغ الْوُضُوء على الْمَكَارِه، وَكَثْرة الْخُطى إِلَى الْمَسَاجِد، وَانْتِظَار الصَّلَاة بعد الصَّلَاة، فَذَلِكُم الرِّبَاط)"[٣]. وهذا من فضل الإسلام وكرمه"[٤].

العلاقة بين الوضوء وتزكية النّفس:

يرى الباحث أنّ الوضوء عبادة أمَر الله بها عند القيام إلى الصلاة، ولا شك أن فيه حكمة وفوائد قد نعلمها وقد تخفى علينا، فمن فوائده أنه يطفئ الغضب.

ومن فوائده الجسدية أنه ينشط الجسم بدليل أمره صلى الله عليه وسلم من جامع أهله وأراد العود أن يتوضأ، ونص الحديث كما في رواية مسلم من حديث أبي سعيد الخدري:(إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ)[٥]، وفي رواية ابن حبان من حديث أبي سعيد

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، ص١٢١، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ج١، ص٥٦٩، ح٨٣٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره، ج١، ص٢١٩، ح٢٥١.

(٤) بتصرف يسير عن كتاب الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص١٢١، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له، ج١، ص٢٤٩، ح٣٠٨.

الخدري:(إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ فإنه أنشط للعود)(١). وهذا الوضوء وإن كان غير واجب إلا أن فيه دليلا على أن في الوضوء فائدة جسدية.

والمسلم حين يتطهر إرضاءً لله، فإنّ الله يتم نعمته عليه، فيسمو بنفسه وروحه، وتمتلىء نفسه بالسكينة والطمأنينة والهدوء النفسي بما لا تستطيع فعله العقاقير الكيماوية، فالوضوء ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة وليس مجرد تطهير للجسد حيث أنّ الأثر النفسي والسمو الروحي الذي يشعر به المسلم بعد الوضوء أعمق من أن تعبر عنه الكلمات. والوضوء كذلك يجدد نشاط الجسم، ويجدد الحيوية باستمرار، ويساعد على النوم الصحي العميق، وهذا يساعده على أداء العبادات بشكل أكمل مما يكون له بالغ الأثر في تزكية النفس. والوضوء يطفيء الغضب، ومن خلاله نتحصّل على المغفرة، كما أنّه يغسل الإنسان من الخطايا والذنوب، ويرفع الله به الدرجات.

ثانيًا: الغسل

١-الغسل لغة:

قال ابن فارس:"(غَسَل) الْغَين وَالسِّين وَاللَّام أصل صَحِيح يَدُلُّ عَلَى تَطْهِير الشَّيء وَتَنْقِيَتِه. يُقَال: غَسَلْت الشَّيء غَسْلًا. وَالْغُسْل الِاسْم. وَالْغَسُول: مَا يُغْسَل بِه الرَّأْس. وَالْغِسْلِين الْمَذْكُور فِي كِتَاب اللَّه تَعَالَى، يُقَالُ إِنَّه مَا يَنْغَسل من أَبْدَانِ الْكُفَّار فِي النَّار"(٢).

وورد في كتاب الفقه الميسر أنّ الغسل لغة: "مصدر من غسل الشيء يَغسله غَسْلاً وغُسْلاً، وهو تمام غسل الجسد كله"(٣).

٢-الغسل شرعًا:

وصفه صاحب كتاب منار القاري بأنّه: " إيصال الماء إلى جميع ظاهر الجسد مع داخل الفم والأنف بنية رفع الحدث، ومع الدلك عند المالكية"(٤).

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، كتاب الطهارة، باب ذكر العلة التي من أجلها أمر بهذا الأمر، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ج٤، ص١٢، ح١٢١١، ط١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت. قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، ج١، ص١١٠، ح٢٥٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٤٢٤.

(٣) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، مجموعة من المؤلفين، ج١، ص٢٨، ط١، ١٤٢٤ه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٤) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ص٤٢٤، ط١، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠م، مكتبة دار البيان، دمشق -الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف- المملكة العربية السعودية.

والغسل طهارة؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا [المائدة:٦] . وفي الغسل طهارة الجوارح كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١] .

وطهارة الجوارح مقترنة بطهارة القلوب؛ لذلك عطف على طهارة الجوارح عصمتهم من رجز الشيطان والربط على القلوب وتثبيت الأقدام"(١).

وذهب صاحب فتح القدير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿... وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١] أنّ معنى﴿... ليطهركم به...﴾ أي ليرفع عنكم الأحداث، ﴿...وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ...﴾ أَيْ: وَسْوَسته لكم، بما كان قَدْ سَبَق إِلَى قلوبهم من الْخَوَاطِر الَّتِي هِيَ منه، مِنَ الْخَوْف وَالْفَشَل، حَتَّى كَانَت حَالُهُم حَال من يُساق إِلَى الْمَوْت، ﴿...وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ...﴾ فَيَجْعَلَهَا صَابِرة قَوِيَّة ثَابِتَة فِي مواطن الْحَرْب، وَالضَّمِير فِي بِه مِن قَوْلِه: ﴿...وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ...﴾ رَاجِع إِلَى الْمَاء الَّذِي أَنْزَلَه اللَّه، أَيْ: يُثَبِّت بِهَذَا الْمَاء الَّذِي أَنْزَلَه عليكم عند الْحَاجَة إليه أقدامكم في مَوَاطِن القتال"(٢).

العلاقة بين الغسل وتزكية النفس:

يرى الباحث أنّ الغسل طهارة للجوارح، وطهارة الجوارح مقدمة لطهارة القلوب.

والغسل يُبعد وساوس الشيطان عن الإنسان ويقوي نفسه وعزيمته حيث يشعر بطهارة النفس وطهارة القلب.

ثالثا التيمم:

١-التيمم لغة:

"قَال الْخَلِيل: الْأَمَم: الْقَصْد: يقال: هَذَا أَمْر مَأْمُوم: يَأْخُذ بِه النَّاس . وَقَال اللَّه تَعَالَى: ﴿... وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ...﴾[المائدة:٢]، جَمْع " آمٍّ " يَؤُمُّون بَيْت اللَّه، أَيْ: يَقْصِدونه. قَال الْخَلِيل: التَّيَمُّم

---

(١) منهج الأنبياء في تزكية النفوس، سليم بن عيد الهلالي، ص٦٢.

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ج٢، ص٣٣٣، ط١، ١٤١٤ه، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت.

يَجْرِي مَجْرَى التَّوَخِّي، يُقَال لَه: تَيَمَّم أَمْرًا حَسَنًا وتَيَمَّمُوا أَطْيَب مَا عِنْدَكم تَصَدَّقُوا بِه. والتَّيَمُّم بِالصَّعِيد من هَذَا الْمَعْنَى، أَيْ: تَوَخَّوْا أَطْيَبَه وأَنْظَفَه وتَعَمَّدُوه. فَصَار التَّيَمُّم فِي أَفْوَاه الْعَامَّة فِعْلًا لِلتَّمَسُّح بِالصَّعِيد، حَتَّى يَقُولُوا قَدْ تَيَمَّم فُلَان بِالتُّرَاب. وقَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿... فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ...﴾ [المائدة:٦] أي تعمدوا"(١).

٢-التيمم شرعًا:

"هو القصد إلى الصعيد لمسح الوجه واليدين بنِيَّة استباحة الصلاة وغيرِها،

الصعيد: التراب"(٢).

والتيمم طهارة كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[المائدة:٦] .

العلاقة بين التيمّم وتزكية النّفس:

يرى الباحث أنّ التيمم له نفس تأثير الوضوء من حيث الشعور بالراحة النفسية، والتحصل على الطهارة، ومحو الذنوب وكسب الحسنات، وامتثال أوامر الله وهذا بدوره له بالغ الأثر في تزكية النفس وتربيتها.

سادسًا: اعتزال النساء في المحيض.

١-المحيض لغة:

قال الزبيدي: "حَاضَت المَرْأَة تحيض حَيْضاً ومحيضا، ومَحَاضاً، فهي حائض، وقَالَ المُبرِّد: سمي الحيض حيضا من قولهم: حَاضَ السَّيْل، إِذا فاض. وحاضت إِذَا سَال الدَّم منها فِي أَوْقَات مَعْلُومة. قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ...﴾ [البقرة:٢٢٢]

قال الزَّجّاج: المَحِيضُ فِي هذه الآيَةِ المَأْتَى مِن المَرْأَة، لأَنَّهُ مَوْضِع الحيض، فكَأَنَّه قال: اعْتَزِلُوا النِّسَاء فِي مَوْضِع الحَيْض، ولَا تُجامِعُوهُنّ فِي ذلك المَكَان"(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج١، ص٣٠.

(٢) عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ﷺ، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، دراسة وتحقيق: محمود الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م، دار الثقافة العربية، دمشق- بيروت، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس.

(٣) تاج العروس، ج١٨، ص٣١١-٣١٢.

٢-**المحيض شرعًا:**

قالت صاحبة كتاب فقه العبادات: " الحيض هو دم، أو صفرة، أو كدرة، خرج بنفسه من قُبل امرأة في السن التي تحيض فيها المرأة عادة، وذلك جِبِلَّة في حال صحتها لا لعلة، ومن غير سبب ولادة أو فضاض"(١).

يرى الباحث من خلال تعريف المحيض لغة وشرعا أنه يطلق على الزمان- أي الفترة الزمنية التي يستغرقها الحيض- وكذلك يطلق على المكان- أي الموضع الذي يخرج منه الدم وهو قبل المرأة- ويطلق على الحيض مجازا.

قال الطبري:" وسمّي الحيض أذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته"(٢).

قال الصابوني: "فاعتزلوا: الاعتزال التنحي عن الشيء والاجتناب له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ...﴾ [مريم:٤٨] .

والمرادُ باعتزال النساء اجتناب مجامعتهن، لا ترك المجالسة أو الملامسة فإن ذلك جائز"(٣).

قال صاحب حجة القراءات عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿...وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ... ﴾[البقرة:٢٢٢]، "قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَأَبُو بكر يطهرن بتَشْدِيد الطَّاء وَالْهَاء وحجتهم مَا جَاء فِي التَّفْسِير حَتَّى يغتسلن بِالْمَاء بعد انْقِطَاع الدَّم وَذَلِك أَن الله أَمر عباده باعتزالهن فِي حَال الْحيض إِلَى أَن يتطهرن بِالْمَاءِ وَحجَّة أُخْرَى وَهِي قَوْله تعالى: ﴿فَإِذا تطهرن﴾ قَالُوا وَهِي على وزن تفعلن فَيجب أَن يكون لَهَا فعل وفعلها إِنَّمَا هو الاغتسال لِأَن انْقِطَاع الدَّم لَيْسَ من فعلهَا وَحجَّة أُخْرَى اعْتِبَارا بِقِرَاءَة أبي حَتَّى يتطهرن ثمَّ أدغموا التَّاء فِي الطَّاء وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿يطهرن﴾ بتَخْفِيف الطَّاء وَضم الْهَاء وحجتهم أَن معنى ذَلِك حَتَّى يَنْقَطِع الدَّم

---

(١) فقه العبادات على المذهب المالكي، الحاجّة كوكب عبيد، ص١٠٠، ط١، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، مطبعة الإنشاء، دمشق – سوريا.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج٤، ص٣٧٤، ط١، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

(٣) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ج١، ص٢٩٢، ط٣، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م، مكتبة الغزالي-دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت.

عَنْهُن ﴿فَإِذا تطهرن﴾ أَي بِالْمَاءِ قَالُوا إِن الله أَمر عباده باعتزال النِّسَاء فِي الْمَحِيض إِلَى حِين انْقِطَاع دم الْحيض قَالَ الزّجاج يُقَال طهرت الْمرأة إِذا انْقَطع الدَّم عَنْهَا"(١).

العلاقة بين المحيض وتزكية النّفس:

يرى الباحث أنّ الرجل عندما يمتنع عن إتيان زوجته في وقت الحيض فإنّ هذا له أثر كبير في تزكية نفسه والارتقاء بها، لأنّ طبيعة النفس البشرية تميل إلى الجماع، وعندما يكبح الإنسان جماح نفسه ويمتنع عن إتيان زوجته طاعة لله، فهذا باب من أبواب تزكية النفس.

كما تكون المرأة غير مستعدة نفسياً للمباشرة الجنسية في هذه الفترة، التي يقصد بها استمتاع كلٍ من الزوجين بالآخر، وترك الجماع في هذه الفترة صون لكرامة المرأة ومحافظة على نفسيتها. ودم الحيض له رائحة كريهة بخلاف سائر الدماء، ورؤيته تشمئز منها النفس، وإتيان المرأة في مثل هذه الحالة، فيه ضرر عظيم يلحق بها، كما أن فيه ضررا على الرجل أيضاً، عبّر عنه القرآن الكريم بدقة ﴿...قُلْ هُوَ أَذًى...﴾ [البقرة:٢٢٢]، وأيّ تعبير أبلغ من هذا التعبير المعجز؟ وقد أثبت الطب الحديث الضرر الفادح الذي يلحق بالمرأة من جراء معاشرتها وإتيانها في حالة الطمث، فكثيراً ما يختلط المني المقذوف من الرجل بهذه الدماء، ويتولد عن ذلك التهابات في عنق الرحم، أو في الرحم نفسه، كما أن الرجل يتعرض لبعض الأضرار الجسمية، لذلك كان ابتعاد الرجل عن المرأة في فترة الحيض أكبر برهان على حكمة الشريعة الغراء وأكبر دليل على اهتمام الإسلام بتزكية النفس.

المطلب الثاني: الوسائل الخاصة لتزكية الأنفس.

أولًا: تلاوة القرآن والذكر:

١-تلاوة القرآن:

أ-التلاوة لغة:

قال ابن فارس"(تِلْوَ) التَّاء وَاللَّام وَالْوَاو أصل واحد، وهو الِاتِّبَاع. يُقَال: تَلَوْته إِذَا تَبِعْتَه. ومنه تِلَاوَة الْقُرْآن، لِأَنَّه يُتْبِع آيَة بعد آيَة"(٢).

---

(١) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ص١٣٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٣٥١.

وذهب صاحب الصحاح إلى أنّ: تِلْو الناقة: ولَدُها الذي يتلوها، وتَلَوْت الرجل أَتْلوه تُلُوّاً، إذا تَبِعْتَه، ويقال أيضاً: تَلَوْته، إذا خذلته وتركته. وجاءت الخيل تَتاليًا، أي متتابعة(١).

ب-التلاوة اصطلاحا:

"تلاوة القرآن تلاوة تبيّن حروفها ويتأنّى في أدائها ليكون أدنى إلى فهم المعاني"(٢).

وجاء في الموسوعة الكويتية أنّها:" قِرَاءَة الْقُرْآن مُتَتَابِعًا كَالأْجْزَاء وَالأْسْدَاس"(٣).

يخلص الباحث من التعريفات السابقة إلى أنّ: التلاوة مصدر مأخوذ من مادة (ت ل و) التي تدل بحسب وضع اللغة على مصدر واحد هو الاتباع، يقال تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن، لأنّ القارئ يتبع آية بعد آية.

ت-الفرق بين القراءة والتلاوة.

القراءة أعمّ من التّلاوة فكلّ تلاوة قراءة وليس كلّ قراءة تلاوة، والتّلاوة خاصّة بالقرآن الكريم وليست القراءة كذلك، وهناك فرق بين القراءة والتّلاوة والأداء حيث أنّ الأداء الأخذ عن المشايخ، والقراءة تطلق عليهما معا أي الأداء والتّلاوة إذ هي أعمّ منهما(٤).

ث-من معاني التلاوة في القرآن الكريم:

ذكر أهل التّفسير أنّ التّلاوة في القرآن على أوجه:

أحدها: القراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿...**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[آل عمران:٩٣]

والثّاني: الاتباع، ومنه قوله تعالى:﴿**وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا**﴾[الشمس:٢].

والثّالث: العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...**﴾[البقرة:١٢١] أي يعملون به حقّ عمله.

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٦، ص٢٢٨٩، ط٤، ١٤٠٧ﻫ-١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج٤، ص١١٧٦.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، ج١٠، ص١٧٨، ط٢، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت.

(٤) نضرة النعيم، صالح بن عبد الله بن حميد، ج٤، ص١١٧٦.

والرّابع: **الرّواية**، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ...﴾ [البقرة:١٠٢]

الخامس: الإنزال، كما في قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص:٣]"(١).

ج-فضل تلاوة القرآن:

الذين يتلون كتاب الله لهم ثواب جزيل وأجر عظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**)**(٢).

وقد ذكر الماوَردي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾ [مريم:١٢]، "وفي قائله قولان: أحدهما: أنه قول زكريا ليحيى حين نشأ. الثاني: قول الله ليحيى حين بلغ.

وفي ﴿الْكِتَابَ﴾ قولان: أحدهما: صحف إبراهيم. الثاني: التوراة. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بجد واجتهاد قاله مجاهد. الثاني: العمل بما فيه من أمر والكف عما فيه من نهي"(٣).

ويرى الباحث أنّ أخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره، وعندما نتلوا كتاب الله بحضور قلب فإننا نتحصّل على التدبر وهو إحدى مراحل تزكية النفس، وتلاوة القرآن بإمعان فكر تقودنا إلى التفهم وهي مرحلة هامة من مراحل تزكية النفس أيضًا، ثم تأتي مرحلة التأثر حيث يتأثر القلب بحسب اختلاف الآيات.

---

(١) نضرة النعيم، ج٤، ص١١٧٦.

(٢) سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن...، ج٥، ص١٧٥، ح٢٩١٠، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، ج١، ص٦٥٩، ح٢١٣٧.

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ج٣، ص٣٥٩، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.

وجاء في المستخلص:" وتلاوة القرآن حقّ تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار. فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ"(١).

العلاقة بين القرآن وتزكية النّفس:

من قرأ القرآن بارك الله له في عمره وولده ورزقه وفي ذلك تزكية له، ومن أعرض عنه محق الله مهابته، وأزال هيبته، ومن هجر القرآن استحق غضب الله ظاهراً وباطناً.

وكثرة قراءة القرآن تدل على الصدق والإيمان يقول الله ﷻ على لسان رسوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠] . ومن كان يقرأ في القرآن كثيراً زكت نفسه حتى أصبح كالكوكب الدري في سماء الجنة. وقد كان ﷺ يعيش مع القرآن، بل هو كتابه الوحيد الذي تربّى عليه لذلك كانت نفسه في أعلى درجات التزكية.

٢-الذكر.

أ-الذكر لغة:

قال ابن فارس: "ذكر الذَّال وَالْكَاف وَالرَّاء أَصْلَان، عنهما يَتَفَرَّع كَلِم الْبَاب. فَالْمُذْكِر: التي ولَدت ذَكَرًا. وَالْمِذْكَار: التي تَلِد الذُّكْرَان عَادة.

والأصل الْآخَر: ذَكَرْت الشَّيْء، خِلَاف نَسِيتُه. ثُمَّ حُمِل عليه الذِّكْر بِاللِّسَان. وَالذِّكْر: الْعَلَاء وَالشَّرَف"(٢).

قال الزبيدي في تاج العروس: " الذِّكْر بالكَسْر: الحِفْظ للشَّيْء يَذْكُره، والذِّكْر: الشَّيْء يَجْرِي على اللّسان، ومنه قَوْلهم: ذَكَرْت لِفُلان حَدِيث كذا وكذا، أَي قُلْتُه له، ومن المَجَاز: الذِّكْر: (الثَّنَاء)، وَيكون في الخير فقط، فهو تَخْصِيص بعد تَعْمِيم ورجل مَذْكُور أَي يُثْنَى عَليه بخَيْر(٣).

وَقَال الرَّاغِب فِي المُفْردات: " الذِّكْر تَارَة يُرَاد به هَيْئَة لِلنَفْس بها يُمْكِن الإِنْسَان أَن يَحْفَظَ مَا يَقْتَنِيه من المَعْرِفة، وهو كالحِفْظ إِلّا أنّ الحِفْظ يُقَال اعْتباراً بإِحرَازه، والذِّكْر يُقَال اعْتِبَاراً باسْتِحْضَارِه، ولهذا قيل الذِّكْر ذِكْرَان: (ذِكر) بالقَلْب، و (ذكر) بِاللِّسَان"(٤).

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، ص٩٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٥٩.

(٣) تاج العروس، ج١١، ص٣٧٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص٣٢٨.

ب-الذكر اصطلاحًا.

وجاء في نضرة النعيم أنّ معناه: "التخلص من الغفلة والنسيان"(١).

وذهب الزرقاني في شرحه على المواهب إلى أنّ الذكر شرعًا: "هو قول سيق لثناء أو دعاء، وقد يستعمل شرعًا أيضًا لكل قول يثاب قائله"(٢).

وذهب صاحب النكت والعيون في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١] إلى أنّ:"الذكر الوارد في الآية فيه قولان: أحدهما: ذاكروه بالقلب ذكراً مستديماً يؤدي إلى طاعته واجتناب معصيته. الثاني: اذكروا الله باللسان ذكراً كثيرا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] "(٣).

وذكر المراغي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزُّخرف:٤٤]، " لذكر: أي لشرف عظيم"(٤).

وذكر السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] الذكر أي:" القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة "(٥).

ت-فضل الذكر:

للذكر فضائل عظيمة أهمّها أنّه سبب في دخول الجنّة والنجاة من عذاب النار، كما أنّه يجلب معيّة الله للذاكر في كلِّ أحواله، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقال في موضع آخر: ﴿...وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

---

(١) نضرة النعيم، ج٥، ص١٩٦١.

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، ج٢، ص٣، ط١، ١٤١٧ه-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية.

(٣) النكت والعيون، الماوردي، ج٤، ص٤٠٩.

(٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج٢٥، ص٨٨، ط١، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٤٢٩، ط١، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)**(١).

يرى الباحث من خلال استعراض لفظة الذكر لغة واصطلاحا تبيّن للباحث أنّ الذكر يأتي بمعان متعددة منها: خلاف الغفلة، وخلاف النسيان، ويطلق على العلاء والشرف، ويطلق على الثناء ويكون في الخير فقط، ويطلق على الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، ويعتبر كل كتاب أنزل على الأنبياء ذكر، وكذلك يمكن اطلاقه على الطاعة والشكر، وقراءة القرآن والدعاء والتسبيح والثناء على الله. ويطلق كذلك على الشُّهْرَة وَالصِّيت .

قال ابن القيّم عن درجات الذّكر: "وهو على ثلاث درجات: الدّرجة الأولى: الذّكر الظّاهر ثناء أو دعاء أو رعاية. فأمّا ذكر الثّناء فنحو «سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلّا الله والله أكبر». وأمّا ذكر الدّعاء فنحو﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] وأمّا ذكر الرّعاية فمثل قول الذّاكر «الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي». الدّرجة الثّانية: الذّكر الخفيّ وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشّهود، ولزوم المسامرة. الدّرجة الثّالثة: الذّكر الحقيقيّ، وهو شهود ذكر الحقّ إيّاك، والتّخلّص من شهود ذكرك» . وقد سمّي هذا الذّكر حقيقيّا؛ لأنّه منسوب إلى الرّبّ تعالى فذكر الله لعبده هو الذّكر الحقيقيّ، وهو شهود ذكر الحقّ عبده "(٢).

العلاقة بين الذكر وتزكية النّفس:

ويرى الباحث أنّ ذكر الله يورث القلب حبّا وخشية وإنابة إلى الله فيندم على ما فات، فيدفعه ذلك إلى التوبة والاستغفار وفي ذلك تزكية كبيرة للنفس.

وذكرُ الله أيضًا يوسع الرزق والإعراض عنه يقلله قال تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَه مَعِيشَة ضَنْكًا وَنَحْشُرُه يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤]فسعة الرزق تساعد الإنسان على التفرغ لتزكية النفس. وذكر الله أيضا يورث النفس سكينة وهدوء نفس وراحة بال وهي درجة عالية من درجات تزكية النفس قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، ومحبة الله والأنس به لا تحصل إلّا بدوام ذكر الله والمواظبة عليه وهي مرحلة سامية من مراحل تزكية النفس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ج٨، ص٨٦، ح٦٤٠٦.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ج٢، ص٤٠٧، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، ١٤١٦ه-١٩٩٦م، دار الكتاب العربي – بيروت.

وقد أورد العراقي[١] في المغني من حديث عبد الله بن أبي أوفى عن رسول الله ﷺ أنّه قال:(خِيَار عباد الله الَّذين يراعون الشَّمْس وَالْقَمَر والأظلة لذكر الله)[٢].

وقال صاحب التيسير في شرحه للحديث السابق " أَي يترصدون دُخُول الْأَوْقَات بهَا لذكر الله أَي لأجل ذكره تعالى من الْأَذَان للصَّلَاة ثمَّ إقامتها"[٣]

وكذلك يرى الباحث أنّ على مريد الآخرة أن يكون متواصلا مع الله بالاستغفار والتهليل والصلاة على رسول الله ﷺ،وأن يعوّد لسانه على الذكر المستمر حتّى تزكو نفسه ويرتقي، ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلّا الله دخل الجنّة حيث أخرج أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل أنّ رسول الله ﷺقال: (من كان آخِر كَلَامِه لا إِلَه إِلَّا اللَّه دَخل الْجَنَّة)[٤].

ثانيًا: الصدق والعدل:

١-الصدق.

أ-الصدق لغة:

قال ابن منظور" مصدر قولهم صدق يصدق صدقا "[٥].

---

(١) زين الدّين شيخ الْمُحدثين عُمْدَة المخرجين أَبُو الْفضل عبد الرَّحِيم بن الْحُسَيْن ابْن عبد الرَّحْمَن بن أبي بكر بن ابراهيم بن الْعِرَاقِي الْمصْرِي الشَّافِعِي مولده فِي جُمَادَى الأولى سنة خمس وَعشْرين وَسَبْعمائة، حدث وأملى وَأَفَاد وَتكلم على الْعِلَل والاسناد ومعاني الْمُتُون وفقهها فأجاد صنف التصانيف الَّتِي اشتهرت وَخرج تخاريج رويت وانتشرت. انظر: الرد الوافر، محمد بن عبد الله بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين، تحقيق: زهير الشاويش، ص١٠٧، ط١، ١٣٩٣، المكتب الإسلامي – بيروت.

(٢) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ج١، ص٣٩٤، ط١، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان. أخرجه الطَّبَرَانِيّ وَالْحَاكِم وَقَالَ صَحِيح الْإِسْنَاد من حَدِيث ابْن أبي أَوْفَى بِلَفْظ «خِيَار عباد الله»، انظر كتاب الدعاء، للطبراني، تحقيق: مصطفى عطا، ص٥٢٤. وقال الألباني: صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ج٧، ص١٢٩٩، ح٣٤٤٠.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين القاهري، ج١، ص ٣١٨، ط٣، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين، ج٣، ص١٩٠، ح٣١١٦. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، ج٢، ص١١٠٥، ح٦٤٧٩.

(٥) لسان العرب، ج١٠، ص١٩٣.

وهو مأخوذ من مادّة (ص د ق) الّتي تدلّ على قوّة في الشّيء قولا أو غير قول، من ذلك الصّدق خلاف الكذب لقوّته في نفسه ولأنّ الكذب لا قوّة له، وهو باطل، وأصل هذا من قولهم. شيء صدق، أي صلب [١].

ب-الصدق اصطلاحًا:

قال الرّاغب: "الصّدق مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معا"[٢].

وقال الجرجانيّ:" هو مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضدّ الكذب "[٣].

وسُئل الجنيد- رحمه الله- عن الصّدق والإخلاص أهما واحد أم بينهما فرق؟ فقال: بينهما فرق. الصّدق أصل، والإخلاص فرع، والصّدق أصل كلّ شيء، والإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلّا بهما[٤].

قال القشيري: " الصّدق أن لا يكون في أحوالك شوب[٥]، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب"[٦].

وقد لخّص الماوَرديّ- رحمه الله- دواعي الصّدق فقال:

١- العقل: من حيث كونه موجبا لقبح الكذب.

٢- الشّرع: حيث ورد بوجوب اتّباع الصّدق وحظر الكذب، والله لم يشرع إلّا كلّ خير.

٣- المروءة: لأنّها مانعة من الكذب باعثة على الصّدق.

٤- حبّ الاشتهار بالصّدق: فمن يتمتّع به بين النّاس، لا يُردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم[٧] .

---

(١) انظر: المصدر السابق، ج١٠، ص١٩٦، ط بيروت.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص٢٧٧.

(٣) التعريفات، ص١٣٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ج١، ص ٢٠٧، ط٤، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

(٥) الشوب: هو ما اختلط بغيره من الأشياء. انظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ج٢، ص٢٦٩.

(٦) التعريفات، للجرجاني، ص١٣٢.

(٧) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ص٢٦١-٢٦٢، بدون طبعة، ١٩٨٦م، دار مكتبة الحياة.

وذهب القرطبي إلى أنّ الصديقين في قوله تعالى: ﴿...فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] جمع صدّيق، وهو المبالغ في الصّدق أو التّصديق أو هو الّذي يحقّق بفعله ما يقوله بلسانه، وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء الّذين يسبقون إلى تصديقهم كأبي بكر رضي الله عنه [١].

دور الصدق في تزكية الأنفس:

يرى الباحث أنّ الصدق قوي في نفسه، وهو فضيلة من الفضائل، ولا يتصف به إلّا الأنبياء والشهداء والصالحون، ويكون بمطابقة القول للفعل.

والصدق سابق للإخلاص فهو أصل والإخلاص فرع. والصدق يؤدي إلى صلاح الباطن، فمن صدق في أعماله الظاهرة صدق باطنه وفي ذلك تزكية لنفسه، ومن استوت سريرته مع علانيته فهذا هو الصدق، والصدق كذلك يورث الطمأنينة والسكون ومن تحصّل عليهما فقد زكت نفسه وذلك مصداقا لما رواه الترمذي من حديث الحسن بن علي أنّ رسول الله ﷺ قال: (دَع مَا يَرِيبُك إِلى ما لا يَرِيبُك، فَإِنَّ الصِّدْق طُمَأْنِينة، وَإِنَّ الكَذِب رِيبَة)[٢].

والصدق هو أصل البر، والكذب أصل الفجور حيث ورد في صحيح مسلم من حديث عبد الله أنّ رسول الله ﷺ قال: (عَلَيْكُم بِالصِّدْق، فَإِنَّ الصِّدْق يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلى الْجَنَّة)[٣].

واستدلّ الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى: "﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[المائدة:١١٩] بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَان لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ...﴾[إبراهيم:٢٢]، حيث قال: مثل هذا الصدق لا ينفع أحداً؛ لأن الآخرة ليست دار التكليف. لكن الصدق الموصول بصدق الدنيا هو قول عيسى عليه السلام: ﴿...إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٧٢. بتصرف.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ج٢، ص٤٩٩، ح١٢٧٤، ط١، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م، دار هجر – مصر. قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، تحقيق: الألباني، ج٢، ص٨٤٥.

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الكذب، ج٤، ص٢٠١٣، ح٢٦٠٧.

عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦]، ولذلك يقول الله في الصدق الموصول: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، ذلك أن صدق الصادقين يوم القيامة هو صدق موصول بصدقهم في زمن التكليف وهو الدنيا ويتلقون رضاء الله: ﴿... لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [المائدة:١١٩] "(١).

٢-العدل:

أ-العدل لغة:

ذهب ابن فارس إلى أنّ: الْعَيْن وَالدَّال وَاللَّام أَصْلَان صحيحان، لَكِنَّهما مُتَقَابِلان كَالْمُتَضَادَّيْن: أحدهما يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاء، وَالْآخَر يَدُلُّ على اعْوِجَاج.

فَالْأَوَّل الْعَدْل مِنَ النَّاس: الْمَرْضِي الْمُسْتَوِي الطَّرِيقَة. يُقَال: هذا عَدْل، وَيُقَال لِلشَّيْء يُسَاوِي الشَّيْء هو عِدْله. وَالْمُشْرِك يَعْدِل بِرَبِّه كَأَنَّه يُسَوِّي به غَيْرَه.﴿... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، وَالْعَدْل: قِيمَة الشَّيْء وَفِدَاؤُه، قَال تعالى: ﴿...وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ...﴾ [البقرة:١٢٣]، أَيْ: فِدْيَة. وَالْعَدْل: نَقِيض الْجَوْر، تَقُول: عَدَل فِي رَعِيَّته. ويوم مُعْتَدِل، إِذا تَسَاوَى حَالَا حَرِّه وَبَرْدِه، فَأَمَّا الأصل الْآخَر فَيُقَال في الِاعْوِجَاج: عَدَل. وَانْعَدَل، أَيِ انْعَرَج(٢).

ويقال: عدل بالله: أشرك، وعدل عن الشّيء: حاد عنه، وعدل إليه: رجع(٣).

ب-العدل اصطلاحا:

قال ابن حزم في الأخلاق والسير" العدل هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه"(٤).

وجاء في التوقيف على مهمات التعاريف أنّ العدل هو" الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط"(٥).

---

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ج٦، ص٣٤٨١، بدون رقم طبعة، ١٩٩٧م، مطابع أخبار اليوم.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ج٤، ص٢٤٦.

(٣) انظر: نضرة النعيم، ج٧، ص٢٧٩٠.

(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ص٣٣، ط٢، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٢٣٧.

يخلص الباحث من خلال العلاقة بين العدل لغة واصطلاحا أنّه المتوسط في الأمور من غير إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ [البقرة:١٤٣] أي: عدلا فالوسط والعدل بمعنى واحد.ويراد به كذلك المقابل للجور. والملك المحسن في رعيته يقال له عادل.

ويأتي بمعنى المماثلة والمساواة حيث نقول هذا الشيء يعدل هذا أي يساويه، و نقول فلان يعدل فلانا أي يساويه، والعديل هو النظير والمثيل، والعدل من أسماء الله تبارك وتعالى.

وذهب التستري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...﴾ [النحل:٩٠]

إلى أنّ العدل:" هو قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والاقتداء بسنة نبيه ﷺ "[١].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[البقرة:٤٨]، أنّ سعيد بن المسيّب سئل عن العدل فَقَالَ: "الْعَدْلُ الْفَرِيضَةُ، مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ"[٢].

دور العدل في تزكية الأنفس:

يرى الباحث أنّ للعدل فوائد جليلة وأثرا عظيما في تزكية النفس، فهو يورث محبة الله وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، والعدل كذلك يؤدي إلى دخول صاحبه في ظل الله في الآخرة، حيث ذكر رسول الله ﷺ الإمام العادل ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلّا ظله، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (سَبْعَة يُظِلُّهُم اللَّه في ظِلِّه، يوم لا ظِلّ إلَّا ظِلُّه: الإِمام العَادل...)"[٣].

ودخول الجنّة هي الثمرة المرتجاة من تزكية النفس عن طريق العدل الذي يؤدي إلى علوِّ المنزلة عند الله يوم القيامة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث زُهَيْرٍ قَال: قَال رَسُول

---

(١) تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ص٩٢، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية-بيروت.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ج١، ص٢١٩، ط٣، ١٤١٩ه، مكتبة نزار مصطفى الباز-المملكة العربية السعودية.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ج١، ص١٣٣، ح٦٦٠.

الله ﷺ: (إِنَّ الْمُقْسِطِين عند الله على منابر من نُور، عن يَمِين الرحمن ﷻ، وكلتا يَدَيْه يَمِين، الَّذِين يَعْدِلُون في حُكْمِهِم وَأَهْلِيهِم وما وَلُوا)(١).

وترتفع منزلة العادل عندما يعم الظلم ويقل العمل بالعدل، لأنّ الطاعة يعظم ثوابها كلما عظمت المشقة وذلك بدليل قوله ﷺ من حديث عتبة بن غزوان(إنَّ من وَرَائِكُم أَيَّام الصَّبْر، الْمُتَمَسِّك فِيهِنَّ يَوْمَئِذ بِمِثْل ما أنتم عليه له كَأَجْر خَمْسِين منكم، قَالُوا: يَا نَبي الله، أو منهم ؟ قَال: «بل منكم»، قالوا: يا نَبِيَّ الله، أَو منهم ؟ قَال: «لَا، بل منكم» ثَلَاث مَرَّات أو أَرْبَعًا)(٢). وإذا ساد العدل حُفظت الحقوق ونُصر المظلوم وولت الهموم، أما إذا فشا الظلم في قوم وانحسر عنهم العدل فإنّ الله يسلط عليهم من يسومونهم سوء العذاب.

والعدل مُشعر للنّاس بالاطمئنان والاستقرار وحافز كبير لهم على الإقبال على العمل والإنتاج فتزكو أنفسُهم و تكون النتيجة كثرة الخيرات وزيادة الأموال والأرزاق.

وإذا غاب العدل عن المجتمع فإنّ الناس يتحينون الفرصة للثورة على الحكومة الظالمة، وذلك لأنّ النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وكره من أساء إليها، وليس هناك إساءة أشد من الظلم.

ثالثًا: المراقبة والمحاسبة والمجاهدة:

١-المراقبة:

أ-المراقبة لغة:

ذهب الخليل في تعريفها قائلًا: رقبت الشيء أرقبه رقبة ورِقباناً أي: انتظرت. وقوله تعالى: ﴿...وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[طه:٩٤] أي: لم تنتظر. والتَرَقُّبُ: توقّع الشيء. والرَّقيب: الحارس. والرَّقُوب من الأرامل والشيوخ: الذي لا ولد له، ولا يستطيع الكسب، وسُمّيت الأرملة رَقُوباً لأنه لا كاسب لها ولا ولد فهي تَتَرَقَّبُ معروفاً(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل...، ج٣، ص١٤٥٨، ح١٨٢٧.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني، ج١٧، ص١١٧، ح٢٨٩. قال الألباني: صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ج١، ص٨٩٢، ح٤٩٤.

(٣) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ج٥، ص١٥٤، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

وجاء في لسان العرب أنّ من أَسماء اللَّه تعالى: الرَّقِيب: وهو الحافظُ الَّذِي لَا يَغيبُ عنه شيءٌ(١).

ب-المراقبة اصطلاحا:

قال ابن القيم: " هي دوام عِلْم العبد، وَتَيَقُّنه بِاطِّلَاع الْحَقِّ سبحانه وتعالى على ظَاهِره وَبَاطِنِه"(٢).

قال المحاسبيّ(٣): " المراقبة: دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في السّكون والحركة علما لازما مقترنا بصفاء اليقين"(٤).

يخلص الباحث ممّا سبق أنّ المراقبة هي الانتظار والترقب وتوقع الشيء، وتيقن الإنسان باطلاع الله على ظاهره وباطنه، حيث يعلم أنّ نفسه عدوّ له وأنّ الشيطان عدوّ له فيكون منهما على حذر وتيقظ وهذا ما يسمى بالمراقبة.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(ما الإِحْسَان؟ قَال: أن تَعْبُد اللَّه كَأَنَّك تَرَاه، فإن لم تَكُن تَرَاه فَإِنَّه يَراك)(٥).

وقد ذكر سعيد حوّى في المستخلص مقام الإحسان الذي ورد في هذا الحديث واعتبر أنّ ميزان النّجاح في السير إلى الله هو في الوصول على هذا المقام الذي يعبر عنه بمقامي المشاهدة والمراقبة، فالمراقبة أن تستشعر أنّ الله يراك والمشاهدة أن تعبده كأنّك تراه.

فإذا أردت أن تعرف قصورَك وتقصيرَك من كمالك فابحث في قلبك عن هذين المقامين، فذلك ميزان لا يخطيء فإن وجدت في قلبك مراقبة أو مشاهدة فأنت سائر أو ناجح في السير،

---

(١) انظر: لسان العرب، ج١، ص٤٢٤.

(٢) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج٢، ص٦٥.

(٣) الزَّاهد العَارف، شيخ الصُّوفية، أبو عبد الله الحَارِث بن أَسَد البغدادي، المُحَاسِبِي، صاحب التّصانيف الزُّهْدِيَّة.
له كتب كثيرة في الزُّهد، وأصول الدِّيَانة، وَالرَّد على المعتزلة والرافضة. خَلَّف له أبوه مالًا كثيرًا، فَتَرَكه، وَقَال: لا يتوارث أَهْل مِلَّتَيْن. وكان أبوه وَاقِفِيّاً، مَات سَنَة ثَلَاث وَأَرْبَعِيْن وَمائَتَيْن. انظر: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٤٨٨.

(٤) نضرة النعيم، ج٨، ص٣٣٦٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي...، ج١، ص١٩، ح٥٠.

وإلّا فابذل جهدك للوصول. ويتابع سعيد حوّى كلامه قائلا: ولا وصول لهذين المقامين والقلب مريض، فأمراض القلب تحجب الأنوار(١).

دور المراقبة في تزكية النّفس:

يرى الباحث أنّ مراقبة الله جلّ وعلا في السرّ والعلن لها أثر كبير في تزكية نفسه والسموّ بها، فعندما يؤمن القلب بصفات الله ويستشعرها ويحس أنّ الله يراه ويسمعه في كلّ لحظة وفي كل ثانية فإنّه يستحي أن يفعل ما يغضب الله، ويبادر إلى فعل ما يرضي الله، فيؤدي ذلك إلى تزكية نفسه. ولأنّ الإيمان مهم في حياة الإنسان، والنّفس البشرية هي وعاء هذا الإيمان فإذا سُلب منه فلا فائدة في حياته كلّها، من هنا احتاج الإنسان إلى مراقبة هذا الإيمان لأنّه يصدأ ويصقل في النفوس، ونظراً لخفاء ذلك وصعوبة تصوره كانت هذه المراقبة أمراً ضرورياً لا بد منه لتربية الإنسان وتزكية نفسه.

٢-المحاسبة:

أ-المحاسبة لغة:

ذهب الجوهري في الصحاح إلى أنّ المحاسبة من: [حسب] حَسَبْتُه أَحْسَبُه بالضم حَسْباً وحسابا وحسبانا، واحتَسَبَ فلانٌ ابناً له أو بنتاً، إذا ما مات وهو كبير، فإن مات صغيراً قيل افترطه. ويقال أيضاً إنه لَحَسنُ الحِسبة في الأمر، إذا كان حَسَنَ التدبير له . يقول حَسْبي أي: يكفيني، ومنه قوله تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النَّبأ:٣٦]، أي: كافيا، وتقول: أعطى فأحْسَبَ، أي أكْثَر(٢).

ب-المحاسبة اصطلاحا:

قال صاحب التوقيف على مهمات التعاريف" المحاسبة: مفاعلة من الحساب، وهو استيفاء الأعداد فيما للمرء وعليه"(٣).

ت-محاسبة النفس اصطلاحا:

---

(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص٣٧٠.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ج١، ص١١٠، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

(٣) زين الدين محمد، ص٢٩٨.

قال الإمام الماورديّ: محاسبة النّفس:" أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره فإن كان محمودا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل"(١).

يرى الباحث أنّ المحاسبة تأتي بمعان مختلفة منها: العدّ، قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرَّحمن:٥]، وتأتي بمعنى الحَسَب أي: الشرف، وتأتي بمعنى الحسبة أي: احتساب الأجر، وتأتي كذلك بمعنى الكفاية، قال تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النَّبأ:٣٦] .

ث-محاسبة النّفس ضرورة لكل مسلم:

لا بدّ للإنسان أن يحاسب نفسه وينظر في أعماله فإن وجد خيرًا حمد الله وعزم على المزيد منه، وإن وجد سوءًا ندم عليه وسارع إلى التوبة الصادقة، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح في التأكيد على محاسبة النفس وبيان أهميتها وآثارها النافعة في التزكية منها:

- **قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨] .

قال الإمام ابن القيم: "هذه الآية تدل على وجوب محاسبة النفس"(٢).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "﴿... وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ ...﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربّكم، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية"(٣).

- **قوله تعالى:** ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١-٢].

قال مجاهد: "اللوامة هي التي تندم على ما فات وتلوم نفسها"(٤).

---

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص٣٤٢.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١، ص٨٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٤، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٤) أدب النفوس، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، ص٢٧١، ط١، دار الخراز، السعودية، ودار ابن حزم بيروت-لبنان.

وقد أقسم الله بها وذكرها مع يوم القيامة دلالة على شرفها ومنزلتها وبياناً لضرورة المحاسبة وأهمّيتها.

- **قوله تعالى:** ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة:١٤-١٥].

فالإنسان بصير بعيوب نفسه، ولو تظاهر بالأعذار وجادل عن نفسه فلن ينفعه ذلك يوم القيامة، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة محاسبة النفس وكشف عيوبها قبل فوات الأوان.

- **قوله تعالى:** ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨].

قال الثعالبي في الجواهر الحسان في تفسيره لهذه الآية: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ الحسابُ اليسيرُ: هو العَرْضُ، وعن عائشةَ: هو أن يعرفَ ذنوبَه ثم يُتَجَاوَز عنه ومن نُوقِشَ الحسابَ هَلَك(١).

- وقد ورد في صحيح ابن حبان من حديث عائشة أنّها قالت: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ في بَعْضِ صَلاَتِهِ: (اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حسابًا يسيرًا، فلمّا انصرف قُلْت: يا رسول الله ، ما الْحِسَاب اليَسِير؟ قال: أَنْ يَنْظُر في كتابه ويَتَجاوَز عنه إنَّه من نُوقِش الحساب- يا عَائِشَة- يَوْمَئِذ هَلَك، وكُلّ ما يُصِيب الْمُؤْمِن يُكَفِّر اللَّه عنه حتّى الشوكة تَشُوكُه)(٢).

- ونقل التستري عند تفسيره لقوله تعالى:﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤] أقوالا للصحابة والتابعين يحثون فيها على محاسبة النفس نذكر بعضا منها، فقد حُكِي عن الحسن البصري أنه قال: أعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً، وإلا فأعد للنار جلباباً.

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر قبل أن تعرضوا (٣).

---

(١)انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ج٥، ص٥٦٨، ط١، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ١٤١٨ه، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(٢) صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ج٢، ص٣٠، ط١، المكتب الإسلامي-بيروت. قال الألباني: حسن صحيح. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، لابن حبان، تعليقات الألباني، ج١٠، ص٣٧٣، ح٧٣٢٦.

(٣) تفسير التستري، ص٩٤.

ومحاسبة النّفس تعني النظر والتّأمل فيما عمل المسلم من أعمال، وما قدم من خير أو شر، مع النظر في النية والقصد.

ج- مقامات المحاسبة:

وقد تحدّث صاحب كتاب منهج الأنبياء في تزكية النفوس عن مقامات المحاسبة واعتبر أنّ لها مقامان. المقام الأول: المشارطة: حيث يشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح، والمقام الثاني: المراقبة: فإذا أوصى الإنسان نفسه، وشرط عليها، لم يبق إلا المراقبة لها، وملاحظتها(١).

ح- ما يعين على المحاسبة:

من أبرز الأمور التي تعين على المحاسبة ما يلي:

- استشعار رقابة الله على العبد واطّلاعه على خفاياه.

فالله ﷻ يعلم السر وأخفى، ويعلم ما توسوس به الأنفس، وما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٦-١٨] .

- تذكُّر الحساب والسؤال يوم القيامة.

الحقيقة التي ينبغي للمسلم ألّا يغفل عنها أنّ الله ﷻ سيحاسب العباد يوم القيامة، ويسألهم عمّا قدّموا من خير أو شر، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦] .

- مطالعة سيرة الرسول ﷺ والصحابة والسلف الصالح.

لا شك أنّ من أعظم الوسائل العملية في تزكية النّفس أن يطالع العبد سيرة الرسول وأصحابه الكرام والسلف الصالح، ويرى اجتهادهم في العبادة ومسارعتهم إلى نيل رضا الله، وبذلك يرى نفسه مقصرًا مهما بذل من الطاعات فيسارع إلى محاسبة نفسه.

---

(١) منهج الأنبياء في تزكية النفوس، سليم بن عيد الهلالي، ص٣٣- ٣٤.

خ- مجالات محاسبة النفس:

وقد قسّم الدكتور كرزون مجالات محاسبة النفس إلى الأقسام الآتية:

- المحاسبة على المعاصي الظاهرة والباطنة.

وهو أول ما ينبغي أن يبادر إليه المبتدئ في طريق التزكية، وقد أمر الله بذلك في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١٢٠]، وقال في موضع آخر: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

- المحاسبة على النية والقصد.

فالإخلاص أساس قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ...﴾ [البيِّنة:٥]، وقال في موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ...﴾ [البقرة:٢٦٤].

وليضع الإنسان نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشُّورى:٢٠].

- المحاسبة على تفويت الطاعات وتضييع الأوقات.

الغفلة داء عضال يجب الحذر منه والمسارعة إلى علاجه، لكي يتيقظ قلب المسلم ويبادر إلى اغتنام أوقاته في مرضاة الله، فعن أبي بَرْزة نضْلة بن عبيد الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(لا تزول قدما عبد حتّى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)(١).

- المحاسبة على النعم.

أخبر الله ﷻ أنّ العبد يوم القيامة سيسأل عن شكر ما أنعم به عليه من النعم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التَّكاثر:٨].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، ج٤، ص٦١٢، ح٢٤١٧، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، ج١، ص٣٠، ح١٢٦.

ولا شك أنّ نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، ومن أبرزها نعمة الأمن والصحة والرزق والفراغ والأولاد ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١٨](١).

د-أفضل الأوقات للمحاسبة:

ليس للمحاسبة وقت محدد أو ساعة معينة، فالمسلم رقيب على نفسه يعاتبها ويحاسبها في كل أوقاته، ومع ذلك يفضّل أن يكون له مجلس مع نفسه عندما يريد النوم ليقوم بمحاسبتها، وهذا من أنفع الأوقات.

قال الإمام الماوردي-رحمه الله- في حديثه عن محاسبة النفس: "عليه أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإنّ الليل أخطر للخاطر وأجمع للفكر، فإن كان محمودًا أمضاه، وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل"(٢).

دور المحاسبة في تزكية النّفس:

يرى الباحث من خلال ما تقدّم أنّ محاسبة النفس عقب كل عمل أمر ضروري حيث تظهر من خلاله المحاسن والمعايب.

ومحاسبة النفس أمر مشروع، ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أنّ النبيّ ﷺ قَال:(الكَيِّس من دَان نَفْسَه وَعَمِل لما بعد الْمَوْت، وَالعَاجِز من أَتْبَع نَفْسَه هَوَاهَا وَتَمَنَّى على اللَّه)(٣).

قال الترمذي: وَمَعْنَى قَوْلِه: من دَان نَفْسَه أي: حَاسَب نَفْسَه في الدنيا قَبْل أَنْ يُحَاسَب يوم القِيَامَة(٤).

---

(١) انظر:منهج الإسلام في تزكية النفس، ص٣٤٧-٣٤٨.

(٢) أدب الدنيا والدين، ص٧٩.

(٣) الجامع الكبير-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ج٤، ص٢١٩، ح٢٤٥٩، تحقيق: بشار عواد معروف، ١٩٩٨، دار الغرب الإسلامي - بيروت. قال الترمذي: هذا حديث حسن، انظر: سنن الترمذي، ج٤، ص٦٣٨، ح٢٤٥٩. وضعّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج١١، ص٤٩٩، ح٥٣١٩.

(٤) المرجع السابق، ج٤، ص٢١٩.

ومحاسبة النفس من الأمور المحمودة لأنّها تثمر نشاطا في الطاعة، وبعدا عن معصية الله فيؤدي ذاك إلى راحة النفس وطمأنينة القلب والأنس بالله وفي ذلك تزكية عظيمة للنفس.

ومن حاسب نفسه قبل يوم الحساب خفّ في ذلك اليوم حسابه، ومن لم يحاسبها قبل ذلك اشتدت حسراته وطالت نداماته.

ويجب على الإنسان أن يحاسب نفسه كل لحظة بحيث لو قصّر في عمله وقف مع نفسه وحاسبها فتكون الفرصة مهيأة لتزكو نفسه وترتقي بسرعة.

ومحاسبة النفس تكون بأن يتأمل الإنسان ماذا فعل، وماذا ترك، وماذا قال، وماذا سكت عنه، فيقول مثلا لم تقولي الحق في موضع كذا، ولم تفعلي المعروف في موطن كذا، فهذا الحوار مع النفس يكون بنّاء وإيجابي وله بالغ الأثر في تزكية نفسه.

ومحاسبة النفس من شعار الصالحين وسمات الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

٣-المجاهدة.

أ-المجاهدة لغة:

وهو مأخوذ من مادّة (ج هـ د) الّتي تدلّ على المشقة، وقد سبق تعريفها عند تعريف الجهاد وهو يطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفُسّاق[١].

ب-المجاهدة شرعا:

وذكر صاحب جامع العلوم تعريفها قائلا:" هي محاربة النَّفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع[٢]".

وقد عرفها ابن حجر حيث قال: " فأمّا مجاهدة النّفس فَعَلَى تَعَلُّم أمور الدِّين ثُمَّ على العمل بها ثُمَّ على تَعْلِيمِهَا"[٣].

---

(١) انظر: ص٦٥ من الرسالة.

(٢) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ج٣، ص١٥٠، ط١، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية-لبنان-بيروت.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج٦، ص٣، ط١، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة- بيروت.

وقد تساءل جعفر شرف الدين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩] عن السبب في جعل الهداية من ثمرات المجاهدة؟ ومعلوم أنّ المجاهدة في دين الله تعالى، أو في حقّ الله تعالى، مع النفس الأمّارة بالسوء، أو مع الشيطان أو مع أعداء الدين، ذلك كله إنّما يكون بعد تقدّم الهداية من الله تعالى، فأجاب قائلا: "معناه: والذين جاهدوا في طلب التعلّم، لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا، بمعرفة الأحكام وحقائقها. وقيل معناه: لنهدينّهم طريق الجنة. وقيل معناه: والذين جاهدوا لتحصيل درجة لنهدينّهم إلى درجة أخرى أعلى منها، وحاصله لنزيدنّهم هداية وتوفيقا للخيرات، كقوله تعالى: و﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...﴾ [مريم:٧٦]، ويتواصل صاحب الموسوعة القرآنية قائلا: وقال أبو سليمان الداراني: معناه: " والذين جاهدوا فيما علموا، لنهدينّهم إلى ما لم يعلموا. وعن بعض الحكماء: من عمل بما علم، وُفّق لما لا يعلم. وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم، هو من تقصيرنا فيما نعلم"(١).

قَالَ عبد الله بْنُ المبارك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨]، "هُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى"(٢).

وقد بين الإمام ابن القيم أنّ معركةَ المجاهدة بين المسلم ونفسه لا بد أن تنجلي عن إحدى حالات ثلاث:

١-**الحالة الأولى:** تغلب داعي الدين على داعي الهوى.

وهذا الظفر لا يصل العبد إليه إلا بدوام المجاهدة والصبر حتى تتزكى النفس وتسمو.

٢-**الحالة الثانية:** تغلّب داعي الهوى على باعث الدين.

وهذا يحصل عندما تكون المجاهدة متراخية أو ضعيفة فتكون الغلبة لداعي الهوى.

٣-**الحالة الثالثة:** أن يكون الحرب سجالًا بين الجندين، فتارة له وتارة عليه، وهذه حال أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيّئًا(٣).

---

(١) الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ج٦، ص٢٧٠، ط١، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ١٤٢٠ه، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية-بيروت.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج٣، ص٣٥٤، ط١، ١٤٢٠ه، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٢٧-٣٠، ط٣، ١٤٠٩ه-١٩٨٩م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، بتصرف يسير.

ت- العوامل التي تيسّر طريق المجاهدة:

-المداومة على العمل الصالح.

فالعمل الصالح هو الذي يمد العبد بالهمة على مجاهدة نفسه، ويبعد عن قلبه الغفلة، فالمداومة على العمل الصالح وبخاصة قيام الليل والذكر والدعاء والصدقات وصيام التطوع يقوّي نفس الإنسان في مجاهدته لنفسه.

فعن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ)[(١)].

وقال الإمام ابن حزم" إهمال ساعة يفسد رياضة سنة"[(٢)].

-البعد عن مواطن المعاصي.

فالمعاصي كالأمراض المعدية من جالس أهلها أو خالطهم لا بدّ أن يتأثر بهم ولو بعد حين، وبخاصة رفاق السوء ومجالس اللهو.

وأبرز دليل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم من قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم دُلَّ على راهب فقتله فكمل به مائة، فلمّا دُلَّ على عالم وأرشده إلى طريق التوبة، بيّن له ما يعين على استمرارها وعدم الرجوع عنها فقال له: (انطلق إلى ارض كذا وكذا فإنّ بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنّها ارض سوء)[(٣)].

-التدرج في مجاهدة النفس.

إنّ كثيرًا من العادات والأفعال السيّئة عندما يمارسها الإنسان مدة طويلة من الزمن فإنها تصبح ثابتة في النفس، مستقرة فيها، ولا بد من إرادة قوية وجهد متواصل، وتدريب متكرر حتّى تتخلّى عنها.

وأقرب مثال لذلك الطفل الرضيع الذي اشتد تعلقه بالرضاعة، فلو أرادت أمه أن تفطمه دفعة واحدة فإنها لن تتمكن من ذلك، وسيزداد تعلّق طفلها بالرضاعة وتشوُّقِه لها، والأسلوب الصحيح أن تحاول الأم بالتدريج صرف الطفل عن هذا التعلّق الشديد وإيجاد البديل الذي يستغني به عن الرضاعة، فإذا انفطم كره أن يعود للرضاعة مرة ثانية.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم...، ج١، ص٥٤١، ح٧٨٣.

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، بدون تحقيق، ص٢٣، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار الآفاق الجديدة-بيروت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل...، ج٤، ص٢١١٨، ح٢٧٦٦.

-معاقبة النفس والتشديد عليها.

إذا رأى المسلم من نفسه ميلًا إلى المعاصي وتقصيرًا في الطاعات، ولم تطاوعه نفسه على سلوك طريق الحق، فليبادر إلى معاقبتها بعقوبة مشروعة حتى تنزجر وتستقيم، كما يُعاقب الأب ولده العاصي لتأديبه وتربيته، فالنفس أحق بالعقوبة والتأديب من الولد ونحوه.

قال ابن القيم: الإكثار من الطعام والشبع المفرط يثقل عن الطاعات، ومن أكل كثيرًا شرب كثيرًا فنام كثيرًا فخسر كثيرًا[(١)].

-ترويح النفس:

كثرة المجاهدة والاشتغال بتأديب النفس وموعظتها قد يؤدّي إلى السآمة والملل، ولذلك لابد من ترويحها بين الحين والآخر ببعض المباحات للتقوّي بها على الطاعات.

ودليل ذلك ما رواه البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[(٢)].

دور المجاهدة في تزكية النّفس:

يرى الباحث أنّ النفوس بحاجة إلى ترويض ومجاهدة لا يقدر عليها إلّا أصحاب العزيمة القوية، والإرادة الصادقة، فقد يكون الحق خلاف هواها ومعارضا لرغباتها، ومضادّا لمصالح الإنسان الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فمن خلال المجاهدة نتحصّل على الهداية وفي ذلك تزكية للنفس عظيمة.

وكان من دعائه ﷺ (اللهم إنّا نعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)[(٣)].

وهذا الدعاء يدُلّ على أنّ النفس البشرية إذا أهملنا تزكيتها فإنّنا لا نأمن شرورها، وقد أخرج النسائي من حديث أنس أنّ رسول اللهﷺ قال:(يا فَاطِمَة مَا يمنعك أَن تسمعي ما أوصيك

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ج١، ص٤٥٨-٤٥٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم، ج١، ص٢٥.

(٣) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ج٣، ص١٠٤، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦-١٩٨٦م. قال الألباني: صحيح. انظر: تخريج الكلم الطيب، تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص١٥٩، ح٢٠٦، ط٣، ١٩٧٧م.

به أَن تقولي يا حَيّ يا قيوم بِرَحْمَتك أستغيث لَا تَكِلني إِلَى نَفسِي طرفَة عين وَأصْلح لي شأني كُله)[1].

ومجاهدة النفس تكون على تعلّم أمور الدين، ثمّ على العمل بها، ثمّ على تعليمها.

ومجاهدة النفس أعظم من مجاهدة الكفار لأنّ من جاهد نفسه فقد جاهد الدنيا، ومن غلب الدنيا هان عليه مجاهدة الأعداء.

رابعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١-تعريف المعروف.

أ- المعروف لغة:

جاء في الصحاح ولسان العرب أنّ: المعروف: كالعرف وهو ما تعرفه النّفس من الخير وتطمئنّ إليه، وقوله تعالى: ﴿...وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾ [لقمان:١٥]، أي مصاحبا معروفا،

وقوله ﷻ:﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾[المرسلات:١].

قال بعض المفسّرين فيها: إنّها (الملائكة) أُرسلت بالعرف والإحسان، وقيل: هو مستعار من عرف الفرس أي يتتابعون كعرف الفرس. والعرف، والمعروف واحد ضدّ النّكر. وقد تكرّر ذكر المعروف في الحديث، وهو من الصّفات الغالبة أي: أمر معروف بين النّاس إذا رأوه لا ينكرونه. والمعروف: النّصفة وحسن الصّحبة مع الأهل وغيرهم من النّاس، والمنكر ضدّ ذلك جميعه[2].

ب- المعروف اصطلاحا:

"اسم جامع لكلّ ما عُرِف من طاعة الله والتّقرّب إليه، والإحسان إلى النّاس، وكلّ ما ندَب إليه الشّرع، ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات"[3].

---

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للعراقي، ص٣٧٣، أخرجه النَّسَائِيّ فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة، وَالْحَاكِم من حَدِيث أنس وَقَالَ صَحِيح عَلَى شَرط الشَّيْخَيْن. قال الألباني: حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ج١، ص٤٤٩، ح٢٢.

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري، ج٤، ص١٤١.

(٣) نضرة النعيم، ج٣، ص٥٢٥.

٢-تعريف المنكر.

أ- المنكر لغة:

قال ابن منظور: النّكر والنّكراء: الدّهاء والفطنة. وامرأة نكراء، ورجل منكر داه، والإنكار: الجحود. والنّكرة: إنكارك الشّيء، وهو نقيض المعرفة.

وفي التّنزيل العزيز: ﴿...نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً...﴾[هود:٧٠]، والإنكار: الاستفهام عمّا ينكره، والاستنكار: استفهامك أمرا تنكره.

والمنكر من الأمر: خلاف المعروف وكلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه وكرهه، فهو منكر، واستنكره فهو مستنكر، والجمع مناكير(١).

ب- المنكر اصطلاحا:

"كلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه ونهى عنه"(٢).

٣-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحا:

قال الجرجانيّ: الأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى المراشد المنجّية.

والنّهي عن المنكر: الزّجر عمّا لا يلائم في الشّريعة.وقيل: الأمر بالمعروف الدّلالة على الخير. والنّهي عن المنكر: المنع عن الشّرّ.

وقيل: الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسّنّة. والنّهي عن المنكر: نهي عمّا تميل إليه النّفس والشّهوة.وقيل: الأمر بالمعروف: الإشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال العبد وأفعاله. والنّهي عن المنكر: تقبيح ما تنفّر عنه الشّريعة والعفّة وهو ما لا يجوز في شرع الله تعالى(٣).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يرى الباحث من خلال تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة واصطلاحا، أنّ المعروف: هو كل ما تميل إليه النفس وتعرفه من الخير ممّا يوافق الشرع ولا يخالفه، بحيث إذا رآه النّاس لا ينكرونه، فالمعروف إذاً هو اسم جامع لكل أعمال البرّ والخير.

---

(١) انظر: لسان العرب، ج٥، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) نضرة النعيم، ج٣، ص٥٢٥.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٥٢٦.

والمنكر: خلاف المعروف، وهو كل ما قبحه الشرع، وحرمه، وكرهه، واستنكره بحيث إذا رآه النّاس ينكرونه، والمنكر ما تميل إليه النفس والشهوة.

وقد بعث الله ﷻ أنبياءه وأرسل رسله، وحمّلهم مهمة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد دل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١]، وقوله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

دلت هذه الآيات الكريمة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة.

ويقول القرطبي: " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة وهما فائدة الرسالة وخلافة النبوة " [١].

والأدلة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله كثيرة ومتنوعة، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤]. وقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- أنّ رسول الله ﷺ قال: (من رأى منكم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْه بيده، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فبلسانه، فإن لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلك أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[٢].

علاقة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بتزكية النّفوس:

أمّا بالنسبة لعلاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتزكية النّفوس فإنّ الباحث يرى أنّ بينهما علاقة وثيقة، فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر يحميان المجتمع من التلوث الفكري والأخلاقي، ولولاهما لتفرّق الناس شيعا.

وبواسطتهما يحصل العدل، وتكون كلمة الله هي العليا.

وإنكار المنكر ولو بالقلب وهو أدنى درجات الإيمان له أثر في تزكية النفس حيث إنّ استنكاره وعدم الرضا به يجعلنا لا نأتي به وقد استنكرناه من غيرنا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٤، ص٤٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج١، ص٦٩، ح٤٩.

ويجب أن نعلم أنّ النّاهي عن المنكر له أجران: الأجر الأول: قيامه بالعمل. والأجر الثاني: الأذى الذي يصيبه من النّاس، وفي تحمل الأذى تزكية للنّفس وارتقاء بها، حيث إنّ الأمر والنّهي يستتبعان في الغالب ابتلاءات تتطلّب منّا الصبر قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧] .

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مدعاة للنّجاة من عذاب الله والتي هي ثمرة من ثمرات التزكية التي نتحصّل عليها من خلال الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦] .

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من أسباب تكفير الذنوب حيث أخرج البخاري في صحيحه من حديث حذيفة ابن اليمان أن رسول الله ﷺ قال:(فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر والنهي)[١].

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو أرقى درجات الكمال الإنساني، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصّلت:٣٣].

وهو مقام خلافة عن الله ورسوله وكتابه، وهو سر أفضلية الأمة الإسلامية، وسبب للنّصر والتمكين في الدنيا، قال تعالى: ﴿...وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠] .

خامسًا: الحذر من مكائد الشيطان ومجاهدته.

١-تعريف الشيطان.

أ- الشيطان لغة:

جاء في لسان العرب: شطن: الشَّطَن: الحَبْل، وقِيل: الْحَبْل الطَّوِيل الشديد الفَتْل وَالْجَمْع أَشْطان. قَالَ عَنْتَرَةَ:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ، والرِّماحُ كأنها ... أَشْطانُ بئرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ[٢]

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، ج١، ص١١١، ح٥٢٥.

(٢) شرح المعلقات التسع، أبو عمرو الشيباني، ص٢٥٢، ط١، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.

وبِئْر شَطُون: مُلْتَوية عَوْجاء. وحرب شَطُون: عَسِرة شَدِيدَة، وشَطَن عَنْه: بَعُد. والشاطِن: الْبَعِيد عَن الْحَقِّ، والشاطِن: الْخَبِيث.

وتَشَيْطَن الرَّجُل وشَيْطَن إِذا صَارَ كالشَّيْطان وفَعَل فِعْله، وَقِيل: الشَّيْطَان مِنْ شاط يَشيط إِذا هَلَك وَاحْتَرَق. وتشَيْطَن الرَّجُل: فَعَل فِعْل الشَّيَاطِين(١).

ب- الشيطان اصطلاحا:

قال الكفوي: "إنّ لفظ الشيطان يقصد به: " كُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ والإِنس وَالدَّوَابِّ"(٢)

إذا كانت النون في لفظة الشيطان أصلية يكون جذره الثلاثي شطن بمعنى البعد، فيكون قد سمّي بذلك لبعده عن الحق وتمرده.

أمّا إذا كانت النون غير أصلية فقد يكون جذره الثلاثي شاط بمعنى هلك واحترق فيكون قد سُمّي بذلك لأنّ مآله إلى الهلاك والاحتراق(٣).

ويرى صاحب التفسير الحديث أنّ لفظة الشيطان قد تكون جاءت من الفعل شطّ بمعنى جار وبغى، قال تعالى:" ﴿...فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص:٢٢] (٤).

وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]. قوله تعالى: ﴿...مِنَ النِّسَاءِ...﴾ بدأ بِهِنَّ لكثرة تَشَوُّف النُّفُوس إِلَيْهِنَّ، لِأَنَّهُنَّ حَبَائِل الشَّيْطَان وَفِتْنَة الرِّجَال. وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أسامة بن زيد أنّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قال:(مَا تَرَكْت بعدي فتنة أضرّ على الرِّجَال من النِّسَاء)(٥)، إذ النِّسَاء أَشَدُّ من جَمِيع الْأَشْيَاء. وَيُقَالُ: في النّساء فِتْنَتَان، وفي الْأَوْلَاد فِتْنَة واحدة. فَأَمَّا اللَّتَان فِي النِّسَاء فَإِحْدَاهُمَا أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى قَطْعِ الرَّحِم، لِأَنَّ الْمَرْأَة قد تَأْمُر زوجها بِقَطْعِه عن الْأُمَّهَات وَالْأَخَوَات. وَالثَّانِيَة يُبْتَلَى بِجَمْعِ المال من الحلال والحرام. وَأَمَّا الْبَنُونَ فَإِنَّ الْفِتْنَة فيهم واحدة، وهو ما ابْتُلِي بِجَمْعِ

---

(١) انظر: لسان العرب، ج١٣، ص٢٣٧ بتصرف يسير.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، ص٥٢٣، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون سنة نشر.

(٣) انظر: الموسوعة الكويتية، ج١٦، ص٩٠.

(٤) انظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ج١، ص٥٠٩، ط ١٣٨٣ هـ، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

(٥) صحيح البخاري، كتاب النّكاح، باب ما يتّقى من شؤم المرأة، ج٧، ص٨، ح٥٠٩٦.

الْمَال لأجلهم. وقد ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قَال:(عَلَيْك بِذَات الدِّين تَرِبَت يداك)[1]. فَعَلَى الإنسان إذا لم يَصْبِرْ في هذه الْأَزْمَان أن يبحث عن ذات الدِّين لِيَسْلَم له الدِّين[2].

وذهب ابن قيّم الجوزية في تفسير قوله تعالى مخبرا عن عدوّه إبليس: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف:١٦] حيث قال: والتقدير: لأقعدن لهم على صراطك، فإن القاعد على الشيء ملازم له. قال ابن عباس: "دينك الواضح" وقال ابن مسعود: "هو كتاب الله" وقال جابر: "هو الإسلام" وقال مجاهد: "هو الحق". والجميع عبارات عن معنى واحد، وهو الطريق الموصل إلى الله تعالى. فما من طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧]، "قال ابن عباس: مِن قِبَل الدنيا، وفى رواية أخرى عنه أشككهم في آخرتهم. وقال أبو صالح: أشككهم في الآخرة وأباعدها عليهم. وعن أيمانهم قال ابن عباس: "أشبّه عليهم أمرَ دينهم" وقال أبو صالح: الحق أشككهم فيه، وعن قتادة: أتاك الشيطان يا ابن آدم من كلّ وجه غير أنه لم يأتك من فوقك. لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله"[4]. قال تعالى:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠].

فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا إربك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، ويمنّيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها، ، فيعده الباطل الذى لا حقيقة له- وهو الغرور- ويمنّيه المحال الذى لا حاصل له. ومن تأمل أحوال أكثر الناس وجدهم متعلقين بوعده وتمنيه وهم لا يشعرون أنه يعد الباطل فالنفس الخسيسة تلتذ بالأمانى الباطلة والوعود الكاذبة، وتفرح بهما، كما يفرح بهما النساء والصبيان ويتحركون لهما. قال

(١) صحيح البخاري، كتاب النّكاح، باب الأكفاء في الدين، ج٧، ص٧، ح٥٠٩٠.

(٢) تفسير القرطبي، ج٤، ص٢٩.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ج١، ص١٠٢، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) إغاثة اللهفان، ج١، ص١٠٣.

تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨]، ﴿...يعدكم الفقر...﴾ يخوفكم به، يقول: إن أنفقتم أموالكم افتقرتم"[١].

ذهب ابن القيّم في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء:١١٨] إلى أنّ حقيقة الفرض هو التقدير. والمعنى: أنّ من اتّبع الشيطان وأطاعه فهو من نصيبه المفروض وحظه المقسوم، فكل من أطاع عدو الله فهو من مفروضه، فالناس قسمان: نصيب الشيطان ومفروضه، وأولياء الله وحزبه وخاصته.

ويذكر ابن القيّم أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:١١٩]، قوله: ﴿...وَلَأُضِلَّنَّهُمْ...﴾ يعنى: عن الحق. ﴿...وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ... ﴾ قال ابن عباس: يريد تعويق التوبة وتأخيرها. وقال الكلبي: أمنّيهم أنه لا جنة، ولا نار، ولا بعث.

وقيل: أمنيهم طول البقاء في نعيم الدنيا، فأطيل لهم الأمل فيها ليؤثروها على الآخرة.

وقوله: ﴿...وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ...﴾. البتك: القطع وهو في هذا الموضع: قطع آذان البحيرة[٢]، ومن هنا كره جمهور أهل العلم تثقيب أذنى الطفل للحلق، ورخص بعضهم في ذلك للأنثى، دون الذكر، لحاجتها إلى الحلية، ونص أحمد رحمه الله على جواز ذلك في حق البنت وكراهته في حق الصبي. وقوله: ﴿... وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ...﴾. قال ابن عباس: يريد دين الله ثم قال: ﴿...يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النساء:١٢٠]، ﴿...يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ حيث يأمرهم بالشر ويخوفهم من فعل الخير، وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزيّنها له ارتكبها[٣].

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص١٠٥.

(٢) قال أهل اللغة: البَحِيرةُ ناقةٌ كانت إذا نُتجت خمسة أبطُن وكان آخرُها ذكراً، نحروا أذْنَها -أي شَقوهَا- وامتنعوا من ركوبها وذبْحهَا، ولا تطرد عن ماءٍ ولا تمنع مِن مَرْعًى، انظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ج٢، ص٢١٣، ط١، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

(٣) بتصرف يسير عن إغاثة اللهفان، ج١، ص١٠٦-١٠٧.

الخلاصة:

لقد فطر الله عباده على الفطرة السليمة وهي ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾ [يونس:١٠٥] .

روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (ما من مولود يُولَدُ إِلَّا على الفطرة...)(١).فكان عمل إبليس عليه لعنة الله أن يغيّر هذه الفطرة بالكفر، وأن يكيد للإنسان فيورده الموارد التي يظن أنّ فيها منفعته، ثمّ يتخلّى عنه، ويأمره بالسرقة والزنا والقتل، ثمّ يدل عليه ويفضحه، ويخوّف المؤمنين فلا يجاهدون، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر. لذلك يجب على الإنسان إزاء هذه الشدائد والمخاطر أن يعمل على تقوية إيمانه بالله حتّى تزكو نفسه فتقف سدّا منيعا أمام إغراءات الشيطان.

ويجب عليه أيضًا أن يتعرّف على المداخل التي من خلالها ينفذ إليه الشيطان، فبالعلم والإيمان يتسلّح الإنسان ويتحصّن ضد وسوسة الشيطان.

٢- بعض مكائد الشيطان.

أ- مكيدة الشيطان بالكفر.

وسبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾[النساء:١٧١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح:٢٣].

قال أبو عبدالله آل سعدي: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد حتى إذ هلك أولئك ونسي العلم، عبدت "(٢).

وقال ابن القيم:" قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات...، ج٢، ص٩٤، ح١٣٥٨.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص٨٥، ط٢، ١٤٢١ه، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١، ص٢٨٧.

وعن عمر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال:(لاَ تُطْرُونِي[1]، كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْن مَرْيَم، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُه، فَقُولُوا عبد اللَّه، وَرَسُوله)[2].

وأخرج ابن ماجة في سننه من حديث ابن عباس ﷺ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ (إياكم والغلوّ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوّ)[3].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله أنّه قال: قال رسول الله ﷺ (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُون[4])[5].

الخلاصة:

يخلص الباحث إلى أنّ الإفراط في تقديس الأمور لا يقل خطرًا عن التفريط فيها إذ إنّه يؤدّي إلى الكفر، فأوّل شرك حدث في الأرض كان بشبهة الصالحين.

وأنّ النّفس البشرية تميل إلى قبول البدع على الرغم من أنّ الشرائع السماوية والفطرة السليمة تردها، ومع تقادم الزمن فإنّ الحق في قلب الإنسان ينقص والباطل يزيد بدليل ما فعل قوم نوح من عبادة الأصنام، لذلك يجب أن نبتعد عن بناء التماثيل وأن نعمل على إزالتها. ويجب أن يرسخ في الذهن أنّ البدع والغلوّ من أهم أسباب الكفر لذلك حذّر رسول الله ﷺ من التنطّع، وبيّن أنّ مصير المتنطّعين الزوال والهلاك.

---

(١) لا تطروني: من الإطراء وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه، كما أطرت النصارى ابن مريم، أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ج٦، ص٤٩٠، ١٣٧٩ه، دار المعرفة-بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: واذكر في الكتاب مريم...، ج٤، ص١٦٧، ح٣٤٤٥.

(٣) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ج٢، ص١٠٠٨، ح٣٠٢٩، دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، ج١، ص٥٢٢، ح٢٦٨٠.

(٤) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، انظر: شرح النّووي على مسلم، ج١٦، ص٢٢٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ج٤، ص٢٠٥٥، ح٢٦٧٠، وسنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، ج٤، ص٢٠١، ح٤٦٠٨.

ب- مكيدة الشيطان بالبخل.

إنّ الله ﷻ قد ذمّ البخل وعابه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [آل عمران:١٨٠]، وقال في موضع آخر:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الحديد:٢٤]، وقد أخرج أبو داود في سننه من حديث عبد الله ابن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال: (إِيَّاكُم وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَك مَن كَان قَبْلَكُم بِالشُّحِّ...)(١).

لذلك يستغل الشيطان هذه الصفة الذميمة فيحاول أن يغرسها وينمّيها في قلوب النّاس، قال تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٨] .

وذهب ابن القيّم في تفسير قوله تعالى: ﴿...يَعِدُكُمُ الفَقْرَ...﴾ أي: "يخوفكم به، يقول: إن أنفقتم أموالكم افتقرتم، قالوا: ﴿... وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ...﴾ هي البخل في هذا الموضع خاصة، ويُذْكر عن مقاتل والكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلا في هذا الموضع فإنها البخل، فذكر سبحانه وعد الشيطان وأمره، يأمرهم بالشر ويخوفهم من فعل الخير، فإنه إذا خوّفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزيّنها له ارتكبها"(٢).

وقال صاحب البحر المحيط في تفسير قوله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨] " وَتَقَدَّم وَعْد الشَّيْطَان على أَمْره، لِأَنَّه بالوعد يَحْصُل الِاطْمِئْنَان إليه، فَإِذَا اطْمَأَنَّ إليه وَخَاف الفقر تَسَلَّط عليه بِالْأَمْر، إِذ الْأَمْر اسْتِعْلَاء على الْمَأْمُور"(٣).

وَقَال الزَّمَخْشَرِيُّ: وَالْفَاحِش عند الْعَرَب البخيل، وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء أي يُغْرِيكُم على البخل وَمَنْع الصَّدَقَات، فَتَكُون الجملة الثانية كالتوكيد للأولى(٤).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في الشح، ج٢، ص١٣٣، ح١٦٩٨، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، ج١، ص٥٢١، ح٢٦٧٨.

(٢) إغاثة اللهفان، ج١، ص١٠٧. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ج٥، ص٣٨٠، ح١٤٨٩، ط١، ١٧٢٣ه-٢٠٠٢م، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

(٣) البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج٢، ص٦٨٢، ١٤٢٠ه، دار الفكر – بيروت.

(٤) انظر: الكشاف، ج١، ص٣١٥.

وذهب صاحب التفسير الواضح في تفسير قوله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ...﴾ إلى أنّ: "الشيطان بما يوسوس للناس ويزيّن لهم أنّ الصدقة والإنفاق في سبيل الله يورث الفقر والحاجة، (الجود يفقر والإقدام قتّال) يعدنا بالفقر ويأمرنا بالبخل"[1].

الخلاصة:

يرى الباحث أنّ البخل سبب ارتكاب سائر الفواحش، ولهذا قال رسول الله ﷺ من حديث جابر ابن عبد الله (...وَأَيّ دَاءٍ أَدوَى[2] من البُخل...)[3].

والبخل باب عظيم من أبواب الشيطان يدخل من خلاله إلى نفس الإنسان، ويخوّفه الفقر فيمتنع الإنسان عن الإنفاق والتصدّق، فيعمل على الادخار وكنز الأموال.

والشيطان إذ يوسوس للإنسان بالبخل وعدم الإنفاق ليس شفقة عليه، ولا نصيحة له، ولا محبة في بقائه غنيًا، بل يفعل ذلك حتّى يسيء الإنسان ظنّه بربه، ويترك ما يحبه الله من الإنفاق لوجهه فيستوجب الحرمان. أمّا الصدقة فإنّها ترغم الشيطان وتزكّيها النفس وتنمّيها، وتحبّب العبد إلى الله والى خلقه وتستر عليه كل عيب.

ومكائد الشيطان كثيرة لا تكاد تحصى، لذلك اقتصرت على ذكر بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

٣-مجاهدة الشيطان وتزكية النفس منه.

ويمكن تحصيل ذلك بوسائل وطرق متعدّدة ذكرها عمر الأشقر وقد قمت بتلخيصها[4] حيث قال: أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان متنوعة منها:

---

(١) الحجازي، محمد محمود، ج١، ص١٨٣، ط١٠، ١٤١٣ه، دار الجيل الجديد – بيروت.

(٢) قَال عِيَاض: كذا وَقَع أَدْوَى غير مهموز من دَوَى إِذَا كَان بِهِ مَرَض فِي جَوْفِه، وَالصَّوَاب أَدْوَأُ بِالْهَمْز لِأَنَّه مِنَ الدَّاء فَيُحْمَل عَلَى أنّهم سَهَّلُوا الهمزة، انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج٦، ص٢٤٢.

(٣) الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، ص١٥٣، ط١، ١٤١٩ه-١٩٩٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، قال الألباني صحيح. انظر: صحيح الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص١٢٥، ح٢٩٦، ط٤، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.

(٤) انظر: عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص١٤٣، ط٤، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م، مكتبة الفلاح، الكويت.

أ-الحذر والحيطة:

فهذا العدو الخبيث الماكر حريص على إضلال بني آدم، وقد علمنا أهدافه ووسائله في الإضلال، فبمقدار علمك بهذا العدو: أهدافه ووسائله والسبل التي يضلنا بها تكون نجاتنا منه، أما إذا كان الإنسان غافلاً عن هذه الأمور فإن عدوه يأسره ويوجهه الوجهة التي يريد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ...﴾ [النور:٢١]

ب-الالتزام بالكتاب والسنّة:

أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة علماً وعملاً، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم، والشيطان يجاهد كي يخرجنا عن هذا الصراط قال تعالى:﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون﴾ [الأنعام:١٥٣] .

ت-الالتجاء إلى الله والاحتماء به:

خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه، والاستعاذة به من الشيطان، فإنه عليه قادر. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين وحضورهم: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون:٩٧] .

ث-الاشتغال بذكر الله:

ذِكْرُ الله من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان، فهو لا يدخل على الإنسان إلا من باب الغفلة، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى، انخنس. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] .

ج- لزوم جماعة المسلمين:

ومما يبعد المسلم عن الوقوع في أحابيل الشيطان أن يعيش في ديار الإسلام، ويختار لنفسه الفئة الصالحة التي تعينه على الحق، وتحضّه عليه، وتذكره بالخيرات، فإن في الاتحاد والتجمع قوة وأي قوة، فعن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت

فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فكان مما قال: (عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد...)[1].

ح-كشف مخططات الشيطان ومصائده.

على المسلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الإضلال، ويكشف ذلك للناس، وقد فعل ذلك القرآن، وقام بهذه المهمة الرسول ﷺ خير قيام، فالقرآن عرّفنا الأسلوب الذي أغوى الشيطان به آدم. والرسول ﷺ كان يعرّف الصحابة كيف يسترق الشيطان السمع، ويلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبة، يبيّن ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال هؤلاء، وبين لهم كيف يوسوس لهم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأن وضوءهم قد فسد، والأمر ليس كذلك، وكيف يفرق بين المرء وزوجه، وكيف يوسوس للمرء، فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟

قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:١١٩]

خ-مخالفة الشيطان:

يأتي الشيطان في صورة ناصح يحرص على الإنسان، فعلى المرء أن يخالف ما يأمر به، ويقول له: لو كنت ناصحاً أحداً لنصحت نفسك، فقد أوقعت نفسك في النار، وجلبت لها غضب الجبّار، فكيف ينصح غيره من لا ينصح نفسه.

يقول الحارث بن قيس: إذا أتاك الشيطان وأنت تصلي، فقال: إنك ترائي فزدها طولاً، فإذا علمنا أنّ أمراً ما يحبّه الشيطان، ويتصف به، فعلينا أن نخالفه، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨]

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٤، ص٤٦٥، ح٢١٦٥، قال الألباني صحيح. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ج٦، ص٢١٥، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

سادسا: أمراض القلوب ومعالجتها

١-تعريف المرض:

أ- المرض لغة:

قال ابن فارس: (مَرِض) الميم وَالرَّاء وَالضَّاد أَصْلٌ صَحِيح يَدُلّ على ما يَخْرُج بِه الْإِنْسَان عن حَدِّ الصِّحَّة في أَيِّ شَيْء كان. وَالنِّفَاق مَرَض، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠](١).

قال الجوهري:" لفظ مريض في اللّغة هو الوصف من قولهم «مرض فلان» أي أصابه المرض، والمرض: السّقم (نقيض الصّحّة) وأصله النّقصان أو الضّعف. يُقال: بدن مريض أي: ناقص القوّة، وقلب مريض: ناقص الدّين"(٢).

ب- المرض اصطلاحا:

وردت فيه أقوال عديدة منها:

١- قال الجرجانيّ: "المرض هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن حدّ الاعتدال"(٣).

٢- وقال المناويّ: "المرض: ضعف في القوى يترتّب عليه خلل في الأفعال"(٤).

٢-أنواع المرض:

قال الفيروز أبادي:" المرض يكون جسمانيّا ويكون نفسانيّا.

أمّا الجسمانيّ: فمنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة:١٨٤]، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ...﴾ [النور:٦١]

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ج٢، ص٢١٣.

(٢) الصحاح، ج٣، ص١١٠٦.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ج٤، ص٤٩٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣٠٢.

وأمّا النّفسانيّ: فهو عبارة عن الجهل والظّلم والسّجايا الخبيثة كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا...﴾ [البقرة:١٠] "[١].

وقد عبّر بعضُهم عن المرض النّفسانيّ بلفظ الرّوحانيّ وقال: هو: عبارة عن الرّذائل كجهل وجبن أو بخل ونفاق وغيرها، سمّيت به لمنعها عن إدراك الفضائل كمنع المرض للبدن عن التّصرّف الكامل، أو لمنعها عن تحصيل الحياة الأخرويّة، أو لميل النّفس إلى الاعتقادات الرّديئة كما يميل المريض إلى الأشياء المضرّة[٢].

قال صاحب شرح العقيدة الطحاويّة: " أمراضُ الْقُلُوبِ نَوْعَان: مَرَضُ شُبْهَة، وَمَرَض شَهْوَة، وكلاهما مذكور في الْقُرْآن، قال تعالى: ﴿...فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[الأحزاب:٣٢]، فهذا مَرَض الشَّهْوَة، وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا...﴾[البقرة:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ...﴾ [التوبة:١٢٥] فهذا مَرَض الشُّبْهَة، وهو أَرْدَأ من مَرَض الشهوة، إِذْ مرض الشَّهْوة يُرْجَى له الشِّفَاء بِقَضَاء الشَّهْوة، وَمَرَضُ الشُّبْهة لَا شِفَاء له إن لم يَتَدَارَكْه اللَّه بِرَحْمَته[٣].

نخلص من جملة ما سبق أنّ المرض هو نقص في القوّة يُخرج الإنسان عن حدّ الصحة والاعتدال، وقد يكون في الجسد أو النّفس، أو فيهما معا، وقد يكون مرض شبهة أو مرض شهوة أو كلاهما معا.

٣-لفظ المرض في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزيّ: " ذكر أهل التّفسير أنّ المرض في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: مرض البدن، قال تعالى:﴿ ...فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ...﴾ [البقرة:١٩٦].

---

(١) بصائر ذوي التمييز، ج٤، ص٤٩٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج٤، ص٤٩٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ص١٨٧، ط١، ١٤١٨ه، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والثّاني: الشّكّ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[التوبة:١٢٥]، والثّالث: الفجور، قال تعالى: ﴿...فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢]" (١).

٤-معالجة القلوب وتزكيتها من الأمراض:

ويرى الباحث أنّ ذلك يتم من خلال بعض الأساليب الآتية:

أ- سلوك المسلك المضاد للمرض.

حيث ذكر صاحب الإحياء أنّ الطريق هو: "سلوك مسلك المضاد لِكُلِّ ما تهواه النَّفْس وَتَمِيل إِلَيْه وقد جَمَع اللَّه ذلك كُلَّه فِي كتابه الْعَزِيز في كلمة واحدة فَقَال تَعَالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[النّازعات:٤٠- ٤١]، والأصل الْمُهِمُّ في الْمُجَاهدة الْوَفاء بِالْعَزْم فَإِذا عَزَم على تَرْك شَهْوَة فقد تَيَسَّرَت أَسْبَابُها وَيَكُون ذلك ابْتِلَاء من اللَّه تَعَالى وَاخْتِبَارًا فَيَنْبَغي أَنْ يَصبِر وَيَسْتَمِرَّ فَإِنَّه إِنْ عَوَّدَ نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية"(٢).

إذًا فأمراض القلوب علاجها بضدّها، حيث يُعالَج مرض الجهل بالتعلّم، ومرض البخل بالتسخّي، ومرض الكبر بالتواضع.

ويرى الباحث أيضًا أنّ قلب الإنسان لا يخلو من أسقام وأمراض لو أهملها لأدّى ذلك إلى تراكمها، ولساقته إلى التهلكة في الدنيا والآخرة، فمنها ما يؤدّي إلى الكفر بالله وهو أعظم المهلكات، ومنها حبّ الجاه، ومنها اعتقاد البدعة والاعتماد على العقل المجرّد بلا مراعاة شرع كالمعتزلة القاصرين الحُسْن والقبح على العقل. ومنها قطع الأمل والرجاء من رحمة الله، قال تعالى: ﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾[الأعراف:١٥٦] .

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ص٥٤٥-٥٥٦، ط١، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة- لبنان- بيروت.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، ج٣، ص٦٢.

ومنها حبّ المدح والثناء، وإتباع الهوى، والرياء، والكبر، والطيش، والخفة، والعناد، ومكابرة الحق، والتمرّد، والتبذير، والعجلة، والفظاظة.....الخ من أمراض القلوب العديدة التي يصعب حصرها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:٩] .

ب- الدعاء.

ويتجلى ذلك واضحا في الحديث الذي يرويه العباس ﷺ حيث قَال: قَال رَسُول اللَّه ﷺ (اللَّهُمَّ كما حَسَّنْت خَلْقِي فَحَسِّن خُلُقِي)(١).

ت- المجاهدة والرياضة.

وذلك بحمل النّفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلُق المطلوب، فقد ورد عن النّبي ﷺ من حديث أبي الدرداء أنّه قال: (إِنَّمَا الْعِلْم بِالتَّعَلُّم، وَالْحِلْم بِالتَّحَلُّمِ...)(٢).فمن أراد مثلًا أن يتخلّق بخلق الجود، فعليه أن يتكلّف فعله، وهو بذل المال فيواظب على ذلك مجاهدًا نفسه حتّى يصير له طبعًا، فيؤدّي ذلك إلى تزكية نفسه والارتقاء بها. وكذلك من أراد أن يكتسب خلق التواضع، وقد غلب عليه الكبر، فما عليه إلّا أن يواظب على أفعال المتواضعين فترة من الزمن مجاهدًا نفسه إلى أن يصير ذلك خُلقا له وطبعًا، ، فكما أنّه لا بدّ من احتمال مرارة الدواء لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لا بدّ من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة القلب لتزكو نفسه وتصفو، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾ [النّازعات:٤٠ -٤١].

ث-كثرة ذكر الله.

ومن علاج القلوب أيضًا أن نملأها بذكر الله وسنّة رسوله حتّى لا يجد اللهو مكانًا ولا متسعًا في قلوبنا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، بدون طبعة، ج١، ص٢١٥، ح٥٦٦، المكتبة العصرية.
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ج٥، ص١٧٤، ط١، دار السعادة-بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، حسّنه الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ج١، ص٧٦٠، ح٣٤٢.

ج- التدرج في العلاج.

وذلك باستخدام أسلوب التدرج، فالمرض الجسدي إذا أمكن علاجه بالغذاء لا نستعمل في إزالته الدواء، وإذا أمكن إزالته بالدواء الضعيف لا نستعمل الدواء القوي، وكذلك الحال بالنّسبة للقلوب، لابدّ استعمال الرفق والصبر والأناة في التعامل معها حتّى نجني أفضل الثمار.

ح- المحافظة على الصلاة.

وإقامة الصلاة وأداؤها على وجهها وفي وقتها يجعل الصلة تنعقد بين قلب الإنسان وربّه، فيتحصّل الأنس بالله فيزكو قلب الإنسان ويرتقي إلى العلياء، قال تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٨]

خ- تأدية الزكاة.

وإيتاء الزكاة يحقق استعلاء النفس على شحّها الفطري، قال تعالى: ﴿...**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**...﴾ [النساء:١٢٨]، وقال في موضع آخر مادحًا الذين يؤدون الزكاة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٧].

د- اليقين بالآخرة.

واليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب وتطلّعه إلى ما عند الله، حيث يزكو هذا القلب ويترفّع عن متاع الدنيا الزائل، وقد ذكر الله ﷻ هذا الصنف في مقام المدح حيث قال: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ [البقرة:٤].

وقد وردت أحاديث كثيرة في معالجة القلوب لا نستطيع حصرها، أذكر منها على سبيل المثال ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(إِيَّاكُم وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَب الحَدِيث، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا)[1]. وهذه الأفعال لو تأمّلناها لوجدنا أنّها من أعمال القلوب.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي أَيُّوب الأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: (لاَ يَحِلُّ لِرَجُل أَنْ يَهْجُر أَخَاه فَوْق ثَلاَث لَيَال، يَلْتَقِيَان: فَيُعْرِض هذا وَيُعْرِض هذا، وخيرهما

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، ج٨، ص١٩، ح٦٠٦٤.

الذي يبدأ بالسلام)[١]. ولو تأملنا هذا الحديث لرأيناه يعالج أمراضًا نفسية تختص بالقلب، وكذلك الأمر في بيع الرجل على بيع أخيه، وأن يخطب على خطبته المنهي عنه في الحديث لأنّه يسبب التباعد والتباغض، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال:(لا يَبِع الرَّجُل على بَيْع أَخِيه، ولَا يَخْطُب على خِطْبَة أَخِيه، إِلَّا أن يَأْذَن له)[٢].

هذه بعض العلاجات التي وضعها محمد ﷺ لأصحاب القلوب المريضة في المجتمع المسلم حتّى تسود المحبّة والألفة والتعاون في الخير بدلًا من الاختلاف والفرقة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، ج٨، ص٢١، ح٦٠٧٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، ج٣، ص١١٥٤، ح١٤١٢.

المبحث الثاني:

أركان تزكية الأنفس وثمراتها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أركان تزكية الأنفس.

أولًا: الإخلاص لله تعالى.

ثانيًا: الاتّباع.

ثالثًا: العلم.

المطلب الثاني: ثمرات تزكية الأنفس.

أولًا: الرّقابة على الأقوال والأفعال.

ثانيًا: الارتقاء بالحقوق والمعاملات.

ثالثًا: غفران الذنوب ورضا الله.

رابعًا: النّجاة من النّار ودخول الجنّة.

المبحث الثاني: أركان تزكية الأنفس.

المطلب الأول: أركان تزكية الأنفس

أولًا: الإخلاص لله تعالى

١-معنى الإخلاص وعلاقته بالدين.

أ-الإخلاص لغة:

الْإِخْلَاص: لُغَة: مصدر أخْلص يخلص. وهو يرد لمعان. منها: تنقية الشَّيْء وتهذيبه. تَقول: أخلصت السّمن: أَي جعلته خَالِصا. وأخلص لله دينه: أمحضه وَترك الرِّيَاء فيه. فهو عبد مخلص. وأخلص الشَّيْء: اخْتَارَه[١].

وَحَقِيقَة الْإِخْلَاص: هُوَ تصفية الْعَمَل لله بالتبرِّي من دونه[٢].

ب-الإخلاص اصطلاحا:

قال الكفويّ: " الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السرّ والقول والعمل"[٣].

وقال المناويّ[٤]: " الإخلاص تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يُتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا، وقيل: تصفية العمل من التّهمة والخلل"[٥].

وقال الجرجانيّ: الإخلاص: ألّا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى، وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشّوب المكدّر لصفائه- الفطريّ- وتحقيقه أنّ كلّ شيء يتصوّر أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يُسَمّى خالصا، قال تعالى: ﴿...مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا

---

(١) انظر: لسان العرب مادّة خلص، جـ٢٨، ص ٢٦ – ٢٨.

(٢) انظر: تَاج الْعَرُوس، ج ٤، ص٣٩٠.

(٣) الكليات، ص٦٤.

(٤) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص، من كتبه كنوز الحقائق في الحديث، و التيسير في شرح الجامع الصغير، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١ه. انظر: الأعلام، للزركلي، ج٦، ص٢٠٤.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٤٢.

خَالِصًا...﴾ [النحل:٦٦]، فإنّما خلوص اللّبن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدّم، ومن كلّ ما يمكن أن يمتزج به [١].

ج-الفرق بين الإخلاص والصدق:

قال الجرجانيّ:" الصّدق أصل وهو الأوّل: والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أنّ الإخلاص لا يكون إلّا بعد الدّخول في العمل، أمّا الصّدق فيكون بالنّيّة قبل الدّخول فيه"[٢].

٢-الإخلاص في الدين:

يقول فيه الرّاغب:" إخلاص المسلمين أنّهم قد تبرّءوا ممّا يدّعي اليهود من التشبيه، والنّصارى من التّثليث، قال تعالى: ﴿...مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [لقمان:٣٢] .

وقال تعالى: ﴿...وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ...﴾[النساء:١٤٦]، وأجمعوا على أنّ الإخلاص في الطّاعة ترك الرّياء"[٣].

نخلص من التعريفات السابقة أنّ الإخلاص: هو تنقية الشيء وتصفيته من الشوائب العالقة فيه، وإخلاص الدين لله معناه ترك الرياء فيه. والعبد المخلِص هو الذي أخلص العبادة لله، أمّا المخلَص فهو الذي أخلصه الله واصطفاه لعبادته، والإخلاص هو تصفية السرّ والقول والعمل.

قال شيخ الإسلام: "وَأما الْإِخْلَاص فهو حقيقة الإسلام إِذْ "الإسلام " هو الاستسلام لله لا لغيره كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر:٢٩] فَمن لم يستسلم لله فقد استكبر، وَمن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الْكبر والشرك ضد الْإِسْلَام "[٤]

ويضيف شيخ الإسلام قائلا: فالعمل لا يُقبل إِذا لم يكن خَالِصا وَإِن كان صَوَابا. قَال الفضيل بن عِيَاض: فِي تفسير قوله تعالى: ﴿... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملا﴾ [الملك:٢]، أَخْلَصُه وَأَصْوَبُه. قَالُوا: يا أبا علي ما أَخْلَصُه وَأَصْوَبُه؟ قَال: إِنَّ الْعَمَل إِذَا كَان خَالِصًا ولم يكن صَوَابًا

---

(١) انظر: التعريفات، ص١٣-١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٤- ٣١.

(٣) التعريفات، ص١٣، والإحياء، ج٤، ص٤٠٠.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج١٠، ص١٤.

لم يُقبَل وَإذَا كان صَوَابًا ولم يكن خَالِصًا لم يُقبل حَتَّى يَكُون خَالِصًا صَوَابًا. وَالْخَالِص أن يَكُونَ لِلَّه وَالصَّوَاب أَنْ يَكُون على السُّنَّة. وَذَلِك تَحْقِيق قَوْله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠] [(١)].

وقال الفضيل بن عياض:"ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين. وفي رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما "[(٢)]

وقد ذكر ابن تيميّة أنّ إخلاص الدين هو "الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأوّلين والآخرين من الرّسل، وأنزل به جميع الكتب، واتّفق عليه أئمّة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدّعوة النّبويّة، وهو قطب القرآن الّذي تدور عليه رحاه"[(٣)].

٣- استعمالات لفظ الإخلاص في القرآن الكريم:

قال الفيروز آبادي في البصائر: "ورد لفظ الإخلاص في القرآن الكريم على وجوه:

الأوّل: في حقّ الكفّار عند مشاهدتهم البلاء: ﴿...دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [يونس:٢٢]

الثّاني: في أمر المؤمنين: ﴿...فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾[غافر:٦٥].

الثّالث: في أنّ المؤمنين لم يؤمروا إلّا به: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البيّنة:٥].

الرّابع: في حقّ الأنبياء: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص:٤٦]

الخامس: في المنافقين إذا تابوا: ﴿...وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ...﴾ [النساء:١٤٦].

السّادس: أنّ الجنّة لم تصلح إلّا لأهله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصّافّات:٤٠]

السّابع: لم ينج من شرك تلبيس إبليس إلّا أهله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٣] "[(٤)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ج١، ص٣٣٣.

(٢) مدارج السالكين، ج٣، ص٩٥، والتعريفات، ص١٣.

(٣) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ص٥٩، ط٢، ١٣٩٩ه، المطبعة السلفية – القاهرة.

(٤) بصائر ذوي التمييز، ج١، ص١٧٢.

وقال صاحب منتهى السؤل: "الإخلاص ثلاث درجات: عليا: وهو أن يعمل العبد لله وحده! امتثالا لأمره وقياما بحق ربوبيّته. ووسطى: وهو أن يعمل لثواب الآخرة. ودنيا: وهو أن يعمل للإكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها.

وما عدا هذه الثلاث المراتب؛ فهو من الرّياء، فإذا أخلصت العمل لله تعالى(يجزك منه)؛ أي: من العمل الخالص لله القليل وتكون تجارتك رابحة"(١).

قال ابن القيّم: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه"(٢).

٤- دور الإخلاص في تزكية القلوب:

مع وضوح الإخلاص وجلائه إلا أنه من أشقّ الأمور على النفس؛ لأنّه يحول بينها وبين تطلعاتها وشهواتها؛ فتحقيقه والاستمرار فيه يتطلب مجاهدة كبيرة، وهذه المجاهدة لا تقتصر الحاجة فيها على عوام الناس فقط، بل الكل محتاج إليها حتى العلماء والأشداء من الصالحين والعباد، يقول الثوري: «ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، إنها تقلب عليّ(٣).

ويقول يوسف بن الحسين الرازي: "أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر"(٤).

"والنفس الأمارة بالسوء تُشِين الإخلاص للعبد وتريه إياه في صورة ينفر منها، وهي الخروج عن حكم العقل المعيشي، والمداراة والمداهنة التي بها اندراج حال صاحبها ومشيه بين الناس"(٥).

يرى الباحث أنّ:

١-الإخلاص ركن عظيم من أركان تزكية النّفس، فهو الأساس في قبول الأعمال والأقوال، والأساس في قبول الدعاء، ويرفع منزلة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويبعد عنه الوساوس

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي الحضرميّ: ج٣، ص٢٧٧، ط٣، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، دار المنهاج – جدة.

(٢) الفوائد، ص٦٧.

(٣) مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، عدد١٨١، ص٢٠.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، البغدادي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-إبراهيم باجس، ج١، ص٨٤، ط٧، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٥) الروح، ابن القيم، ص٣٩٢.

والهموم فتزكو نفسه وترتقي. والإخلاص أيضًا يحرر الإنسان من عبودية غير الله، ويعمل على تقوية العلاقات الاجتماعية بين النّاس، وينصر الله به الأمّة.

٢- يفرّج شدائد الإنسان في الدنيا، ويحقّق الطمأنينة لقلبه ويجعله يشعر بالسعادة، ويعمل على تقوية عزيمته وإرادته في مواجهة الشدائد.

٣-والإخلاص هو حقيقة الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾[البيّنة:٥].

٤- شرط لقبول كل طاعة، وهو رأس أعمال القلوب التي هي أجل الأعمال وأعظمها قدرا، فقد روى أبو هريرة-رضي الله عنه-أنّ رسول الله ﷺ قال:(قال الله تبارك وتعالى: أنا أَغْنى الشُّرَكاء عن الشِّرْك، من عمل عَمَلًا أَشْرَك فِيه معي غيري، تركته وشركه)[١]، وروى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قَال: (من تَعلَّم عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى به وجه اللَّه ﷻ لَا يَتَعَلَّمُه إِلَّا لِيُصِيب به عَرَضًا من الدنيا، لم يجد عَرْفَ[٢] الْجَنَّة يوم القيامة)[٣].

فالإخلاص إذًا مطلوب في جميع العبادات الظاهرة والباطنة، ومعناه أن يتقرّب الإنسان إلى الله دون أي شيء آخر، من تصنُّع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند النّاس، أو محبة مدح من الخلق، وهذا بدوره يؤدّي إلى تزكية نفسه والسّمو بها.

والإخلاص له صور عديدة، فمن النّاس من يعبد الله تعظيمًا له وتوقيرًا، ومنهم الذي يطلب رضوانه ورضاه، ومنهم من يقصد الأنس به والتّلذذ بطاعته وعبادته، ومنهم من يرجو التنعّم برؤيته يوم القيامة، ومنهم من يخاف عقابه، والعبد قد يقصد هذا مرة وهذا مرة، وكل ذلك محقّق للإخلاص.

ويجب أن نعلم أيضًا أنّ الإخلاص ليس مجرّد تصوّر نظري، بل هو يتعلّق بالعمل ويتعلّق بحياة النّاس وسلوكهم. فالعمل الصادر عن الإنسان إذا قصد به وجه الله، وظهرت الدلائل على ذلك، فإنّه يعتبر عملًا مخلصًا، لأنّه خالص من الشرك والرياء والشهرة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ج٤، ص٢٢٨٩، ح٢٩٨٥.

(٢) عَرف الجنّة: يعني ريحها، انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ج٥، ص٤٤٨، ط: ١٤٢٦ هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

(٣) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله، ج٣، ص٣٢٣، ح٣٦٦. قال الألباني: صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، ج١، ص٧٧، ح٢٢٧.

ثانيًا: الاتّباع:

١-تعريف الاتّباع:

أ-الاتّباع لغة:

قال ابن فارس: "التَّاء والباء والعين أَصْل واحد وهو التُّلُوُّ وَالْقَفْو. يُقَال تَبِعْت فُلَانًا إِذَا تَلَوْتَه و اتَّبَعْتَه. وَأَتْبَعْتُه إذا لَحِقْتَه، وَالْأَصْل واحد، قال تعالى:﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٥]" [(١)]

قال ابن منظور: "الاتّباع مصدر اتّبع المأخوذ من مادّة (ت ب ع)، وتدلّ هذه المادّة على التّلوّ والقفو، يقال: تبعت القوم تبعا، وتباعة بالفتح، إذا مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم، وتبعت الشّيء: سرت في أثره، والتّابع: التّالي، وتابع عمله وكلامه: أتقنه وأحكمه.

والاتّباع في الأصل: اقتفاء أثر الماشي، ثمّ استعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...﴾ [التوبة:١٠٠]، ثمّ استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع فهو الائتمار، واتّبع القرآن: ائتمّ به وعمل بما فيه. وقيل: فلان متتابع العلم إذا كان علمه يشاكل بعضه بعضا لا تفاوت فيه"[(٢)].

ب-الاتّباع اصطلاحا:

وقال ابن عبد البرّ- رحمه الله تعالى-: الاتّباع ما ثبت عليه الحجّة، وهو اتّباع كلّ من أوجب عليك الدّليل اتّباع قوله. فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم هو المثل الأعلى في اتّباع ما أمر به"[(٣)].

ت-العلاقة بين المعنى اللّغوي والاصطلاحي:

ومن خلال تعريف الاتّباع لغة واصطلاحًا يخلص الباحث إلى الآتي: الاتّباع هو اللحوق والمشي خلف القوم واقتفاء أثرهم، كما يستعمل في امتثال الأمر، وعندما نقول هذا رجل متّبع للقرآن إذا ائتمّ به وعمل بما فيه. وخير ما نتّبعه ونقتفي أثره هو محمد ﷺ.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٣٦٢.

(٢) لسان العرب، ج٨، ص٢٧، وانظر: الصحاح، ج٣، ص١١٩٠.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج٧، ص٣٥٢.

٢-المأمورون بالاتّباع.

الإنس والجن.

قال صاحب مواهب الجليل" ولا خلاف في عُمُوم بَعْثَتِه ﷺ إلى جَمِيع الإنس وَالْجِنِّ لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١].

قال السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿...لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أَي:" الْجِنّ والأنس، قال أهل الْعلم: وَلم يُبعَث نَبِي إِلَى جَمِيع الْعَالمين غير نوح وَمُحَمّد عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام"[١].

وأخرج الحاكم في مستدركه من حديث أبي ذر-رضي الله عنه- أنّ رسول الله ﷺ قال:(... وبُعِثْت إِلَى الْأَحْمَر وَالْأَسْوَد...)[٢].

وذهب وهبة الزحيلي في معنى الأحمر والأسود أي:" إلى العجم والعرب"[٣].

يخلص الباحث إلى أنّ الرسول ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، والأحاديث في ذلك كثيرة، فعلى هذا تكون رسالته عامة؛ لأنه خاتم الأنبياء، فلا يليق أن تهمل الأمم الأخرى والدول النائية التي في أطراف البلاد.

٣-أنواع الاتّباع في القرآن الكريم:

ورد الاتّباع في القرآن الكريم مأمورا به ومنهيّا عنه، فالمنهيّ عنه هو اتّباع الهوى والشّيطان والظّنّ والكفّار، أمّا المأمور به فقد ورد على صور عديدة منها: اتباع الله، واتّباع الرّسول، ومنها اتّباع الوحي والشّريعة والهدى وصالح المؤمنين، وسأقتصر على ذكر الاتباع المأمور به مرتّبا على النحو الآتي:

---

(١) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج٤، ص٥، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض – السعودية.

(٢) مستدرك الحاكم، ج٢، ص٤٦٠، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وقال الألباني: صحيح لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، ج٣، ص٢٣٨، ح٣٦٣٦.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١٤١٨هـ، ج١٩، ص٨٣، ط٢، دار الفكر المعاصر – دمشق.

أ-اتّباع الله عزّ وجل.

قال تعالى: ﴿... قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى...﴾ [يونس:٣٥].

قال البغوي: معنى الآية:" اللَّه الذي يَهْدِي إلى الْحَقِّ أَحَقُّ بِالِاتِّبَاعِ أَمِ الصَّنَم الذي لَا يَهْتَدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى"[١].

وقال الشوكاني: أَفَمَن يهدي النَّاس إِلَى الْحَقِّ، وهو اللَّه سبحانه أَحَقُّ أن يُتَّبَع ويُقْتَدَى به، أَمِ الْأَحَقُّ بِأَنْ يُتَّبَعَ وَيُقْتَدَى بِهِ من لَا يَهْتَدِي بِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَه غَيْرُه فَضْلًا عن أَنْ يَهْدِي غَيْرَه[٢].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿...فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ﴾ [غافر:٧] . قال النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾، " أي طريق الهدى الذي دعوت إليه"[٣].

ب-اتّباع القرآن.

قال تعالى:﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [الأنعام:١٠٦]، قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية "يَعْنِي الْقُرْآن، أَيْ لَا تَشْغَل قَلْبَك وَخَاطِرك بهم، بَلِ اشْتَغِل بِعِبَادَة اللَّه"[٤].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾ [البقرة:١٧٠]، قال الشّاطبيّ- رحمه الله تعالى-: "الكتاب (أي القرآن) هو المتّبع على الحقيقة، ومراتب النّاس بحسب إتباعهم له. إنّ الله تعالى وضع هذه الشّريعة حجّة على الخلق كبيرهم وصغيرهم، مطيعهم وعاصيهم، برّهم وفاجرهم. لم يختصّ بها أحدا دون أحد، وكذلك سائر الشّرائع إنّما وضعت لتكون حجّة على جميع الأمم الّتي تُنزّل فيهم تلك الشّرائع.

والنبي محمد ﷺ مُخاطب بها في جميع أحواله وتقلّباته ممّا اختصّ به دون أمّته، أو كان عامّا له ولأمّته، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا

---

(١) معالم التنزيل، ج٢، ص٤١٩.

(٢) انظر: فتح القدير، ج٢، ص٥٠٣.

(٣) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ج٣، ص٢٠٠، ط١، ١٤١٩ه-١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٦٠.

أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ...﴾[الأحزاب:٥٠]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿...خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [الأحزاب:٥٠]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب:٥٢]، إلى سائر التَّكَاليف التي وردت على كُلِّ مُكَلَّفٍ والنَّبيُّ فيهم. فالشّريعة هي الحاكمة على الإطلاق. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشّورى:٥٢]، فهو ﷺ أوّل من هداه الله بالكتاب والإيمان، ولمّا استنار قلبه وجوارحه وباطنه وظاهره بنور الحقّ علما وعملا، صار هو الهادي الأوّل لهذه الأمّة والمرشد الأعظم حتّى قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] فقد جاء بالأمر وهو به مؤتمر، وبالنّهي وهو منته، وبالوعظ وهو متّعظ، وبالتّخويف وهو أوّل الخائفين، وبالتّرجية وهو سائق دابّة الرّاجين، وقد صارت الشّريعة المنزّلة عليه حجّة حاكمة عليه، ودلالة على الصّراط المستقيم الّذي سار عليه، فإذا كان الأمر كذلك، فسائر الخلق حريّون بأن تكون الشّريعة حجّة حاكمة عليهم، ومنارا يهتدون بها إلى الحقّ"(١).

ت-استعمال القرآن للفظة الاتّباع:

أ-﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠]

ب-﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٥]

ت-﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]

ث-﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الدُخان:٢٣].

ث-اتباع النبي ﷺ وسنته.

قال تعالى: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ...﴾ [البقرة:١٤٣] .

وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ...﴾[آل عمران:٣١].

قال البقاعي: "أنبأنهم أن من انتهى إلى أن يحب الله ﷻ فليتبع هذا النبي الذي أحبه الله ﷻ فمن اتبعه أحبه الله، فقامت بذلك الحجة على كل قاصد وسالك ومتقرب، فإن نهاية الخلق أن يحبوا الله، حيث وجههم إلى وجهة الإتباع لحبيبه الذي أحبه، كما قال ﷺ من حديث عمر ابن

---

(١) انظر: الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ج١، ص٨٥٣-٨٥٥، ط١، ١٤١٢ه-١٩٩٢م، دار ابن عفان، السعودية.

الخطاب (...لو أن موسى بين أظهركم ما وسعه إلا إتباعي)[1]، وإذا كان ذلك في موسى عليه السلام كان في المنتحلين لملته ألزم"[2].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: "قل يا محمّد لوفد نصارى نجران إن كنتم تزعمون أنّكم تحبّون الله فحققوا قولكم الّذي تقولونه إن كنتم صادقين بإتباعكم إيّاي فإنّكم تعلمون أنّي رسول الله إليكم كما كان عيسى- عليه السّلام- رسولا إلى من أرسله الله إليهم"[3].

وقال القرطبي: "وفسّر بعضهم المحبّة بالاتّباع والطّاعة من جانب العباد ومحبّة الله لعباده بإنعامه عليهم بالغفران فقال: محبّة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتّباعه أمرهما ومحبّة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران"[4].

قال ابن كثير في تفسيره للآية السابقة: " وهذه الآية الكريمة حاكمة على كلّ من ادّعى محبّة الله وليس هو على الطّريقة المحمّديّة بأنّه كاذب في نفس الأمر حتّى يتّبع الشّرع المحمّديّ والدّين النّبويّ في جميع أقواله وأفعاله، والمراد بيُحْبِبْكُمُ اللَّهُ أنّه يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبّتكم إيّاه وهو محبّته إيّاكم وهذا أعظم من الأوّل إذ ليس الشّأن أن تحِبّ إنّما الشّأن أن تُحَبّ"[5].

وذهب صاحب كتاب اتباع لا ابتداع إلى أنّ: "الأصل في باب العبادات هو اتّباع الرسول ﷺ بدون زيادة ولا نقصان فليس لأحد مهما كان أن يزيد في العبادة شيئاً ولا أن ينقص منها شيئاً"[6].

وقد ورد في صحيح ابن حبان من حديث مالك ابن الحويرث أنّ رسول الله ﷺ قال: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)[7].

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ج٦، ص٣٤، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي – بيروت. قال الألباني: حسن.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن البقاعي، ج٤، ص٣٣٣، بدون طبعة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٣) تفسير الطبري، ج٣، ص١٥٦.

(٤) تفسير القرطبي، ج٤، ص٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٥٨.

(٦) حسام الدين بن موسى بن عفانة، ج١، ص٤٤، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، بيت المقدس.

(٧) صحيح ابن حبان، ج٥، ص٥٠٣، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، ج١، ص٢١٥.

وقال رسول الله ﷺ من حديث ابن عمر: (خذوا عنّي مناسككم)(١).

ج-اتباع المؤمنين الصالحين.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾[التوبة:١٠٠].

قال الشنقيطي: " صرَّح تعالى في هذه الْآيَة الكريمة بِأَنَّ الَّذين اتَّبَعُوا السَّابِقِين الْأَوَّلين من الْمُهَاجِرِين وَالْأَنْصَار بِإِحْسَان، أَنَّهُمْ دَاخِلُون معهم فِي رِضْوَان اللَّه تعالى، والوعد بِالْخُلُود فِي الْجَنَّات، والفوز الْعَظِيم، وبَيَّن فِي مَوَاضِعَ أُخَر، أَنَّ الَّذِين اتَّبَعُوا السَّابِقِين بِإِحْسَان يشاركونهم فِي الْخَيْر كَقَوْلِه ﷻ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة:٣]، وقوله في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر:١٠]"(٢).

٤-تزكية الأنفس بالاتّباع.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾[آل عمران:٣١]

قال صاحب المنار في تفسيره لهذه الآية: "هَذَا الاتّباع هو الِاعْتِقَاد الْحَقُّ وَالْعَمَل الصَّالِح، وَهُمَا يَمْحُوَان من النَّفْس ظُلْمَة الباطل، وَيُزِيلَان منها آثَار الْمَعَاصِي وَالرَّذَائِل وهذا هو عَيْن الْمَغْفِرة، فَالْمَغْفِرَة أَثَر فِطْرِيٌّ لِلْإِيمَان والعمل الصَّالح بعد تَرْك الذُّنُوب كما أَنَّ الْعِقَاب أَثَر طَبِيعِي للكفر والمعاصي. وَالله جعل للمغفرة سُنَّة عَادِلَة بَيَّنَهَا لِعِبَاده؛ وهي تَزْكِيَة النَّفْس بِالِاتِّبَاع الَّذِي أَكَّد الْأَمْر به، وَبَيَّن أَنَّ عَاقِبَة الْإِعْرَاض عنه الحرمان من حُبّ الله"(٣).

قال المراغي في تفسيره للآية السابقة: "في هذا الاتّباع اعتقاد الحق والعمل الصالح، وهما يزيلان من النفس آثار المعاصي والرذائل، ويمحوان منها ظلمة الباطل، وأثر ذلك المغفرة

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، ج٤، ص٣٢٥، ط٢، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م، دار النشر: مكتبة الرشد-السعودية، الرياض.

(٢) أضواء البيان، ج٢، ص٥٨.

(٣) محمد رشيد رضا، ج٣، ص٢٣٤.

ورضوان الله. والله غفورٌ رحيمٌ لمن تحبب إليه بطاعته، وتقرب إليه باتّباع نبيه، إذ في هذا تزكية للنفس بصالح العمل، فيغفر لها ما فرط من زلاتها، ويتجاوز عن سيئاتها"(١).

الخلاصة:

ويخلص الباحث ممّا سبق إلى: أنّ المسلم واجب عليه أن يتّبع منهج الله وشريعته، كما ورد في القرآن والسّنّة النّبويّة المطهّرة؛ لأنّ النفس البشريّة لا تزكو ولا ترتقي إلّا عبر منهاج العبادة الّذي ورد في هذين المصدرين. وكلّ ما جاء بالقرآن ملزم الاتّباع، لأنّه يحتوي على المنهج الكامل لحياة الإنسان فهو يشمل كلّ ما يحتاجه في حياته.

أمّا السّنّة النّبويّة فقد جاءت مكمّلة للقرآن ومفصّلة له، لذلك أوجب الله على النّاس طاعة الرسول فيما أمر وفيما نهى، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢] والإتباع هو دليل محبة الله ورسوله ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١].

والاتّباع علامة على صدق العبد في حبّه لله تعالى وأنّ ثمرة هذا الاتّباع هي محبّة الله عزّ وجلّ وغفرانه.

٥-استعمال السّنّة النّبوية للفظة الاتّباع:

وسأذكر بعض الأحاديث النبوية التي وردت في ذلك.

١-روى ابن أبي شيبة من حديث عمر ابن الخطاب-رضي الله عنه-أنّ رسول الله ﷺ قال:(... والذي نَفْسي بيده، لو كان موسى حَيًّا ما وَسِعَه إِلَّا أن يَتَّبِعَنِي)(٢).

٢-روى مسلم من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)(٣).

---

(١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج٣، ص١٤٠، ط١، ١٣٦٥ه-١٩٤٦م، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ج٥، ص٣١٢، ح٢٦٤٢١، ط١، ١٤٠٩ه، مكتبة الرشد-الرياض، قال الألباني: حسن. انظر: إرواء الغليل، ج٦، ص٣٤، ح١٥٨٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سنّ سنّة حسنة، ج٤، ص٢٠٦٠، ح٢٦٧٤.

٦-الرسولﷺ هو القدوة الحسنة في الاتّباع:

١-ورد في صحيح البخاري من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-قال:(اتّخذ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خاتما من ذهب فاتّخذ النّاس خواتيم من ذهب فقال النّبيّﷺ إنّي اتّخذت خاتما من ذهب فنبذه، وقال: إنّي لن ألبسه أبدا فنبذ النّاس خواتيمهم)[١].

٢-أخرج البخاري في صحيحه من حديث المسور ابن مخرمة ومروان، يُصَدِّقُ كُلُّ واحد منهما حَدِيثَ صاحبه، قالا:(...فَرَجع عُرْوة إلى أَصْحَابه، فقال: أي قوم، وَاللَّه لقد وَفَدْت على الملوك، وَوَفَدْت على قيصر، وكسرى، وَالنَّجَاشِي، وَاللَّه إن رَأَيْت مَلِكًا قَط يُعَظِّمه أَصْحَابه مَا يُعَظِّم أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّه إِنْ تَنَخَّم نُخَامة إِلَّا وقعت في كَف رَجُل منهم، فَدَلَك بها وَجْهه وَجِلْده، وَإِذَا أَمَرهم ابْتَدَرُوا أَمْره، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُون على وَضُوئه، وَإِذَا تَكَلَّم خَفَضوا أَصْوَاتَهم عنده، وما يُحِدُّون إِلَيْه النَّظَر تَعْظِيمًا له)[٢].

يرى الباحث أنّ: الصحابة الكرام كانوا مقتدين بمحمدﷺومهتدين به، حيث مدحهم الله في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]، وقد كان ﷺخلقه القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]. إذًا فالقرآن هو المتبوع على الحقيقة، وقد جاءت السنّة النبوية موضّحة ومفسّرة للقرآن، إذًا فالمتبع للسنّة متبع للقرآن. والصحابة هم الجيل الأول وهم أول من اتبع القرآن والسنّة، فمن اقتدى بهم فقد اقتدى بالقرآن والسنّة.

قال ابن القيّم-رحمه الله- "كان عمر ﷺ يهم بالأمر ويعزم عليه فإذا قيل له: لم يفعله رسول الله انتهى"[٣].

والاتّباع له فوائد عديدة، منها أنّه يجلب محبّة الله لعبده، وهو دليل الهداية، كما أنّه يجلب النّصر والتمكين والفلاح، ومن خلاله يتحصّل الإنسان على السعادة وطيب العيش، وفي هذا تزكية عظيمة لنفسه، كما أنّه يبعد الإنسان عن هوى النفس وعبادة الذات فتزكو نفسه وتصفو وترتقي.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ، ج٩، ص٩٦، ح٧٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ج٣، ص١٩٣، ح٢٧٣١.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١، ص١٣٦.

ثالثًا: العلم:

١- تعريف العلم:

أ- العلم لغة:

مصدر قولهم: علم يعلم علما وهو مأخوذ من مادّة (ع ل م) الّتي تدلّ على أثر بالشّيء يتميّز بها عن غيره، قال الرّاغب: وعلّمته وأعلمته في الأصل واحد، إلّا أنّ الإعلام اختصّ بما كان بإخبار صحيح، والتّعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتّى يحدث منه أثر في نفس المتعلّم(١).

وقال ابن منظور:" العلم نقيض الجهل، وعلم بالشّيء: شعر. يقال: ما علمت بخبر قدومه: أي ما شعرت. وعلم الأمر وتعلّمه: أتقنه. وأحبّ أن يعلمه أي يخبره"(٢).

ب- العلم اصطلاحًا:

قال الجرجانيّ: "العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"(٣).

وقال الفيروز أبادي: العلم ضربان: الأوّل: إدراك ذات الشّيء. والثّاني: الحكم على الشّيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه، والعلم من وجه آخر ضربان: نظريّ وعمليّ، ومن وجه ثالث: عقليّ وسمعيّ(٤).

وقال المناويّ: " العلم: هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النّقيض، أو هو حصول صورة الشّيء في العقل"(٥).

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: " هو معرفَة الْمَعْلُوم على ما هو به"(٦).

قال ابن عثيمين: "والذي يعنينا هو العلم الشرعي، والمراد به:"علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى"(٧).

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ج٤، ص١٠٩، والمفردات، ص٣٤٤.

(٢) لسان العرب، ج٥، ص٣٠٨٣-٣٠٨٤.

(٣) التعريفات، ص١٩١.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز، ج٤، ص٨٨-٨٩، والمفردات للراغب، ص٣٤٣.

(٥) التوقيف، ص٢٤٦.

(٦) المواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ج١، ص٥٣، ط١، ١٤١٧ه-١٩٩٧م، دار الجيل-لبنان - بيروت.

(٧) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ج٢٦، ص١١.

يرى الباحث من خلال تعريف العلم لغة واصطلاحًا: أنّ العلم نقيض الجهل ويأتي بمعنى الإتقان، والشعور بالشيء والاعتقاد الجازم به وإدراكه، وكذلك يأتي بمعنى اليقين والتصديق،

أمّا التعريف الذي أرجّحه والذي تستريح إليه النّفس فهو تعريف أبي بكر الباقلاني لأنّ فيه السلاسة واليسر ثمّ يأتي بعده تعريف الجرجاني.

ت- الفرق بين العلم والمعرفة:

المعرفة: "تقال للإدراك المسبوق بالعدم، والعلم يقال للاعتقاد الجازم المطابق للواقع، والمعرفة قد تقال فيما تدرك آثاره، وإن لم تدرك ذاته، والعلم لا يقال إلّا فيما أدرك ذاته"(١).

٢-أقسام العلم:

قال ابن الجوزيّ- رحمه الله تعالى- في بيان العلم الّذي هو فريضة على كلّ مسلم: اختلفت عبارات النّاس في بيان العلم المفروض، والصّحيح أن يقال: هو علم معاملة العبد لربّه وهو يدخل في باب الاعتقاد والأفعال. وهو ينقسم إلى:

أ- فرض عين:

وهو ما يتعيّن وجوبه على الشّخص من توحيد الله ومعرفة أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات الّتي يحتاج إليها.

ب- فرض كفاية:

وهو كلّ علم لا يستغنى عنه في قوام الدّنيا. كالطّبّ والحساب وأصول الصّناعات. كالفلاحة والحياكة والحجامة. فلو خلا البلد عمّن يقوم بهذه العلوم والصّناعات أثم أهل البلد جميعا. وإذا قام بها واحد فقط وكفاهم سقط الإثم عن الباقين، والتّعمّق في مثل هذه العلوم يعدّ فضلة، لأنّه يستغنى عنه.

ت- مباح:

ومن العلوم ما يكون مباحا، كالعلم بالأشعار الّتي لا سخف فيها.

---

(١) الكليات، للكفوي، ص٨٦٨.

ومن العلوم ما يكون مذمومًا، كعلم السّحر والطّلْسمات والتّلبيسات.وأمّا العلوم الشّرعيّة فكلّها محمودة، وتنقسم إلى أصول وفروع ومقدّمات ومتمّمات[1].

ويرى الباحث أنّ العلم النافع الذي يحقق التزكية: هو كل علم يقرّب من الله ﷻ ويزيد الخشية منه، ويدفع إلى العمل الصالح.

ويدخل في ذلك العلم الشرعي، ثم تأتي بعض العلوم الأخرى التي تدفع الإنسان إلى التفكر في المخلوقات وإدراك قدرة الله وبديع صنعه.

والعلم عبادة عظيمة، وقد أمر الله به وجعله مقدّمًا على العمل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ...﴾ [محمد:١٩].

وقد استدل الإمام البخاري بهذه الآية الكريمة على أهمية العلم وكونه سابقًا للعمل، بل إنه قد بوّب في صحيحه بابًا بعنوان: باب العلم قبل القول والعمل؛ لأنّ الله بدأ بالعلم قبل العمل، حيث قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾، ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[2].

٣-تزكية الأنفس بالعلم.

العلم النافع القائم على توحيد الله ﷻ هو الوسيلة الأساسية الأولى لتزكية النفس، وبلوغها مقامات الخشية والقرب من الله، قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...﴾ [فاطر:٢٨]

قال صاحب روح البيان:" واعلم أنّ المقصود من العلم والعمل تزكية النفس فإذا حصلت هذه التزكية كان ثواب العمل الصالح كاللباس الفاخر على البدن الحسن الناضر وإذا لم تحصل كان كالزينة على الجسم القبيح"[3].

قال تعالى: ﴿...وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾[البقرة:١٢٩]، يرى الباحث من خلال هذه الآية أنّ هناك ارتباطًا وتلازمًا بين العلم والتزكية، فبالعلم النافع يصل الإنسان إلى أعلى درجات التزكية، حيث يُلاحَظ في هذه الآية الكريمة أنّ الله ﷻ قدّم العلم على التزكية، وفي ذلك إشارة إلى أنّ العلم النافع خطوة سابقة للتزكية لا بدّ منها.

---

(١) نضرة النعيم، ج٧، ص٢٩١١، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج١، ص٢٤.

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، ج٨، ص٤٢٥، بدون طبعة، دار الفكر- بيروت.

٤-الشروط التي ينبغي أن تتحقق في العلم حتى يؤدي دوره في تزكية النفس.

أ-أن يصحب العلم العمل الصالح مع الإخلاص لله ﷻ.

فالعلم النافع هو العلم الذي يتبعه العمل ويلتزم صاحبه بالخلق الفاضل، ويعتصم بالكتاب والسنة، ويخلص القصد لله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف:٢-٣]، وقال في موضع آخر: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، وقال في موضع ثالث:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ...﴾ [البيِّنة:٥]

ب-الجدال والخصام في مسائل العلم يقسّي القلب ويحرم من ثمرات العلم.

والدليل على ذلك ما رواه الترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ: ﴿... مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرف:٥٨])(١).

يرى الباحث أنّ العلم ركن هام من أركان تزكية النفوس لأنّه تركة الأنبياء وتراثهم، وهو حياة القلوب، وشفاء الصدور، ورياض العقول، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال، وبواسطته نفرق بين الشك واليقين، والهدى والضلال، وبه يُعرف الله ويُعبد، وبواسطته نُميّز بين الحلال والحرام. ولأهمية العلم ومكانته السامية فهو إمام والعمل مأموم وتابع، حيث قدّمه الله على العمل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لذنبك...﴾[محمد:١٩]، كما أنّ مذاكرة العلم تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله قربة، فهو الأنيس في الوحدة، الصاحب في الخلوة، ولهذه المزايا التي يتمتع بها العلم فإنّ النّفس تزكو وترتقي إلى أعلى الدرجات. قال تعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُون...﴾[الزُّمر:٩].

ومما يدل على شرف العلم وفضله أنّ الله ﷻ أمر نبيّه ﷺ أن يسأله المزيد منه، قال تعالى: ﴿...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف، ج٥، ص٣٧٨، ح٣٢٥٣، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، للألباني، ج١، ص٦٣، ح١٨٠.

والعلم النافع له ثمرات عظيمة بما يغرس في نفس صاحبه من تقوى الله والخشية منه، ولهذا كان العلماء العاملون أكثر الناس خشية من ربهم، بل إنّ هذه الخشية محصورة في أهل العلم، قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ...﴾ [فاطر:٢٨]، ولفظ ﴿إِنَّمَا﴾ يدل على الحصر.

والعلم قد يكون في نفسه نافعًا لكن صاحبه لم ينتفع به، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا...﴾[الجمعة:٥]، وقال أيضًا: ﴿...وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ...﴾ [الجاثية:٢٣].

ومن فضائل العلم أنّه يبقى، أمّا المال فإنّه يفنى فهذا أبو هريرة- رضي الله عنه- كان من فقراء الصحابة حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمى عليه، ولكنّ الله رفع اسمه وخلّد ذكره بالعلم. وقد روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(إذَا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يَنْتَفِعُ به، أو ولد صالح يدعو له)[١]. ومن فضائل العلم أيضًا أنّه لا يُتعب صاحبه في الحراسة؛ لأنّ محلّه القلب فهو لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها، وفي الوقت نفسه هو حارس له، لأنه يحميه من الخطر.

ولمكانة العلم فإنّه من الأمور التي يُحسد عليها الإنسان، فقد روى البخاري من حديث ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته[٢] في الحق، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويُعلّمها)[٣].

ومن فضائل العلم أنّه طريق الجنة: كما دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(ومن سلك طريقا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا من طرق الجنّة)[٤].

والعلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه، وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة وتزكية نفس.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة...، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج٤، ص٢٠٧٤، ح٢٦٩٩.

(٢) أي إنفاقه في الطاعات، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ج٦، ص٩٨، ط٢، ١٣٩٢ه، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ج١، ص٢٥، ح٧٣.

(٤) صحيح ابن حبان، ج١، ص٢٨٤، قال الألباني: صحيح. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، تحقيق: الألباني، ج١، ص٢٠.

ويكفي العلماء شرفا وفخرًا أنّ الله يرفع مكانتهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿...يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾[المجادلة:١١] .

رابعًا: الرضا بالله وعن الله ﷻ .

١- تعريف الرضا:

أ- الرّضا لغة:

الرّضا مصدر رضي يرضى وهو مأخوذ من مادّة (ر ض و) الّتي تدلّ على خلاف السّخط، قال تعالى: ﴿...رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾[المائدة:١١٩]، معناه أنّ الله تعالى رضي عنهم أفعالهم ورضوا عنه ما جازاهم به، ودليل ما روته عائشة أنّ رسول اللهﷺ كان يقول في دعائه: (اللهُمَّ أَعُوذ بِرِضَاك من سَخَطِك)(١).

وقال الرّاغب: رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به. وترضّاه طلب رضاه، وفي الصّحاح: في عيشة راضية أي مرضيّة أي ذات رضى. والرّضوان: الرّضا الكثير، ولمّا كان أعظم الرّضا رضا الله- سبحانه- خصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله، قال تعالى: ﴿...يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾[المائدة:٢]، ويأتي الرضا أيضًا بمعنى الاخْتِيَار. يُقَال: رَضِيتُ الشَّيْء وَرَضِيتُ به: اخْتَرْتُه(٢).

ب- الرضا اصطلاحًا:

هو سرور القلب بمرّ القضاء. وقيل: الرّضا ارتفاع الجزع في أيّ حكم كان، وقيل الرّضا هو صحّة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرّضا.

وقيل استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنّه اختار له الأفضل، وهو ترك السّخط(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج١، ص٣٥٢، ح٤٨٦.

(٢)انظر: لسان العرب لابن منظور، ج١٤، ص٣٢٤، والصحاح للجوهري، ص٢٣٥٣، ومقاييس اللغة، ج٢، ص٤٠٢، ومفردات الراغب ص١٩٧.

(٣)انظر: التعريفات للجرجاني، ص١١١، ومدارج السالكين لابن القيم، ج٢، ص١٨٥، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى، ص١٧٨.

يخلص الباحث من تعريف الرّضا لغة واصطلاحًا، أنّه إذا أسند إلى الله كان معناه أنّه قبل أفعالهم وأعمالهم حيث يكونوا مؤتمرين بأمر الله منتهين عمّا نهى عنه، أمّا إذا أسند إلى النّاس فيكون معناه أنّهم رضوا وقبلوا ما جازاهم الله به، ولم يكرهوا ما يجري به قضاؤه، حيث يستقبلون أحكام الله بالفرح وسكون القلب ويعتقدون أنّ الله قد اختار لهم الأفضل.

٢-أنواع الرضا:

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة- رحمه الله-: "من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه فإنّ الله يرضى عنه، كما أنّ من لزم محبوبات الحقّ أحبّه الله، كما ورد في الحديث الصّحيح الّذي أخرجه البخاريّ من حديث أبي هريرة (من عادى لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه...)(١)، وذلك أنّ الرّضا نوعان:

أحدهما: الرّضا بفعل ما أُمر به وترك ما نُهي عنه، وهذا الرّضا واجب. والنّوع الثّاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذّلّ. فهذا رضا مستحبّ في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنّه واجب، والصّحيح أنّ الواجب هو الصّبر. وأمّا الرّضا بالكفر والفسوق والعصيان: فإنّ الله لا يرضاه، قال تعالى: ﴿...**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**...﴾[الزُّمر:٧] "(٢).

وقد تكلّم ابن القيّم كلامًا جميلًا بعد أن ساق حديثين الأوّل: قوله ﷺ من حديث العباس ابن عبد المطّلب(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد رسولا)(٣).

والثّاني: قوله ﷺ من حديث سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاص(من قَال حِين يَسْمَع الْمُؤَذِّن أَشْهَد أن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَه لَا شَرِيك لَه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه، رَضِيت بِالله رَبًّا وَبِمُحَمَّد رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَام دِينًا، غُفِر لَه ذَنْبُه)(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج١، ص٣٥٢، ح٤٨٦.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ج٢، ص٣٩٣، ط١، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، ج١، ص٦٢، ح٣٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن، ج١، ص٢٩٠، ح٣٨٦.

وخلاصة كلام ابن القيم أنّ هذين الحديثين عليهما مدار مقامات الدّين، وإليهما ينتهي. وقد تضمّنا الرّضا بربوبيّته سبحانه، وألوهيّته، والرّضا برسوله، والانقياد له، والرّضا بدينه والتّسليم له. ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصّدّيق حقّا(١).

وهي سهلة بالدّعوى واللّسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان. ولا سيّما إذا جاء ما يخالف هوى النّفس ومرادها.

ويمكن تقسيم الرضا إلى عدة تقسيمات على النّحو الآتي:

أ- الرضا بالله ﷻ.

فالرّضا بإلهيّته يتضمّن الرّضا بمحبّته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتّبتّل إليه، وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له.

والرّضا بربوبيّته يتضمّن الرّضا بتدبيره لعبده. ويتضمّن إفراده بالتّوكّل عليه، وبالاستعانة به والثّقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكلّ ما يفعل به.

ب- الرضا برسول الله ﷺ.

وأمّا الرّضا بنبيّه رسولا فيتضمّن كمال الانقياد له، والتّسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه.

ت- الرضا بدين الإسلام(الأوامر والنواهي).

وأمّا الرّضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كلّ الرّضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليما ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواها.

ث- الرضا بالقضاء والقدر.

وهو الرضا بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد كالفقر والمرض(٢).

يقول سليم الهلالي: " أهل الرّضا به هم أهل الرضا عنه، لأنّ الرضا عنه ثمرة الرضا به، فالرضا به متعلّق بأسمائه وصفاته، والرضا عنه متعلق بثوابه وجزائه.

ولذلك فإنّ الرضا بالله أعلى شأنًا وأرفع قدرا من الرضا عن الله، لوجوه منها:

---

(١) مدارج السالكين، ج٢، ص١٧٢.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز، ج٣، ص٧٩-٨١.

١-أنّ الرضا بالله خاص، والرضا عن الله عام غايته التسليم بقضاء الله وقدره، وأين هذا من الرضا بالله ربّا، وإلها، ومعبودًا.

٢-الرضا بالله ربّا فرض من آكد الفروض، فمن لم يرض بالله ربّا، لم يصح له إسلام، ولا عمل، ولا حال.

٣-الرضا بالله ربا يتضمّن الرضا عنه ويستلزمه. فالرضا بربوبيته هو الرضا بما يأمره به، ويقسمه له، ويعطيه إياه، ويمنعه منه، فإن لم يرض بذلك كله، لم يكن قد رضي بالله ربا من جميع الوجوه، فالرضا به ربا من كل وجه يستلزم الرضا عنه ويتضمّنه، لأنّ الرضا به أصل الرضا عنه، والرضا عنه ثمرة الرضا به"(١).

٣-دور الرّضا في تزكية الأنفس:

يخلص الباحث مما سبق أنّ: الرضا بالله والرضا عنه يورث الإنسان سلامة القلب من الحسد، وفي هذا تزكية عظيمة للنّفس لا يشعر بها إلّا من تذوّقها.

والرضا بالله والرضا عنه يوجب الطمأنينة وبرد القلب وسكونه، وفي هذا تزكية عظيمة للنّفس، أمّا السخط فيوجب اضطراب القلب وانزعاجه، وعدم استقراره.

والرضا يفتح للإنسان باب السلامة، فيجعل قلبه سليمًا نقيّا من الغش والغل، فتزكو نفسه وتصفو، وكلّما كان الإنسان أشد رضا كان قلبه أسلم، حيث روى البخاري من حديث أنس ابن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال:(ثَلَاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمَان: أن يَكُونَ اللَّه وَرَسُولُه أَحَبَّ إِلَيْه مِمَّا سِوَاهُمَا، وأن يُحِبَّ المَرْء لاَ يُحِبُّه إِلَّا لِلَّه، وأن يَكْرَه أن يَعُود في الكُفْر كَمَا يَكْرَه أن يُقْذَف فِي النَّار)(٢).

والرضا بالمقدور من أسباب سعادة ابن آدم، وسخطه من أسباب شقاوته.

والرضا يوجب للإنسان أن لا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما أتاه وفي ذلك أفضل تزكية للنّفوس، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد:٢٢]. ومن ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنى وأمنًا وقناعة، فتزكو نفسه وترتقي إلى العلياء، قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[آل عمران:١٧٤].

---

(١) منهج الأنبياء في تزكية النفوس، ص٤٦-٤٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ج١، ص١٢، ح١٦.

أماّ من سخط على الله ملأ قلبه غمّا وهمّا، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[محمد:٢٨].

والرّضا يثمر الشكر الذي هو من أعلى مقامات الإيمان، فإذا رضي العبد عن ربّه في جميع الحالات أوجب ذلك له شكره فيكون من الراضين الشاكرين، وهذا فيه أعظم تزكية يمكن أن تبلغها النّفس البشرية.

والرّضا بالله وعنه ينفي عن الإنسان آفات الحرص والتكالب على الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وأساس كل بلية، فتزكو نفسه وتسمو.

والرّضا يخرج الهوى من النّفس، فالراضي هواه تبع لمراد ربّه منه، فلا يجتمع الرّضا واتّباع الهوى في القلب أبدًا.

والرّضا عن الله في جميع الحالات يثمر للعبد رضا الله عنه، لأنّ الجزاء من جنس العمل. والرضا بالقضاء أشقّ شيء على النّفس لأنّ فيه مخالفة هواها وطبعها وإرادتها، فلا تصير مطمئنّة قط حتّى ترضى بالقضاء، لذلك استحقت أن يقال فيها﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾[الفجر:٢٧-٢٨].

وعدم الرّضا يفتح باب البدعة، والرّضا يغلق هذا الباب، فلو تأملنا بدع الروافض والخوارج والفرق الضالّة لوجدنا أنّها ناشئة من عدم الرضا.

والرّضا يخلّص الإنسان من مخاصمة الله ﷻ في أحكامه وقضائه، لأنّ السّخط على الله ﷻ يعتبر مخاصمة له، وأكبر دليل على ذلك مخاصمة إبليس لربّه فإنّها نشأت من عدم رضاه لقضائه وأحكامه عندما أمره بالسجود لآدم عليه السلام.

وحكمُ الله ﷻ ماضٍ في الإنسان، وقضاؤه عدلٌ فيه، فقد ورد من حديث ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال:(....مَاضٍ فِيَّ حُكْمُك، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك...)(١)، ومن لم يرض بالعدل فهو من أهل الظلم والجور.

والرّضا من أعمال القلوب، وهو نظير الجهاد الذي هو من أعمال الجوارح، وكل واحد منهما ذروة سنام الإيمان.

---

(١) صحيح ابن حبان، محمد ابن حبان، ج١، ص٣٧٨، قال الألباني: صحيح. انظر: الكلم الطيب، ابن تيمية، تحقيق: الألباني، ص١١٩.

ولننتبه أنّ أول معصية عُصِيَ الله بها في هذا العالم نشأت من عدم الرّضا، فإبليس لم يرضَ بحكم الله من أمره بالسّجود لآدم، والراضي بالله وعنه يرتفع إلى أعلى المنازل فيصبح راسخًا في يقينه، ثابتًا في اعتقاده، وصادقًا في أقواله وأعماله وأحواله.

ويجب أن نوقن أنّ عبوديّة الإنسان لا تتمّ له من الصبر والتوكل والرّضا والتّضرع إلّا بجريان القدر له بما يكره، ولو جرى له القدر بكلّ ما يحب لكان ابعد شيء عن عبوديّة ربّه.

والارتياح النّفسي لا يتم بمعاكسة الأقدار، وبمضادّة القضاء، بل بالتّسليم والقبول فيفتح الله له باب جنة الدنيا قبل الآخرة.

المطلب الثاني: ثمرات تزكية النّفس:

أولًا: الرقابة على الأقوال والأفعال

١-تعريف الرّقابة.

سبق للباحث تعريفها لغة واصطلاحًا.

٢-حقيقة المراقبة:

قال أبو حامد الغزالي: المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب. والمعرفة الّتي تثمر هذه الحالة فهي العلم بأنّ الله مطّلع على الضّمائر، عالم بالسّرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كلّ نفس بما كسبت، فهذه المعرفة إذا صارت يقينا- أعني أنّها خلت عن الشّكّ- ثمّ استولت بعد ذلك على القلب قهرته واستجرّته إلى مراعاة جانب الرّقيب وصرفت همّه إليه؛ والموقنون بهذه المعرفة هم المقرّبون، وهم ينقسمون إلى الصّدّيقين وإلى أصحاب اليمين(١).

وقد جاء في مسند أحمد من حديث ابن عمر ﷺ أنّه قال: يا رسول الله، أوصني. قال: (اعْبُد الله كَأَنَّك تَرَاه، وكن فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيب، أَوْ عَابِر سَبِيل)(٢).

ويرى الباحث أنّ ثمرات التزكية تظهر بشكل جليّ في ضبط اللسان، وفي العلاقات مع النّاس، حيث يلمسون ذلك في أقوال الشخص وأفعاله. والمحرك الرئيسي لذلك هو القلب حيث روى ابن حبان في صحيحه من حديث النعمان ابن بشير أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٩٨ بتصرف يسير.

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل، ج١٠، ص٢٩٧، قال الألباني: صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٣، ص٤٦٠، ح١٤٧٣.

(إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد، وإذا فَسَدت فَسَد لها الْجَسَد كُلُّه، أَلا وهي القلب)[١].

وجاء في الإحياء أنّ: عبد الله ابن دينار قال: (خرجت مع عمر بن الخطّاب ﷺ إلى مكّة فعرّسنا في بعض الطّريق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم؟ فقال: إنّي مملوك، فقال: قل لسيّدك: أكلها الذّئب؟ قال: فأين الله؟

قال: فبكى عمر ﷺ ثمّ غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه وقال: أعتقتك في الدّنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة)[٢].

قال ابن منظور– رحمه الله–: فسّر النّبيّ ﷺ الإحسان حين سأله جبريل، صلوات الله عليهما وسلامه، فقال:(هو أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك)[٣]. أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطّاعة فإنّ من راقب الله أحسن عمله[٤].

"سُئل بعضهم عن قوله تعالى:﴿ ...رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البيّنة:٨] فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربّه ﷻ وحاسب نفسه وتزوّد لمعاده"[٥].

دور المراقبة في تزكية الأنفس:

يرى الباحث أنّه يجب على الإنسان أن يحرص على تزكية نفسه والارتقاء بها، لأنّ من أهم ثمرات التزكية الرقابة على الأقوال والأفعال، أمّا بالنسبة للأقوال فقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ...﴾[الإسراء:٥٣]، وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾[النساء:١١٤].

وأمّا بالنسبة للأفعال فقد بيّنها الله في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤].

---

(١) صحيح ابن حبان، ج١، ص٥٣٢، قال الألباني: صحيح. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، تحقيق: الألباني، ج١، ص٣٤٣.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي، ج٤، ص٣٩٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيﷺ، ج١، ص١٩، ح٥٠.

(٤)انظر: لسان العرب، ج١٣، ص١١٥-١١٧.

(٥) إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٩٧.

فينبغي على الإنسان أن يراقب نفسه قبل العمل، وفي العمل، وبعد العمل هل يحركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله خاصّة، فإذا كان الله أمضاه، وإلّا تركه. ومراقبة العبد في الطاعة أن يكون مخلصًا فيها، ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والنّدم والإقلاع.

وقال عقبة بن عامر: قلت يا رسول الله ما النّجاة ؟ قال:(أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك)[1]. وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ وُقِيَ شَرَّ ما بين لَحْيَيْه، وَرِجْلَيْه دخل الْجَنَّة)[2].

ومن آفات اللسان أن يتكلّم الإنسان فيما لا يعنيه، فلو اشتغل بذكر الله مثلًا بدلًا من فضول الكلام والخوض الباطل لربح كثيرا، فإنّ المؤمن يكون صمته فكرًا، ونظره عبرة، ونطقه ذكرًا. وقد روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(من حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَايَعْنِيهِ)[3].

والمراقبة التي هي ثمرة من ثمرات التزكية تؤدّي إلى الفوز بالجنّة، والنّجاة من النّار، والأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، وهي دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وتثمر محبة الله ورضاه، وهي دليل على حسن الخاتمة، ومظهر من مظاهر صلاح العبد واستقامته.

ثانيًا: الارتقاء بالحقوق والمعاملات

١-تعريف الحق:

أ- الحق لغة:

مصدر قولهم حقّ الشّيء: وجب وهو مأخوذ من مادّة (ح ق ق) الّتي تدلّ على إحكام شيء وصحّته، فالحقّ نقيض الباطل، ويقال: حاقّ فلان فلانا: إذا ادّعى كلّ واحد منهما، فإذا غلبه على الحقّ قيل حقّه وأحقّه، واحتقّ النّاس في الدّين: إذا ادّعى كلّ واحد الحقّ وقال الجوهريّ: الحقّ خلاف الباطل، والحاقّة: القيامة، سمّيت بذلك لأنّ فيها حواقّ الأمور، وقولهم: أحققت الشّيء: أي أوجبته، واستحققته: أي استوجبته. وتحقّق عندي الخبر: صحّ. وحقّقت قوله وظنّه تحقيقا: أي صدّقت. وكلام محقّق أي رصين، وثوب محقّق إذا كان محكم النّسج[4].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، ج٢، ص٩، دار السعادة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، قال الألباني: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ج٣، ص٢٧، ح٢٧٤١.

(٢) صحيح ابن حبان، ج١٣، ص٩، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، ج٣، ص١٣٥٦، ح٤٨١٢.

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٥٥٨، ح٢٣١٧، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج٢، ص١٠٢٧، ح٥٩١١.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ج٢، ص١٧، والصحاح، ج٤، ، ص١٤٦١ .

ب- الحق اصطلاحًا:

الحق هو " اختصاص ثابت شرعا لتحقيق مصلحة، يقتضي سلطة أو تكليفا"[1].

ونخلص من تعريف الحق لغة وشرعًا: أنّه نقيض الباطل، ويدل على إحكام الشيء وصحته، ويأتي بمعنى الوجوب والصدق، وهو ثابت شرعًا.

ت-استعمالات القرآن للحق:

وردت لفظة الحق في آيات قرآنية عديدة أذكر منها على سبيل المثال:

١-﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

٢-﴿ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٦٠].

٣-﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ...﴾ [البقرة:٢٦].

٤-﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢].

٥-﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

٢-تعريف المعاملة.

أ- المعاملة لغة:

قال ابن منظور: عاملت الرّجل أعامله معاملة[2].

وجاء في الصّحاح: التّعميل تولية العمل يقال: عمّلت فلانا على البصرة: ولّيته إيّاها[3].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، تأليف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد٤٠، ص٣٨٧.

(٢) انظر: لسان العرب، ج١١، ص٤٧٦، والصحاح ج٥، ص١٧٧٥،

(٣) انظر: الصحّاح، ج٥، ص١٧٧٥.

ب- المعاملة اصطلاحًا:

جاء في نضرة النّعيم أنّ: المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخرج -النّتاج- وتطلق المعاملات أيضا على الأحكام الشّرعيّة المتعلّقة بأمر الدّنيا كالبيع والشّراء والإجارة ونحوها(١).

يرى الباحث من خلال تعريف المعاملة لغة واصطلاحًا إلى أنّ المعاملة معناها فعل الفعل وتولية العمل، وتأتي بمعنى العقد الذي يعقد بين العاقدين.

ومن ثمرات تزكية النّفس الارتقاء بالحقوق والمعاملات، وسأذكر بعض الحقوق والمعاملات التي ينبغي الارتقاء بها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر كما يلي:

١- في حقوق المسلم.

قال الغزالي-رحمه الله- أن تسلم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمّته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا اقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. قال النعمان ابن بشير: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(مَثَلُ الْمُؤْمِنِين في تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِم مَثَل الْجَسد، إذا اشْتَكَى منه شَيْءٌ، تَدَاعى له سَائِرُ الْجَسَد بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(٢).

ومن حقوق المسلم أيضًا أن لا يؤذي أحدًا من المسلمين بفعل ولا قول، حيث أخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله ابن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال:(المُسْلِم من سَلِم المُسْلِمُون مِنْ لِسَانِه وَيَدِه)(٣). وقال أبو برزة الأسلمي: يا رسول الله، علمني شيئا أنتفع به قال: (اعزل الأذى عن طريق المسلمين)(٤).

ومن حقوق المسلم أيضًا أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبّر عليه، فإنّ الله لا يحب كلّ مختال فخور قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] (٥).

---

(١) نضرة النّعيم، ج٥، ص١٦٢٣.

(٢) مسند أحمد، ج٣٠، ص٣٢٣، قال الألباني: صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٣، ص٧١، ح١٠٨٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج١، ص١١، ح١٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب إماطة الأذى عن الطريق، ج٢، ص١٢١٤، ح٣٦٨١.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٩٤.

٢- في حقوق الوالدين:

من آكد الحقوق حق القرابة والرحم، ومن أخصّ الأرحام وأمسها الولادة حيث يتضاعف الحق فيها، وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(لن يَجْزِي ولد وَالِده حَتَّى يجده مَمْلُوكا فيشتريه فيعتقه)(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مالك ﷺ قال: (أَتَى رَجُلٌ رَسُول اللَّهِ ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي. قال: فأبل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا رضيت عنك أمك فاتق الله وبرها)(٢).

وعن أَسْمَاء، قالت:(قَدِمَت عَلَيَّ أُمِّي رَاغِبَة في عهد قُرَيْش وهي رَاغِمَة مُشْرِكَة، فَقُلْت: يا رَسُول اللَّه، إِنَّ أُمِّي قَدِمَت عَلَيَّ، وهي رَاغِمَة مُشْرِكَة، أَفَأَصِلها؟ قال: نعم، فَصِلِي أُمَّك)(٣). وعن معاوية بْن جَاهِمة، أَنَّ جَاهِمة رَضِي اللَّه عنه، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَال: (إِنِّي أَرَدْت أَنْ أَغْزُو فَجِئْت أَسْتَشِيرُك. قَال: أَلَك وَالِدَة ؟ قَال: نعم، قَال: اذْهَب فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّة عند رِجْلَيْهَا)(٤).

٣- حقوق الأقارب والرحم.

إنّ صلة الأقارب والأرحام من الحقوق التي أوصانا الله بتأديتها، قال تعالى: ﴿...وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ...﴾[الأنفال:٧٥]، روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قَال: قَال اللهُ ﷻ :(أنا الرَّحْمَن، وهي الرَّحِم، شَقَقْت لها اسْمًا من اسْمِي، من يَصِلْهَا أَصِلْه، ومن يقطعها أقطعه، فَأَبُتُّه)(٥).

روى أَنَسِ بْنِ مالك رَضِيَ اللَّه عنه، قَال:(سَمِعْت رَسُول اللَّه ﷺ يَقُول:(من سَرَّه أَنْ يُبْسَط لَه في رزقه، أو يُنْسَأ له في أَثَرِه، فَلْيَصِلِ رَحِمَه)(٦).

---

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للعراقي، ص٦٧٩، أخرجه مسلم.

(٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن البوصيري الكناني الشافعي، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، ج٥، ص٤٧٤، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الوطن للنشر، الرياض، رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والصغير بإسناد جيد.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الصدقة على أهل الذمة، ج٥، ص١٤٩، ح١٦٦٨. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح أبي داود، تحقيق: الألباني، ج٥، ص٣٦١، ح١٤٦٨.

(٤) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص١١٤. قال الألباني: صحيح. انظر: إرواء الغليل، ج٥، ص٢١.

(٥) مسند الإمام أحمد، ج١٦، ص٨٦، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح أبي داود، ج٥، ص٣٧٨، ح١٤٨٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أحبّ البسط في الرزق، ج٣، ص٥٦، ح٢٠٦٧.

روت أم كلثوم بنت عقبه أنّ رسول الله ﷺ قال:(أَفْضَل الصَّدَقَة على ذِي الرَّحِم الْكَاشِح[١])[٢].

٤- حقوق الجوار.

حق الجار هو من الحقوق التي تقتضيها أخوّة الإسلام، قال تعالى: ﴿...وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ...﴾[النساء:٣٦]، وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:(ما زال جبريل يُوصِينِي بالجار، حَتَّى ظَنَنْت أَنَّه سَيُوَرِّثُه)[٣].

روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(...ومن كَان يُؤْمِن بِالله وَالْيَوْم الْآخِر فَلْيُكْرِم جَارَه)[٤].

روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (لَا يَدْخُل الْجَنَّة من لا يأمن جَارُه بَوَائِقَه)[٥]. وقد روى البزّار في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ (إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال لا خير فيها هي من أهل النار وقيل فلانة تصلي المكتوبة ولا تؤذي جيرانها قال هي من أهل الجنة)[٦].

---

(١) الرَّحِم الْكَاشِح: هُوَ الَّذِي يطوي على الْعَدَاوَة كشحه، انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، ص٢٦٣، ط٢، دار المعرفة-لبنان.

(٢) مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، ج١، ص٣٢٧، ط١، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، ١٩٩٦م، دار السقا، دمشق – سوريا، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه. وقال الألباني: صحيح. انظر: إرواء الغليل، ج٣، ص٤٠٤، ح٨٩٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، ج٨، ص١٠، ح٦٠١٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار، ج١، ص٦٨، ح٧٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الجار، ج١، ص٦٨، ح٧٣.

(٦) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، ج١٧، ص١٢٩، ح٩٧١٣، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، والمستدرك، للحاكم، ج٤، ص١٨٤، قال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الألباني: صحيح. انظر: الأدب المفرد، ص٦٩، ح٥٧.

يخلص الباحث ممّا سبق إلى أنّ:

١- الإنسان الذي يعمل على تزكية نفسه والارتقاء بها، فلا بدّ أن تثمر هذه التزكية في إعطاء المسلمين حقوقهم وحسن التعامل معهم، لا سيّما وقد شجّع رسول الله ﷺ على حسن معاملة المسلمين والتودّد إليهم فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: (من اسْتَعَاذ بِاللَّه فَأَعِيذوه، ومن سَأَل بِاللَّه فَأَعْطُوه، ومن دعاكم فَأَجِيبُوه، ومن صنَع إليكم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوه، فإن لم تجدوا ما تُكَافِئُونَه، فَادْعُوا له حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُم قد كَافَأْتُمُوه)[1].

٢- طاعة الوالدين واجبة على الإنسان، والذي يبر والديه ويحسن إليهما، فإنّ الله يرزقه حسن الخاتمة في الدنيا، ويدخله الجنّة في الآخرة.

وعليه أن يقول لهما قولًا حسنًا جميلاً ليّنًا ويُحسن الأدب معهما بأن يقول: يا أبتاه، يا أماه، ولا يسميهما بأسمائهما، قال تعالى: ﴿...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣]،وأن يكون شفوقا عطوفا عليهما، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤]، وأن يدعو لهما بالرحمة، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤] .

وهذا كله ناتج عن تزكية النفس والسّمو بها حيث توصّله إلى أن يكون بارّا بوالديه، مخلصًا لهما، حيث يقذف الله في نفسه وقلبه السعادة والراحة والرّضى.

٣- تزكية النّفس تثمر التواصل مع الأقارب بالمودّة والرعاية والرحمة وخصوصًا مع الذين بينه وبينهم عداوة فإنّه يكسب قلوبهم ومحبتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصّلت:٣٤].

٤- تزكية النّفس تثمر الاهتمام بحقوق الجار حيث أنّ له حقوقًا كثيرة علينا منها: أن نبدأه بالسلام، وأن نعوده في المرض، ونعزّيه في المصيبة، ونهنّئه في الفرح، ونصفح عن أخطائه، ونغفر زلّاته، ونبذل الإحسان إليه، ونكف الأذى عنه، ونصبر على ما يكون من أذاه، وهذه الأفعال تقود إلى تقوية الروابط بين الجيران.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل الله، ج٢، ص١٢٨، ح١٦٧٢، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، للألباني، ج١، ص٦٠٥، ح١٩٤٣.

وللتدليل على أهمّية حسن الجوار ما جاء في القرآن الكريم على لسان امرأة فرعون، قال تعالى: ﴿...إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الجنة...﴾[التَّحريم:١١]، حيث قال الشنقيطي في تفسير هذه الآية: " لَقَدِ اخْتَارَت امْرَأَة فِرْعَوْن فِي طَلَبِهَا حُسْن الْجِوَار قَبْل الدَّار"(١).

قال الحسن" لَيْس حُسْن الْجِوَار كَفّ الْأَذَى، وَلَكِنَّ حُسْن الْجِوَار احْتِمَال الْأَذَى"(٢).

ثالثًا: غفران الذنوب ورضا الله

أولًا: غفران الذنوب.

١-تعريف الاستغفار.

أ- الاستغفار لغة:

قال ابن منظور: "الاستغفار مصدر قولهم: استغفر يستغفر وهو مأخوذ من مادّة (غ ف ر) الّتي تدلّ على السّتر في الغالب الأعمّ، يقال: غفر الله ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا

وأصل الغفر التّغطية والسّتر. غفر الله ذنوبه أي سترها. وتغافرا: دعا كلّ واحد منهما لصاحبه بالمغفرة"(٣).

وقال الرّاغب: "الغفر: إلباس ما يصونه عن الدّنس ومنه قيل: اغفر ثوبك في الدّعاء واصبغ ثوبك فإنّه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب. والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال، وقيل: اغفروا هذا الأمر بغفرته، أي استروه بما يجب أن يستر به"(٤).

ب- الاستغفار اصطلاحًا:

جاء في نضرة النعيم أنّ: " الاستغفار من طلب الغفران. والغفران: تغطية الذّنب بالعفو عنه. وهو أيضا طلب ذلك بالمقال والفعال"(٥).

---

(١) أضواء البيان، ج٨، ص٢٢٥.

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-إبراهيم باجس، ج١، ص٣٥٣، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣) انظر: لسان العرب، ج٥، ص٢٥-٢٦ باختصار.

(٤) المفردات، ص٣٦٢.

(٥) نضرة النعيم، ج٢، ص٢٥٣.

قال صاحب المقصد الأسنى: "الغفور والغفّار وغافر الذّنب من أسماء الله تعالى.

الغفور والغفّار من أبنية المبالغة، ومعناهما السّاتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم، والغفران والمغفرة من الله تعالى: أن يصون الله العبد من أن يمسّه العذاب "(١).

ت-العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يخلص الباحث من تعريف الاستغفار لغة واصطلاحًا، أنّه يأتي بمعنى الستر والتغطية، ويأتي أيضًا بمعنى اللباس الذي يصون صاحبه ويحميه من الدّنس. ومن المعنى اللغوي اشتُقّ المعنى الاصطلاحي الذي يأتي بمعنى الساتر والواقي للعبد من أن يمسّه العذاب.

٢-الفرق بين الغفران والعفو:

قال الكفويّ: "إنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثّواب ولا يستحقّه إلّا المؤمن ولا يُسْتعمل إلّا في (حقّ) الباري تعالى، والعفو يقتضي إسقاط اللّوم والنّدم ولا يقتضي نيل الثّواب، ويستعمل في العبد أيضا"(٢).

-دور الاستغفار في تزكية الأنفس:

يرى الباحث أنّ تزكية النّفوس تثمر ثمارًا عديدة، من أهمّها مغفرة الذنوب التي ترتبط بالتوبة والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[الأنفال:٢٩]. والمغفرة كذلك مرتبطة بمشيئة الله، قال تعالى: ﴿...فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وتكون للمؤمنين والمتقين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٩] .

والمغفرة تكون للكافر إذا أسلم وحسن إسلامه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال:٣٨].

ولا يقبل الله الاستغفار من مشرك أو فاسق، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:١١٦]. وأفضل أوقات الاستغفار هو وقت السحر، قال تعالى:﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨]، والاستغفار في الدنيا يمنع العذاب ويستجلب الرحمة والإمداد بالأموال والبنين، قال تعالى على

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ص٨٠، ط١، ١٤٠٧-١٩٨٧.

(٢) الكليات، ص٦٦٦-٦٦٧.

لسان نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح:٩-١٢].

والاستغفار يسهّل الرزق ويزيل الوحشة التي بين الإنسان وبين ربّه، والمستغفر تصغر الدنيا في قلبه ويجد حلاوة الإيمان والطاعة، ويحصل على محبة الله له، ويزداد إيمانه.

٣- رضا الله:

لقد سبق تعريف الرضا لغة واصطلاحًا ممّا أغنى عن تكراره هنا[١].

ومن ثمرات تزكية النّفس اكتساب رضا الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧].

قال محمد طنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [الليل:١٧-٢١]،

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى...﴾ "وسيبتعد عن هذه النار المتأججة الأتقى، وهو من بالغ في صيانة نفسه عن كل ما يغضب الله- تعالى-، وحرص كل الحرص على فعل ما يرضيه ﷻ.

ثم وصف- سبحانه- هذا الإنسان المبالغ في تقواه وطاعته لربه فقال:﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[الليل:١٨] أى: هذا الإنسان الشديد التقوى من صفاته أنه يقدم ماله لغيره، وينفقه في وجوه البر والطاعة، رجاء أن يكون عند ربه زاكيًا ناميًا، خاليًا من شبهة الرياء والتفاخر، وأملًا في أن يتطهر به من الذنوب.

وقوله- سبحانه-:﴿وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى﴾ بيان لبلوغه أسمى درجات الإخلاص والنقاء. أى: أن هذا الإنسان الكامل في تقاه لا يفعل ما يفعل من وجوه الخيرات، من أجل المجازاة لغيره على نعمة سلفت من هذا الغير له، وإنما يفعل ما يفعل من أجل شيء واحد، وهو طلب رضا الله- تعالى- والظفر بثوابه، والإخلاص لعبادته: قال تعالى:﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أى: ولسوف نعطى هذا التقى الذي أعطى واتقى وصدق بالحسنى، من

---

(١) راجع ص١٣٥-١٣٦.

أجل الظفر برضا ربه- تعالى- لا من أجل شيء آخر.. لسوف نعطيه عطاء يرضيه ويسعده ويشرح صدره"[1].

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩]، فتزكية النّفس وطلب فلاحها يكون بالعمل الصالح، لذا، فقد تحتم على كل ذي عقل راجح، وفكر حازم ألا يغفل عن متابعة نفسه ومحاسبتها، فيعاتبها عتاب الناصح المشفق، ويرشدها بعقله إلى طرق الفلاح، ويضطرّها – أحياناً – إلى سلوك سبيل لا تحبه فتنزجر النفس بذلك، وتزكو، وقد تلوم صاحبها بعد ذلك على مقارفته ذنباً أو مفارقته طاعة، فلا تطمئن بعدها إلا إلى عمل الصالحات، ولا ترضى عندها إلا بما يرضي ربها، فتنال بذلك رضا الله تعالى، فينجو صاحبها ويُفْلح ويُكْتب مع الذين أنعم الله عليهم من عباده الصالحين. قال تعالى: ﴿يا أيتها النّفس المطمئنّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧-٢٨] [2].

يرى الباحث أنّ هدفنا دائمًا هو رضا الله، ويجب أن يكون الهدف الرئيسي من تزكية النفس هو اكتساب رضا الله؛ لأنّ من أرضى الله رضي الله عنه وأرضى عنه النّاس.

رابعًا: النّجاة من النّار ودخول الجنّة.

قال صاحب أيسر التفاسير "إبطال تأثير النسب في السعادة والشقاء، وتقرير أنّ السعادة بدخول الجنة مردّها إلى تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وأن الشقاوة بدخول النار مردّها إلى الشرك وارتكاب الذنوب فلا نسبة إلى يهودية أو نصرانية أو غيرهما تُغني عن صاحبها، وإنما المغني بعد فضل الله ورحمته الإيمان والعمل الصالح بعد التخلِّي عن الشرك والمعاصي"[3].

ويرى الباحث أنّ التزكية هي إحدى مهمّات النّبي، وغاية من غايات رسالته، فهي السبب في دخول الجنّة والنّجاة من النّار، فالنّفس الزكيَّة تعترف بأنّ الجنّة حق فتطلبها وتعمل لها، وتعترف بأنّ النّار حق فتهرب منها وتبتعد عن الأسباب التي توصّل إليها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس:٩ -١٠].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج١٥، ص٤٢٣، ط١، ١٩٩٨، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

(٢)انظر: التحصين من كيد الشياطين، خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، ص١٤٩، بدون طبعة.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ج١، ص١٠١، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

والفلاح يكون بالنّجاة من النّار ودخول الجنّة، قال تعالى:﴿ ...**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ...**﴾[آل عمران:١٨٥]، وقال ﷺ من حديث أبي الدرداء(**خَمْسٌ من جَاء بِهِنَّ مع إِيمَان دخل الجنّة: وذكر منها ... وَأَعْطَى الزَّكَاة طَيِّبَة بِهَا نَفْسُه...**)(١).

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب المحافظة على وقت الصلوات، ج١، ص١١٦، ح٤٢٩. قال الألبـــاني: صحيح. انظر: صحيح أبي داود، ج٢، ص٣١٣، ح٤٥٧.

الفصل الثاني:

نماذج تطبيقية في تزكية الأنفس في قصص الأنبياء عليهم السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج أولي العزم من الرسل.

المبحث الثاني: منهج أنبياء آخرين.

المبحث الأول:

منهج أولي العزم من الرسل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: منهج نوح ﵇في تزكية الأنفس.

المطلب الثاني: منهج إبراهيم ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الثالث: منهج موسى ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الرابع: منهج عيسى ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الخامس: منهج محمد ﷺ في تزكية الأنفس.

المبحث الأول: منهج أولي العزم من الرسل

المطلب الأول: منهج نوح عليه السلام في تزكية النفوس.

تزكية النّفس هي أمر هام بالنّسبة للفرد والمجتمع، لذلك أرسل الله الرسل من لدن آدم عليه السلام إلى نبيّنا محمّد ﷺ ، حيث بُعثوا لدعوة النّاس لتزكية النّفوس، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ...﴾ [البقرة:١٥١]، وقال في موضع آخر: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾ [البقرة:١٢٩].

إذًا فالرّسل كلّهم بُعثوا لتزكية الأنفس، بُعثوا لتقوية عوامل الخير في نفس الإنسان، وأعظم وسيلة لتزكية النّفس وإبعاد الشرور عنها هي أن يكون الإنسان حريصًا على إضمار النيّة الصالحة، فالنّية الصالحة عندما تقترن بالأعمال تحوّلها إلى عبادات يُؤْجر عليها الإنسان، وإذا خلت منها العبادات والأعمال الصالحة تتحوّل إلى أعمال مردودة يُعاقب عليها.

وأمّا بالنّسبة لنبيّ الله نوح عليه السلام فقد سلك منهجا فريدا في تزكية الأنفس جديرا بالتأمّل والاعتبار، عمل من خلاله على ردّ قومه إلى عقيدة التوحيد، وقد تحدّث حمّود الرحيلي عن هذا المنهج في كتابه منهج القرآن حيث قمت بتلخيصه في الآتي(١).:

١- لين الكلمة، وسهولة الأسلوب، وعدم مقابلة السبّ والأذى بمثله، يظهر ذلك واضحًا من جوابه لقومه عندما قالوا له: ﴿قَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الأعراف:٦٠].

حيث ردّ عليهم في هدوء ولين، قائلاً لهم: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٦١-٦٢].

٢- تبرؤه من ادعائهم ما ليس له، كما وصف القرآن الكريم: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٣١].

٣-تنويعه للأساليب في الدعوة، فلم يلتزم أسلوباً معيناً، أو حالة واحدة، ولكنه أخذ يدعوهم في الليل والنهار، وفي السر والجهر، يظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً

---

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ج١، ص١٧٢-١٧٥، ط١، ١٤٢٤-٢٠٠٤م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح:٥ -٩].

ويجب على الداعية أن يتحلّى بالصبر والحلم والجَلَد والمثابرة عندما يدعو قومه إلى التوحيد وتزكية النّفس، ونرى ذلك واضحًا في منهج نوح عليه السلام حيث يحدّثنا صاحب عقيدة التوحيد قائلًا: " لقد كرر نوح عليه السلام دعوتَه لقومه إلى التوحيد ونبذ الشرك في أحوال مختلفة، فدعاهم بالليل والنهار، ودعاهم بالسرّ والعلن، ودعاهم أفرادًا وجماعات"(١).

٤-ترغيبهم بمغفرة الذنوب إنْ هم أطاعوه، وصدقوا ما جاء به، وبأن يمدّ الله في أعمارهم، ويدرأ عنهم العذاب الذي إنْ لم يجتنبوا ما نهاهم عنه أوقعه الله بهم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاء لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[نوح:٢ -٤].

كما رغبهم في سَعة العيش، ويُسْر الحياة السعيدة، وذلك بهطول الأمطار، والإمداد بالأموال والبنين، إنْ هم استغفروا الله تعالى، وتابوا إليه من الشرك وجميع الذنوب، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[نوح:٩ -١٢].

٥-استعماله معهم أسلوب الجدل والحوار، يتضح ذلك من آيات كثيرة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء:١٠٥ -١١٥].

٦- التكرار الدائم في دعوتهم، على الرغم من مرور الأعوام الطوال، وبذله كل الجهود الهادفة إلى إرجاعهم إلى الحق، وسلوك الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت:١٤].

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ص١٩٣، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مكتبة دار الزمان.

٧- دعوتهم إلى النظر إلى الكون، وما فيه من نظام وإبداع، وإلى الأنفس وما فيها من عجائب تدل على عظمة الخالق جل وعلا، وأنه المستحق للعبادة وحده، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهَِّ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهَُّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللهَُّ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللهَُّ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾ [نوح:١٣ -٢٠]

ومن الأساليب التي ينبغي للداعية استخدامها في تزكيته للأنفس الأسلوب العفيف المهذّب، ونرى ذلك واضحًا في أسلوب نوح ﷺ مع قومه عندما اتّهموه بأنّ به ضلالة، حيث ردّ عليهم قائلًا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١]، يحدّثنا محمد طنطاوي عن ذلك في تفسيره لهذه الآية قائلًا: قال نوح لقومه مستميلا لقلوبهم: يا قوم ليس بي أدنى شيء مما يسمى بالضلال فضلا عن الضلال المبين الذي رميتمونى به، فقد نفى الضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه؛ لأن التاء في- ضلالة- للمرة الواحدة منه، ونفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى، والمقام يقتضى ذلك، لأنهم لما بالغوا في رميه بالضلال المبين، رد عليهم بما يبرئه من أي لون من ألوانه، ثمّ أتبع ذلك بإثبات مقابلها لنفسه وهي الهداية والتبليغ عن الله- تعالى- [1].

يخلص الباحث إلى: أنّ لين الكلمة وسهولة الأسلوب وحسن التعامل، وعدم مقابلة الأذى بمثله يفعل فعله في النفس البشرية، ويعمل على تزكيتها.

كما أنّ التنويع في أساليب الدعوة يترك أثرًا طيبا في نفس المدعو، وأسلوب الترغيب والترهيب الذي اتّبعه نوح ﷺ له تأثير بالغ على النفس البشرية.

وكذلك أسلوب الحوار وتكرار الموعظة يعمل على تزكية النفوس وتنقيتها من الشوائب.

كما أنّ دعوة النّاس إلى التأمّل في الكون وما فيه من نظام وإبداع، وإلى الأنفس وما فيها من عجائب تدل على عظمة الله، يترك أثرًا طيّبا في نفس المدعو ويعمل على تزكيتها.

ويُلاحَظ في منهج نوح ﷺ لوجدناه منهجًا عامّا للرسل في دعوتهم، فهو يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ونبذ الشركاء من خلال أساليب وطرق متنوعة تعمل على تزكية النفوس حتّى توصلها إلى توحيد الله، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، ج٥، ص٣٠٠ بتصرف يسير.

ويُستَفاد من قصة نوح مع قومه، أنّ على الداعية أن يكون صبورًا في دعوته لتزكية النّفوس والتّوحيد فلا يضجر ولا يستكثر المدّة التي يقضيها حتّى ولو لم يستجب له أحد، فليحتسب وليعلم أنّه فعل ما في وسعه، ويتّضح ذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[العنكبوت:١٤].

ويرى الباحث أنّ نوحًا عليه السلام قد رسم لنا منهجا في التوكل على الله ينبغي أن نسلكه، فهو رغم انفراده في قومه وقلة من آمن به كان متوكّلا على الله، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ... ﴾ [يونس:٧١] .

وتستفيد الأمّة من منهج نوح في تزكية النّفوس أن لا نطلب أجرًا مقابل ذلك إلّا من الله تأسّيًا بهذا النّبي الكريم، قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ... ﴾[هود:٢٩].

وكان نوح عليه السلام يواجههم مباشرة، وذلك مستفاد من فعلهم الذي قال الله عنه ﴿ ...وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ... ﴾[نوح:٧]، فهم كانوا يغطّون وجوههم بأطراف ثيابهم حتّى لا تقع عيونهم عليه عندما يقترب منهم، ومواجهة المدعو مباشرة له أثر كبير في تزكية نفسه.

وكان يستعمل معهم أسلوب الحكمة-القول الموجز الدال على معناه بعبارة قصيرة دقيقة- ممثّلًا في قوله تعالى: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح:٣]، ومن مميّزات هذا الأسلوب تأثيره في القلوب والنّفوس.

ونلاحظ أيضًا في قصة نوح عليه السلام أنّ الله أغرق ابنه وزوجته ليبيّن لنا أنّ تزكية النّفس بالإيمان بالله هي الطريق الوحيد للنّجاة، وأنّ صلة القرابة لا تنفع.

المطلب الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في تزكية النفوس

لقد كان منهج إبراهيم عليه السلام موضع اهتمام القرآن، وذلك لما اشتملت عليه شخصيته الكريمة من الصفات الحميدة أولا، ثم ما قامت عليه دعوته من أساليب نظريّة وعملية رسم من خلالها الطريق للدعوة والدعاة لتزكية الأنفس، حيث أمر الله الأمة بالاقتداء به.

وقد شهد له القرآن بعزيمته القوية الصادقة لا سيما مع أبيه إلى أن أُلقِي في النار فأكرمه الله برتبة (الخُلّة) ورفع من شأنه أن ضمه في صف أولي العزم من الرسل.

يقول حمود الرحيلي: لقد ضرب إبراهيم عليه السلام المثل الرائع في الجمع بين قوة الحجة والإقناع، وأدب الحديث مع والده. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[مريم: ٤١-٤٥].

وفي هذه الآيات يُلَاحظ أسلوب الداعية المخلص في التوجيه والتعليم، الذي يحذر في لطف وينذر في لين، ويعرف منزلة الأبوة ومكانتها، فيعطيها حقها من اللين والاحترام.

ومع أنّ تلك الأبوة لم تقابل هذه الدعوة بالحنان والشفقة، بل انقلبت إلى نار تتأجج وجحيم يتوقد، تمثل ذلك في قول تلك الأبوة الظالمة: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[مريم: ٤٦]؛فإن إبراهيم عليه السلام لم يقابل تلك الشدة بمثلها، كما يفعل الأبناء الجهلة، ولكنه قابل تلك الشدة باللين والإحسان، فهو يقول لوالده:﴿سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]. وهذا الاستغفار من إبراهيم عليه السلام إنّما كان طمعاً منه في إيمان أبيه، ولكنه حينما ظهر له إصراره على الشرك، وعداوته المتأصلة لدين الله تعالى، تبرأ منه وقطع صلته به، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤](١).

وذهب الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ...﴾ [مريم:٤٣]، أي: لا تظن يا أبي أنّي متعالٍ عليك، أو أنّي أفضل، أو أذكى منك، فهذا الكلام ليس من عندي، بل من أعلى مني ومنك، فلا غضاضةَ في سماعه والانصياع له، وهو رسالة كُلِّفْتُ بإبلاغك إياها، وهذا الذي جاءني من العلم لم يأتِكَ أنت، وهذا اعتذار رقيق من خليل الله، حتى لا تأخذ والده العِزّة، ويأنف من الاستماع لولده(٢).

ويمكن تلخيص منهج إبراهيم عليه السلام في تزكية نفوس قومه من خلال دعوته لهم إلى التوحيد، حيث سلك معهم منهجاً مرتباً لا تعقيد فيه ولا غموض، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا

(١) انظر: منهج القرآن، ج١، ص١٩٦.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، ج١٥، ص٩٠٩٧.

وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت:١٦-١٨].

فعند تَأمُّل هذه الآيات الكريمة، سيُلَاحظ أن إبراهيم ﷺ قد دعا قومه دعوة بسيطة واضحة، وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً في مخاطبة النفوس والقلوب، حيث يحدثنا حمود الرحيلي عن هذا المنهج المرتّب قائلًا[١]:

١-لقد بدأ إبراهيم ﷺ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها: ﴿... اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ...﴾.

٢- ثم أثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تضمنته من الخير لهم، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير ﴿...ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٣- وفي الخطوة الثالثة يبين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه:

أ-إنهم يعبدون من دون الله أوثاناً، والوثن -التمثال من الخشب- وهي عبادة سخيفة، وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عن عبادة الله.

ب- إنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل، وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلاً من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة.

ج-إن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً، ولا ترزقهم شيئاً﴿...إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا...﴾.

٤- وفي الخطوة الرابعة يوجههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم﴿...فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ...﴾، والرزق مشغلة النفوس، وبخاصة تلك التي لم يستغرقها الإيمان، ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استثارة للميول الكامنة في النفوس.

وفي النهاية يهتف بهم إلى وهّاب الأرزاق المتفضل بالنعم، ليعبدوه ويشكروه: ﴿...وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ...﴾، ويكشف لهم أنه لا مفر من الله، فمن الخير أن يتوبوا إليه مؤمنين عابدين شاكرين﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

---

(١) انظر: منهج القرآن، ج١، ص١٩٥-١٩٦بتصرف يسير.

٥- وأخيراً بين لهم أنهم إن كذبوا بعد ذلك فلن يضروا الله شيئاً، ولن يخسر رسوله شيئاً، فقد كذّب الكثيرون من قبل، وما على الرسول إلّا واجب التبليغ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[العنكبوت:١٨]

يرى الباحث من خلال تأمّله لأسلوب إبراهيم عليه السلام ومنهجه في الدعوة إلى الله، أنّ الداعية الناجح عليه أن يتحلّى بالصّفات الآتية:

١- بالرفق واللين وسعة الصدر حتّى يؤثّر في المدعو فيكسب قلبه وعقله، وهذا المنهج كان واضحًا في أسلوب إبراهيم عليه السلام عندما عمد إلى التزلّف والتحنّن في خطابه مع والده المشرك، فهو لم يعمد إلى أسلوب الأمر المباشر والنّهي المباشر، فيقول مثلًا لا تعبد الشيطان، أو لا تعبد ما لا يسمع، وإنّما قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[مريم:٤٢]، فهو قدّم الموعظة على سبيل الاستفهام حتّى لا يُشْعر أباه بالنقص أو يُظْهر له أنّه أعلم منه، وفي هذا الأسلوب بالغ الأثر في تزكية النّفس وتخليصها ممّا يعلق بها من أدران.

٢-واستخدم لفظة يا أبت وكان التركيب يقتضي أن يقول يا أبي، وذلك لأنّ استخدامها فيه إشعار بالحنان المطلق الكامن في النفس، ثمّ كرر هذا النداء الحنون أربع مرات، وكأنّه يريد أن يثير في أبيه غريزة الحنان، وهذا أسلوب راقي وجميل في تزكية النّفوس واستجلابها إلى الحق.

٣-ويُلَاحَظ إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه قائلًا: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ...﴾ [مريم:٤٣]، فلم يقل له إنّك جاهل لا علم عندك، بل عدل عن هذه العبارة إلى ألطف عبارة تدل على المعنى، فقال: ﴿...جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ...﴾ ومثل هذا الأسلوب يؤثُر في النفس البشريّة ويزكّيها، ثمّ قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤٥]، فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، مثلما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه، هذا الأسلوب يؤثّر في النفس فيزكّيها ويرتقي بها.

٤-وقال: ﴿يمسّك﴾ والمسّ ألطف من غيره، ولم يقل ينزل بك، أو يخسف بك فهو لا يريد أن يصدمه بهذه الحقيقة، وكأنّه يقول له: إنّ أمرك يهمّني وأخاف عليك أتفه الأشياء أن تنال منك، وهذا منتهى الشفقة، وأقصر وسيلة لتزكية النّفس والتأثير فيها.

٥-ثمّ ذكر الرحمن ولم يقل الجبار ولا القهار، تأليفًا له، واستجلابًا للإيمان بهذا الرحمن، فأي خطاب ألين وألطف من هذا.

المطلب الثالث: منهج موسى ﷺ في تزكية النفوس

تتميز قصة هذا النبي الكريم بكونها غنية بالأحداث وتنوعها؛ ولذلك فقد أخذت حيزاً كبيراً في كتاب الله ﷻ وذكرت في عدة سور وبأساليب متنوّعة.

فقد واجه أطغى الخلق فرعونَ وملأه، ثم تولى قيادة اليهود، أمة تعد من أشد الأمم تفلتاً، وأقساها قلوباً، وإزاء هاتين المهمتين عاش موسى ﷺ منذ ولادته حياة حافلة بالبلاء والابتلاء، فقد عانى معاناة شديدة جداً، وصبر وجاهد في سبيل الله، وهيأه الله ﷻ للقيام بهذا الدور العظيم في جهاد فرعون وقومه ثم في قيادة بني إسرائيل.

وعندما نتدبّر في قصّة موسى ﷺ سنجد فيها دروسًا هامّة في تزكية الأنفس، وسنلاحظ أنّ الدعاء يمثّل عنصرًا بارزًا في حياته، ومكوّنًا أساسيًا في منهج دعوته، حيث يكشف عن جانب مهم في شخصيّته الموصولة بالله ﷻ، ومن هذه الدروس الهامّة ما يلي:

أ-ذكر ابن كثير-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي...﴾ [طه:٩٤]، قال: ترقّق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه؛ لأنّ ذكر الأم هنا أرق وأبلغ(١).

إذً ينبغي على الداعية أن يحسن استخدام الأسلوب الذي يكون له التأثير المناسب في نفس المخاطَب، كما حدث مع هارون ﷺ في خطابه لموسى ﷺ قائلًا له: ﴿...يَا ابْنَ أُمَّ ...﴾.

ب-في مسألة المحاسبة ينبغي العدل وعدم الخلط بين العواطف والقرابات والصحبة، قال تعالى:﴿... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾[الأنعام:١٥٢]، فالداعية النّاجح عندما يحاسب أقرب المقرّبين إليه محاسبة عادلة، فهذا يكسبه مصداقيّة عند النّاس، فيجعلهم يتقبّلون نصائحه وتوجيهاته ومواعظه، فتزكو نفوسهم وترتقي. وقد تمثّل ذلك واضحًا في موقف موسى ﷺ مع أخيه عندما خاطبه قائلًا: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢-٩٣]، ويتّضح لنا هذا الموقف الحازم من خلال قوله تعالى على لسان هارون ﷺ:﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي...﴾ [طه:٩٤].

ت-ومن الدروس المهمّة في هذه القصّة: أنّ الخلاف بين المربين ينبغي ألّا يخرج إلى النّاس، قد تمثّل ذلك واضحًا عندما انتقد موسى ﷺ هارون وحاسبه، وهارون كان يرجو من موسى ألّا

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٧٧.

يشمت به الأعداء، قال تعالى على لسان هارون:﴿ ...فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠].

ولكن ينبغي أن نفرّق بين قضيّة المحاسبة والنّقد، وبين قضية التّخطئة العلنيّة التي يكون مبعثها التّشهير والتّشفّي، والتّخطئة العلنيّة أحيانًا يكون لا بدّ منها إذا كانت لإحقاق الحق وبيانه. فمثلًا لو أخطأ الإمام في الصلاة، هل نقول لا نرد عليه حتّى لا نحرجه عند الجماعة فنظهر أنه لا يحفظ ؟

ويخلص الباحث من ذلك أنّه إذا كان مبعث التّخطئة التّشفّي والتّشهير وليس بيان الحق، فهذه التّخطئة حرام، وهي ممّا توغر الصدور، ولا تؤدّي إلى تزكية النّفوس.

والمتأمّل لموقف موسى ﵇ سيعرف الفارق بوضوح، حيث كان هدفه من التّخطئة العلنيّة هو إحقاق الحق وبيانه.

ث-ويتّضح في هذه القصّة أهمّية الدعاء في تزكية الأنفس وتخليصها من الشوائب فقد دعا موسى ربّه بعدّة أدعية.

١-﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾ [القصص:١٦]،جاء هذا الدعاء إثر قتله للقبطي.

٢-﴿ ...قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢١]،وقد كان ذلك إثر بلوغه خبر المؤامرة على قتله ممثّلا في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠].

٣-﴿ ...فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، جاء إثر الحالة التي آل إليها من التّعب والجوع، ويلاحظ أنّ موسى قدّم بين يدي موضوع طلبه وحاجته بقوله﴿رَبِّ﴾، وهذا التقديم يشير إلى الإيمان الكامل والتوحيد الصافي، ويكون له الأثر الكبير في تقوية النّفس وتزكيتها، والسّمو بها حيث تستمد هذه القوة والتزكية من الله ﷻ عندما تتوجّه إليه بالدعاء، وتستشعر فضله وكرمه. والسياق يدل على أنّ الله استجاب لموسى ﵇ فيُلاحظ أنه جاء في الدعاء الأول بعد قوله: ﴿ ...رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾ قوله ﷻ ﴿ ...فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

وجاء في الدعاء الثاني بعد قوله: ﴿...رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿...لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٢٥]. وجاء في الدعاء الثالث بعد قوله ﴿...رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿...إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا...﴾ [القصص:٢٥].

لا بدّ للداعية النّاجح أن يكون ليّن الكلمة، يعظ النّاس بالتي هي أحسن، ويتلطّف في الخطاب ما أمكن، فهذا موسى ﷺ خيرُ أهل زمانه يأمره الله بأن يقول لفرعون أخبث أهل الأرض: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النّازعات:١٨-١٩]، حيث يحدّثنا القاسمي عن ذلك قائلًا:" إنّ تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة "[١].

وذهب السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ قال: "هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله، وهذا رفقك بالكفار، فكيف رفقك بالأبرار؟ وهذا رفقك بمن جحدك، فكيف رفقك بمن وحدك. وهذه تحببك إلى من تعاديه، فكيف إلى من تواليه وتناديه؟"[٢] .

وجاء في الظلال تعليقا على هذه الآية: " فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"[٣].

قال السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾ [طه:٤٧] أَمرَهما الله هنا بالإخبار بأنهما رسولَا ربِّه، وأمرهما في آية أخرى بالتلطف له في الموعظة، لأنه أعون على قَبُول النصح، وإنفاذ الدعوة، وإمالة القلوب إلى ما تُدْعى إليه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥] ، وقد اختُلِف في معنى القول اللين، فقيل: عِدَاهُ شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لاينزع منه إلا بالموت، وأن تبْقى له لذة المطعم والمشرب والْمَنْكح إلى حين موته.

وقيل: لا تواجهاه بما يكره، فإن في ذلك تنفيرا له، أو لما له من حق التربية[٤].

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤١٨هـ.

(٢) تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، ج٣، ص٣٣٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص٢٣٣٦.

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ج٣، ص٧٠،ط١، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

ويُستَفاد من قصة موسى مع قومه ومع فرعون أنّ الداعي إلى الله ﷻ والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عليه أن يتحلّى بالصبر، وعليه أن يحتسب الأجر والثواب، وعليه أيضا أن يتحمل ما قد يسمع أو ما يناله في سبيل دعوته، وأما أن يسلك مسلك العنف أو أن يسلك مسلك أذى الناس، أو مسلك التشويش، أو مسلك الخلافات والنزعات وتفريق الكلمة هذه أصل دعوة الخوارج، هم الذين ينكرون المنكر بالسلاح، ينكرون الأمور التي لا يرونها وتخالف معتقداتهم بالقتال وسفك الدماء وبتكفير الناس وما إلى ذلك من أمور، ففرق بين دعوة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح وبين دعوة الخوارج، ومَنْ نهج منهجهم، وجرى مجراهم. دعوةُ الصحابة بالحكمة والموعظة، وبيان الحق، والتحلي بالصبر، واحتساب الأجر والثواب.

المطلب الرابع: منهج عيسى عليه السلام في تزكية النفوس

عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين النبي محمد ﷺ نبي آخر، وهو من آل عمران، وأمّه من نسل داود عليه السلام .

دعا عيسى عليه السلام الإسرائيليين إلى دين موسى عليه السلام وبشر برسالة محمد ﷺ للعالمين من بعده.

وهو أحد أولي العزم من الرسل، الذين أبلوا بلاء حسنا، وصبروا على ما كُذّبوا، وأُوذوا حتى أتاهم نصر الله المبين. وكانت السِّمة البارزة في قصة عيسى عليه السلام نفي ألوهيته ونفي بنوته لله ﷻ، وإظهار بشريته وعبوديته لله ﷻ حيث كان:

١- حريصًا على تزكية النّفوس، وكان ذلك من خلال توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم:٣٦] .

وقد أكّد الغامدي على ذلك قائلًا: "بيَّن لهم عيسى عليه السلام الذي جاء به، وأهم ذلك توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، فهو الصراط المستقيم الذي يسير عليه الأنبياء والرسل جميعاً ويدعون الناس إليه"(١).

---

(١) حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد، محمد بن عبد الله الغامدي، ص١٢٢، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٢-ويُلَاحَظ في قول عيسى ﷺ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ...﴾ [مريم:٣٠]، أنّ أوّل كلمة نطق بها وهو في مهده أنّه عبد الله، وفي ذلك بيان ما للعبوديّة من تأثير كبير في تزكية النّفس، وتحقيق التوحيد في أجلى صوره، وفيها أيضًا أعظم زجر للنّصارى عن دعواهم أنّه الله.

٣-وقد استمرّ في دعوته لبني إسرائيل، يبيّن لهم الحق ويدعوهم إليه، ويحذّرهم من اتباع الهوى والشيطان، أملًا في أن تزكو نفوسهم، وقد أيّده الله بكثير من المعجزات التي وقفوا عاجزين أمامها، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩].

٤-ومن مظاهر اعتناء عيسى ﷺ بتزكية النّفوس، اهتمامه البالغ بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة، ممثّلا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣١]، وعند التّأمّل في هذه الآية الكريمة لتبيّن لنا أن أهمّية وفضل عبادة الصلاة والزكاة، بدليل أنّ الله ﷻ قد خصّهما بالذّكر دون غيرهما، فهما أبلغ تأثيرا في تزكية النّفس من غيرهما، بدليل أنّ الله ﷻ فرضهما على إسماعيل ﷺ ممثّلا بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:٥٥]، وجاء في قصّة زكريّا قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...﴾ [آل عمران:٣٩]، ولو كان شيء أفضل من الصلاة ما قال: ﴿...وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...﴾، ولبيان أهمّية الصلاة في تزكية النّفس وتنقيتها من الأدران والذنوب أنّ داود ﷺ لمّا أصاب الخطيئة وأراد التوبة لم يجد لتوبته مفزعًا إلّا إلى الصلاة، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤].

٥-وقد استخدم عيسى ﷺ أسلوب الترغيب والترهيب للتأثير على النّاس وتزكية نفوسهم، وكان ذلك متمثّلًا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] .

٦-وقد استخدم عيسى ﷺ منهج التربية وسيلة هامّة لتزكية نفوس أتباعه، حيث جعل له حواريين يعلّمهم ويختصّهم بمزيد من القرب والإدناء.

٧-ويُستَفاد من قصّة عيسى ﷺ أنّ المبالغة في الثناء والإطراء تورث الشخص انهيارًا وهزيمة، فالمبالغة في الثناء على الأشخاص أحيانًا تورث شركًا وضلالًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا

تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

"ولما كان اليهود الذين بُعث فيهم عيسى عليه السلام قساة القلوب، فقد أعرضوا عن رسالته، وأخذوا يصدون الناس من سماع دعوته، ولما وجدوا أنَّ البعض يؤمن به ويلتف حول دعوته، أخذوا يحرّضون الرومان عليه، ويوهمونهم أنّ في دعوة عيسى زوالاً لملك قيصر، وتقويضاً لسلطانه، فتمكَّنوا من حمل الحاكم الروماني على إصدار الأمر بالقبض عليه، والحكم بإعدامه صلباً، ولكنّ الله لم يمكنهم مما أرادوا به من كيد ومكر، إذ رفعه إليه، وألقى الشَّبه على غيره.

قال تعالى: ﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾ [النساء:١٥٧]، وقال في موضع آخر ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [آل عمران:٥٥]"(١).

المطلب الخامس: منهج محمد ﷺ في تزكية النفوس

إنّ الله ﷻ لا يرسل رسولا إلا لأحد الأسباب التالية:

١- أن تكون رسالة النبي خاصة بقوم، ولم يُؤمر هذا الرسول أن يبلغ رسالته إلى الأمم المجاورة، فيرسل الله رسولا آخر برسالة خاصة إلى أمَّة أخرى.

٢- أن تكون رسالة النبي المتقدم قد اندثرت، فيبعث الله نبيا يجدد للناس دينهم.

٣- أن تكون شريعة النبي المتقدم صالحة لزمانها، وغير مناسبة للأزمنة اللاحقة، فيبعث الله رسولًا يحمل رسالة وشريعة تناسب الزمان والمكان.

وقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يبعث محمدا ﷺ برسالة عامة لأهل الأرض، مناسبة لكل زمان ومكان، وحفظها من أيدي التغيير والتبديل، لتبقى رسالته حيَّة يحيا بها الناس، نقية من شوائب التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ولأجل ذلك جعلها الله خاتمة الرسالات.

وقد اهتمّ نبيّنا الكريم اهتمامًا بالغا بتزكية النّفوس، حيث أخبر الله عنه قائلًا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود الرحيلي، ج١، ص٢٣٤.

ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] . وكان من دعائه ﷺ (اللهم آت نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْت خَيْرُ من زَكَّاهَا، أَنْت وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا)(١).

وقد بدأ الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد قبل كل شيء، فأرساها في النفوس، حيث مكث بمكة بضعة عشر سنة يدعو النّاس إلى تحقيق لا إله إلا الله، إلى العلم بها والعمل بمقتضاها، ويُزيل كل مظاهر الشرك، حتى إذا ثبتت العقيدة في النفوس جاءت الأوامر والنواهي، فقبلت النفوس أوامر الله وابتعدت عن نواهيه.

وقد استخدم رسولنا الكريم أساليب متنوّعة وطرق متعدّدة لجذب النّاس إلى الإسلام وتزكية نفوسهم منها:

١-استعمال الحكمة.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾ [النحل:١٢٥].

فأسلوب التزكية عن طريق السُّباب والشتائم لا يأتي بفائدة، بل يأتي بنتائج عكسيّة من النّفور عن الدّعوة وعدم قبولها، قال تعالى عن محمّد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ [آل عمران:١٥٩].

٢- الدعوة إلى الاعتبار بالسابقين.

حيث يلفت الله أنظار النّاس إلى مصير الأمم المكذبة آمرًا نبيّه أن يبيِّن لهم ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم:٤٢].

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذَّبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، أنّا أهلكناهم بعذاب منّا، وجعلناهم عبرة لمن بعدهم"(٢). والآيات التي تدعو إلى السير والنّظر في مساكن الأمم السابقة كثيرة، والهدف من إيرادها أخذ الدروس والعبر والاتعاظ بسنن الله في الكون حتّى لا نقع فيما وقع فيه السابقون.

والإنسان عندما يتدبّر هذه الآيات ويتمعّن فيها فإنّ نفسه تخشع إلى الله وتتّجه إليه بفعل الطاعات، واجتناب المنكرات فيؤدّي ذلك إلى تزكيتها والسّموّ بها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عُمل...، ج٤، ص٢٠٨٨، ح٧٣.

(٢) جامع البيان، ج٢١، ص٥١.

٣-اللطف ولين الجانب.

حيث كان منهجه ﷺ طيلة فترة الدعوة يتّسم باللطف ولين الجانب، ممّا كان له أثر كبير في استقطاب الكثيرين للإسلام وتزكية نفوسهم، ويظهر ذلك واضحًا في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

٤-التذكير بنعم الله.

وكان من منهجه ﷺ التذكير بنعم الله وذلك لما له من دور كبير في تزكية النّفوس، حيث يؤدّي ذلك إلى الشعور بالطمأنينة والراحة والسكون والاستسلام إلى الخالق الذي أنعم علينا بهذه النّعم الوفيرة فنشكره على كرمه ونعترف له بالجميل، قال تعالى:﴿ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل:٨٠]، وقال في موضع آخر:﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس:٢٤ -٣٢].

٥-الصلاة.

ومن منهجه ﷺ في تزكية النفوس الحثّ على إقامة الصلاة، فهي ركن من أركان الإسلام وعمود الدين، وأول ما يُحاسب عنه المسلم يوم القيامة من أعمال العبادات، قال تعالى:﴿ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾[العنكبوت:٤٥]، وقال في موضع آخر:﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، فالمحافظة على الصلاة يؤدي إلى سكون النّفس واطمئنانها وبالتالي تزكيتها والسمو بها. والصلاة نظافة وطهارة وزينة، وتجمّل في البدن والثوب وهذا له أثر بالغ في تزكية النّفس وإشراقها، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا...﴾ [المائدة:٦].

فالصلاة تمدُّ المؤمنَ بقوة روحية تعينه على مواجهة متاعب الحياة، ومصائب الدنيا، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] .

وفي الصلاة قوة خُلُقية للمؤمن تقوّيه على فعل الخير وترك الشر، قال تعالى:﴿ ... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ [العنكبوت:٤٥] .

٦-الزكاة.

وكان من منهجه ﷺ في تزكية النفوس الحثّ على إيتاء الزكاة لما فيها من طهارة للإنسان، قال تعالى:﴿... وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ...﴾ [الأنعام:١٤١]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ...﴾ [التوبة:١٠٣]

وقد روى الطبري في تفسير هذه الآية أقوالًا عن العلماء تدور في مجملها على أنّ المراد بذلك الصدقة الواجبة[١].

وقد امتدح الله المؤمنين المؤدّين لزكاتهم، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤].

٧-الصيام.

وقد كان مفروضًا على الأمم السابقة قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

والصيام له أثر بالغ في تزكية النفوس والرقيِّ بها بدليل أنّ رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح: (يا معشر الشَّباب من استطاع منكم البَاءَة فَلْيَتَزَوَّجْ، ومن لم يَسْتَطِعْ فعليه بِالصَّوْم فَإِنَّه له وِجَاء)[٢].

فالصوم يحمي الإنسان من شهوات النفس، ويقيه من الوقوع في الزلل.

٨- الحج.

ومن منهجه ﷺ في تزكية النفوس هو حث المسلمين على حج بيت الله تعالى حيث يشعر الإنسان عند تأديته لهذه الفريضة بأن لا فرق بين عربي على أعجمي إلّا بالتقوى فيكون الناس سواسية متجهين إلى الله في منظر مهيب وهم يطوفون حول الكعبة، وقد أتوا من بقاع مختلفة طاعة لله وامتثالًا لأمر الله فتزكو نفوسهم وتقوى عزائمهم، قال تعالى:﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، وقال في موضع آخر ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ...﴾ [البقرة:١٩٦] .

وقد اجتمع في الحج عدّة عبادات، كالصلاة والزّكاة، والعبادات البدنيّة والرّوحيّة، وتحقيق تلك العبادات يجعل الروح تسمو وتتزكّى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ج٨، ص٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي...، ج٧، ص٣، ح٥٠٦٥.

ومن منهجه ﷺ في تزكية النفوس الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة لأنّها تحقق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة وكان ذلك من خلال دعوته إلى:

١-برّ الوالدين وصلة الأرحام.

حيث تأتي رابطة الأسرة بعد رابطة العقيدة، ورسولنا الكريم حثّ المسلمين على برّ الوالدين وصلة الأرحام لما لها من أثر كبير في تزكية النّفوس وتنقيتها من الشوائب.

قال تعالى:﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى...﴾ [النساء:٣٦]، وقال في موضع آخر: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣] .

والوصية بالوالدين والطاعة لهما في غير معصية يثمر للإنسان ثمرات عظيمة من رضا الله عنه وراحة نفسية يمنُّ الله بها عليه فتزكو نفسه وتصفو.

وقد أمر الله على لسان نبيّه بصلة الرّحم وعدم قطعها، قال تعالى: ﴿...وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ...﴾ [النساء:١]. وقرن قطيعة الرحم بالفساد في الأرض، قال تعالى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد:٢٢]، ومدح الله الواصلين لرحمهم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

فهذه الآيات الكريمة تبين ما للرحم من مكانة عظيمة عند الله حيث أكّد القرآن هذه الرابطة بقوله تعالى:﴿ ... وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ...﴾ [الأحزاب:٦].

وقد سأل ابن مسعود رسول الله ﷺ قائلًا: (أي العمل أحبّ إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثمَّ أيُّ؟ قال: برُّ الوالدين...)[١]

٢-العدل.

وقد اهتمّ به رسولنا الكريم اهتمامًا بالغًا وجعله أساسًا للتعامل بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة:٨]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿...وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾ [الأنعام:١٥٢].

---

[١] صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ج١، ص١١٢.

والعدل يُشْعِر الإنسان بالمساواة، وهو بدوره يؤدي إلى انتشار المحبة والرحمة بين الناس فتزكوا نفوسهم وترتقي.

٣-الإحسان.

ومن منهجه ﷺ في تزكية النفوس الدعوة إلى الإحسان، حيث جاءت توجيهات النبي تشهد بأنّه كتاب روحي يرتقي إلى أعلى مراتب السموّ ويعلو على القوانين والأخلاق البشريّة.

وبيَّن الرسول أن ّثمرة الإحسان تعود إلى المحسن نفسه، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ...﴾ [الإسراء:٧].

والإحسان يشمل كلَّ عمل يتعامل به الإنسان مع ربه ومع الناس، ولهذا قال رسول اللهﷺ:(إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء...)[١].

وإذا تحقق الإحسان في الإنسان، فهذا يؤدي لا محالة إلى تزكية نفسه والرقي بها إلى أعلى درجات الصفاء.

٤-الأمانة.

وهي مسئولية أخلاقية عظيمة لم تستطع السموات والأرض والجبال حَمْلها، وحَمَلها الإنسان. فمن قام بها وفق منهج الله فاز بخيري الدنيا والآخرة، ومن خان أمانته وضيَّعها خسر دنياه وآخرته، قال تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] .

ومن هنا نرى أنّ الأمانة من أعظم أمهات الأخلاق التي أمر بها رسولنا الكريم، حيث تؤدي إلى تزكية النفوس وتقويتها والسمو بها، وقد ورد عنه ﷺ أنّه قال: (إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة)[٢].

٥-الصبر.

أمر رسولنا الكريم أمَّته بالتحلِّي بصفة الصبر، وعدم الجزع عند وقوع المصيبة، وأن يحتسب الأجر عند الله، قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ج٣، ص١٥٤٨، ح٥٧.

[٢] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سُئل علما...، ج١، ص٢١.

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وورد في الصحيحين من حديث ابن مسعود-رضي الله عنه-أنّه قال: قال رسول الله ﷺ (ليس منا من لطم الخدود وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)[١].

وقد وعد الله الصابرين بالأجر الوفير والثواب الجزيل يوم القيامة، قال تعالى:﴿... وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦]،وقال في موضع آخر:﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر:١٠].

والصبر أنواعه كثيرة وميادينه واسعة، وكلها ترجع إلى الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة. فإذا غرس المسلم هذه المعاني العظيمة في نفسه فإنّها حتمًا ستزكو وتصفو وتسموا إلى العلياء.

٦-الصدق.

ومن منهجه ﷺ في تزكية النّفوس الصدق، حيث أمر به في الأقوال والأعمال، واعتبره أساسًا من أسس الفضائل التي تبنى عليها المجتمعات، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وأخبر القرآن بانّ الصدق من أخلاق الأنبياء، قال تعالى عن إبراهيم﵇ ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[مريم:٤١]، وقال تعالى عن إسماعيل﵇ ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٤].

وقد تحدّث القرآن الكريم عن نبينا محمد ﷺ بأنّه جاء بالصدق وهو القرآن، قال تعالى:﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمر:٣٣].

وقد تحدّث نبينا الكريم عن الصدق حيث قال: (إنّ الصدق يهدي إلى البر، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة...)[٢]

إذًا فالصدق له مكانة عظيمة ويؤدّي إلى تزكية نفس صاحبه وصفائها.

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح، ، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، ج٣، ص١٦٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب...، ج١، ص٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: يا أيّها...، ج٨، ص٢٥

الخلاصة:

يتبيّن للباحث مما سبق أنّ: محمد ﷺ قد استخدم العديد من الوسائل والأساليب التي عمل من خلالها على كسب قومه إلى الإسلام والتوحيد والتي كان منها:

١-استعمال الحكمة في مخاطبته لقومه.

٢-الدعوة إلى الاعتبار بالسابقين.

٣-اللطف ولين الجانب.

٤-التذكير بنعم الله.

٥-الصبر على أذاهم.

ولكن رغم ذلك لم يؤمن بدعوة محمد ﷺ بادىء الأمر إلّا القليل.

المبحث الثاني:

منهج أنبياء آخرين

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: منهج هود ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الثاني: منهج صالح ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الثالث: منهج لوط ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الرابع: منهج شعيب ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب الخامس: منهج سليمان ﵇ في تزكية الأنفس.

المطلب السادس: منهج يوسف ﵇ في تزكية الأنفس.

المبحث الثاني: منهج أنبياء آخرين.

المطلب الأول: منهج هود عليه السلام في تزكية الأنفس.

بعد أن أهلك الله المشركين من قوم نوح عليه السلام بالغرق، وأنجى نبيه نوحاً والذين آمنوا معه، تكاثرت ذريته وتوزعت في البلدان، وانقسمت إلى قبائل متعددة.

ومع تباعد الزمان بعد نوح عليه السلام نسي الناس دعوته، وأغواهم الشيطان، فبعدوا عن الحق، واتخذوا من الأصنام والأوثان آلهة، عبدوها من دون الله.

ومن هذه القبائل كانت قبيلة "عاد" التي ظهر كفرها، فأرسل الله إليهم أخاهم هود عليه السلام يبلغهم دعوة الله، ويهديهم إلى الدين الحق، ويدلهم على صراط الله المستقيم.

وذكر ابن كثير– رحمه الله–: "أن عاداً الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان "[1].

وعن دعوة هود عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هودا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥]، وقال في موضع آخر:﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١].

وأمّا بالنسبة لقبيلة عاد فيحدّثنا أحمد غلّوش قائلًا: عاد قبيلة عربية، من العرب العاربة، سكنت جنوب جزيرة العرب، في منطقة الأحقاف الواقعة بين عمان وحضرموت. أنعم الله على هذه القبيلة بطيب العيش، ورغد الحياة، فتمكنوا من إقامة حضارة راقية، مزدهرة، شاملة لصور عديدة من الرقي، والمدنية.

ففي المجال الزراعي أمدّهم الله بالماء، فأسسوا البساتين، وحفروا الأنهار والعيون، وربوا الماشية والدواب، يذكرهم الله بذلك قائلًا: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:١٣٢-١٣٤].

وفي المجال الصناعي، شيدوا المصانع الضخمة، تمدهم بالقوة، وتسهل لهم الحياة. يوضح الله لهم هذه النعمة، قائلًا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء:١٢٨-١٢٩]. وكان لهم في مجال العمران باع طويل، لدرجة أنهم تفردوا بحضارتهم

---

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ج١، ص١٢١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦، دار الفكر.

المعمارية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[الفجر:٦-٩].

وتميَّزوا بضخامة البدن، وقوة الجسم، وطول القامة، كما يدلُّ عليه قوله تعالى:﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، وقوله في موضع آخر:﴿... كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقَّة:٧] (١).

منهج هود عليه السلام في تزكية الأنفس:

وأمّا بالنسبة لمنهج هود عليه السلام في تزكية الأنفس، فقد كانت له وقفات مع قومه مشهودة سجلها له القرآن الكريم، حيث كان يقدّم لهم الدروس والعبر، ويُمكن تلخيص منهج هود عليه السلام من خلال النقاط الآتية:

١-ضرب لهم المثل بما أصاب قوم نوح من قبلهم بسبب عنادهم وإصرارهم على الزيغ والضلال، مذكِّرًا إياهم بنعم الله عليهم حيث زادهم في الخلق بسطة. وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، وذكَّرهم بأنّ الله أعطاهم الخيرات الجليلة من الأنعام والبنين والحدائق والمياه.

وضرب المثل منهج سليم وقوي في تزكية النفوس وتوصيل الموعظة إلى القلوب بأبلغ تأثير، قال تعالى:﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩].

٢- القول الليّن، والخطاب الرقيق، وعدم مقابلة الأذى بمثله، يتبين ذلك جليّا عندما رماه قومه بالسَّفَه والكذب، حيث ردّ عليهم قائلًا:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٦٧]. وهذا الأسلوب له وقع كبير في تزكية النّفوس واستجلابها إلى الحق.

٣-استعمل معهم أسلوب الجدل والحوار، يظهر ذلك عندما أصرّ زعماؤهم على عبادة الأوثان، وقالوا لهود عليه السلام بأنّه لم يأتهم ببيّنة واضحة على صحَّة ما يدعو إليه، فأجابهم بأنّه يُشْهد الله ويشهدهم بأنّه بريء من الشرك الذي هم فيه. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:٥٣-٥٤] .ومعروف عن أسلوب الجدل والحوار أنّه يخاطب

---

(١) دعوة الرسل عليهم السلام، ص٧٨، ط١، ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة.

العقل خطابًا مباشرًا فيكون تأثيره في العقول والنّفوس قويّا مؤثرًا، فلا ينكره إلّا الذين حقَّت عليهم الضلالة.

٤-عدم طلب أجر على الدّعوة، أو رياسة، بل يطلب أجره وثوابه من الله. قال تعالى:﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود:٥١]. وعدم طلب الأجر إلّا من الله يدل دلالة واضحة على صدق المدّعِي، وأنّه غير منتفع ولا يبغي مصلحة ذاتية لنفسه، وفي ذلك تأكيد لصدقه وتعزيز لدعوته فيكون تأثيرها في النّفوس أقوى وأبلغ.

٥-التنقية من الضلال أنّه أرشدهم إلى الاستغفار والتوبة، فبسببهما تهطل الأمطار، وتحصل الخيرات، ويزيدهم الله قوة إلى قوتهم، قال تعالى:﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

ويرى الباحث أنّه:

١- بالرغم من هذه الأساليب الطيبة والمتنوعة التي سلكها هود ﷺ في دعوته لقومه لتزكيتهم إلّا أنّهم للأسف الشديد احتقروه ووصفوه بالسَّفَه والكذب، ولكنّه احتمل ذلك ونفى عن نفسه السفاهة والكذب قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف ٦٦-٦٧].

٢-ويُستفاد من قصة هود ﷺ أنّ الحضارة المادّية إذا بَعُدت عن منهج الله وتحكَّمت فيها الأهواء والأنانية والشهوة، فإنها تكون وبالًا على أصحابها، وبرهانًا على اضمحلالها وزوالها.

٣-وها هي حضارة "عاد" نمت وترعرعت في إطار الشهوات والأطماع، فأصابت أهلها بالكِبْر والغرور، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصّلت:١٥]. فقد جحدوا قدرة الله، وتصوروا أنفسهم الأشد قوة، وضلوا ضلالا بعيدا.

٤-إنّ هذه سنة إلهية لا تتغير، وعلى العاقل أن ينظر في كل الحضارات، ويبحث عن أسباب انهيارها، فسيجده في هجر دين الله، وهذا درس للإنسان في كل زمان ومكان.

المطلب الثاني: منهج صالح ﷺ في تزكية الأنفس.

يحدّثنا صاحب دعوة الرسل عن قوم صالح قائلًا: لقد عاشوا في منطقة تُسمّى "الحِجر"، وهي منطقة مكونة من جبال ضخمة عالية لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة، وهذه الجبال محاطة بالرمال المتحركة. والمنطقة قليلة الماء، وسُمّيت بثمود لذلك؛ لأن الثمد قلة الماء. في هذه المنطقة الشاقة، وُجدت القبيلة، وعاشت بنعم الله تعالى، فلما دعاهم صالح عليه السلام تمسكوا بضلالهم، ولم يتّبعوه حتى حلَّ بهم الهلاك والدمار(١).

وثمود اشتهرت بحضارتها الزاهرة في جوانب الحياة المختلفة، فمن الناحية الزراعية كانت لهم الجنات، والعيون، والزروع والنخيل. ومن الناحية العمرانية فقد أسسوا الأبنية الفارهة، ففي الصيف يسكنون بيوتا أقاموها في أعالي الجبال، وفي الشتاء يسكنون في بيوت نحتوها في باطن الجبال. وكانوا يتمتعون بطاقة عقلية متقدمة، يقول الله عنها: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٨] أي: يتمكنون من البصر، والنظر، والتدبر، إلا أن الشيطان زين لهم أعمالهم وألهاهم بالشهوات، وصدّهم عن الحق، فكفروا بأنعم الله، وعبدوا الأصنام من دون الله تعالى. وكان الأولى بهم أن يستفيدوا من قدراتهم العقلية، لكنهم وجهوها في الجدل العقيم، ومحاولة الرد على دعوة صالح –عليه السلام– بالمزاعم الباطلة، والشبهات الزائفة.

وأمّا منهج صالح عليه السلام في تزكية النفوس فلا يختلف عن المنهج الذي سلكه نبي الله هود عليه السلام في دعوة قومه عاد، وذلك لوجود التشابه بين القبيلتين، فبالإضافة إلى أنّ كلًّا من الشعبين كانا يسكنا الجزيرة العربية، فقبيلة عاد تسكن في الجنوب بالأحقاف بين اليمن وعمان، وثمود تسكن بالحِجْر، بين المدينة وتبوك، والأوضاع الاجتماعية والعمرانية في زمان كل منهما قد بلغت أقصى حدود القوة والمنَعة، وخاصة في فنون البناء والعمارة، كنحت البيوت في الجبال، وإقامة القصور في السهول، وتشييد المصانع وشق العيون، وفوق ذلك فقد منحهم الله بسطة في الأجسام، وقوة في الأبدان، قال تعالى:﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١].

كما يوجد تشابه في سلوك كل منهما القائم على البطر والطغيان، وإيثار الشرك على التوحيد، وقد قرن الله تعالى بين ذكر القبيلتين، وما حلّ بهما من العقاب الأليم في كثير من السور، كما في سورة: براءة، وإبراهيم، والفرقان، وص، وق، والنجم، والقمر، والحاقة، والفجر، وفصلت، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ

---

(١) انظر: دعوة الرسل، أحمد غلوش، ص٩٣.

صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصّلت:١٧]، وقوله تعالى:﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[الشمس:١١].

ويُمكن تلخيص منهج صالح في النّقاط الآتية:

١-ضَرْب المثل لهم بقوم هود عليه السلام حيث جعلهم خلفاء من بعدهم، ومكّنهم في الأرض يتّخذون من سهولها قصورا، ومن الجبال بيوتا، قال تعالى:﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤]. وضَرْب المثل له أثر كبير في التّأثير على المدعو وتزكية نفسه واستجلابها إلى الحق.

٢-اللطف في القول، وليّن الجانب، يظهر ذلك في جوابه لهم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود:٦٣].

٣-ممارسة أسلوب الحوار المبني على إقامة الحجة يظهر ذلك واضحًا في كثير من السور التي تعرضت لقصة صالح عليه السلام فعلى سبيل المثال ورد في سورة هود قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وورد في سورة النمل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل:٤٦].

٤-عدم أخذ الأجر يظهر ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩].

٥- كان يوجّههم إلى الاستغفار والتّوبة، فهما سبب للخير والبركة والقوّة، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ ...فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

المطلب الثالث: منهج لوط ﷺ في تزكية الأنفس

لوط عليه السلام ابن أخ إبراهيم عليه السلام نشأ معه في بابل، واستمع له وصدّقه، وآمن بدعوته.

هاجر لوط إلى "سدوم"[١]، وهي قرية تقع شرق النّهر في غور الأردن على البحر الميّت.

وقد عبد قوم لوط عددًا من الآلهة، واستغرقوا في إشباع شهواتهم، مخالفين في ذلك فطرة الله، فقد كان الرجل يأتي الرجل، وهي فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

واستمروا على ما هم عليه حتّى أتاهم لوط عليه السلام ودعاهم إلى التوحيد، وترْك ما هم عليه من فاحشة وعدوان، ولكنّهم استمرّوا في ضلالهم وغيّهم حتّى نزل بهم أمر الله فأهلكهم ودمرهم. وكما غيّروا الفطرة وقلبوها على غير وجهها كان الجزاء من جنس العمل، فقد قلب الله عليهم قريتهم وجعل عاليها سافلها، ونجّى لوطًا ومن آمن معه.

ويمكن تلخيص منهج لوط في تزكية النّفس في النّقاط الآتية:

١-بيّن لهم ونصحهم وخوّفهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ -٢٩].

٢-دعا قومه إلى التّوحيد، لكنّه رأى فيهم انصرافًا إلى الشهوة، لذلك ركّز على المرض المتفشّي فيهم مبيّنًا أضراره وأخطاره، علّهم يبتعدوا عنه فيتّجهوا إلى توحيد الله وعبادته.

قال صاحب كتاب دعوة الرسل "ومنهج لوط عليه السلام في تزكية النّفس هو ما يعرف بالتّخلية قبل التّحلية، وهو منهج حسن ينتهي بهم إلى توحيد الله بصدق وإخلاص، لأنّ الالتزام بالفطرة السليمة يرتبط ارتباطًا مباشرًا بتوحيد الله، أمّا الانحراف عنها فهو انحراف عن العقيدة"[٢].

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠]، وقال في موضع آخر:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل:٥٤].

---

(١) سَدُوم: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحمــوي، ج٣، ص٢٠٠.

(٢) دعوة الرسل، أحمد غلوش، ص١٥٦.

٣-أخبرهم أنّه لا يأخذ أجرًا على دعوته لهم، وهذا له أثر كبير في التأثير على نفوسهم لأنّه يعطي مصداقيّة لصاحب الدعوة، ويتّضح ذلك في قوله تعالى: وما ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩].

٤-استخدم معهم أسلوب التّلطّف، وحاول أن يستخرج من نفوسهم وعقولهم بوادر الخير والرشد، وهذا أسلوب حسن في تزكية النّفس، حيث نرى ذلك ممثّلًا في قوله تعالى: ﴿...أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود:٧٨].

المطلب الرابع: منهج شعيب عليه السلام في تزكية الأنفس

شعيب عليه السلام نبي عربي تميز بالفصاحة والبلاغة، وحسن التوجيه والبلاغ، يقول عنه ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو ذر:(أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر)[1].

وكان رسول الله ﷺ إذا ذُكر شعيب قال:(ذاك خطيب الأنبياء)[2].

وذهب بعض المفسرين إلى أن شعيبا كُفَّ بصره لقوله تعالى:﴿...وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا...﴾ [:٩١]،قالوا: إن ضعفه بسبب العمى، وقد رده الله عليه[3].

أرسل الله شعيبا عليه السلام إلى قومه مدين، وهي قبيلة عربية تسكن في "معان" الواقعة بين الشام والحجاز، حيث عاش معهم وسكن بينهم وأتقن لغتهم.

وقد أنعم الله على "مدين" بنعم عديدة، أشار إليها قوله تعالى: ﴿...وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ...﴾ [الأعراف:٨٦]،وهذه الكثرة بعد القلة شاملة لعددهم، ولمعاشهم، وكافة جوانب حياتهم، ولكنّهم أشركوا بالله وشاع فيهم الفساد ممثّلا في:

١- التطفيف في الكيل والميزان، فقد كانوا إذا اشتروا موزونا استوفوه، وإذا باعوه أنقصوه، ويتّضح ذلك في قوله تعالى:﴿... فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ...﴾ [الأعراف:٨٥].

٢- بخس الناس حقوقهم، ممثّلًا بقوله تعالى:﴿... وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾ [الأعراف:٨٥].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٦، ص٤٤٩.

(٢) المستدرك، للحاكم، ج٢، ص٦٢٠. قال الحاكم: صحيح، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج١، ص١٧٥، ط١، ١٤١٧ه، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

٣- صدّ الناس عن الخير والاستقامة، ممثّلًا بقوله تعالى: ﴿...وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آَمَنَ بِهِ...﴾.

٤- محاولة تشويه الحق، وتحويل الدين إلى ما يشتهون ويريدون، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿...وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا...﴾ [الأعراف:٨٦]؛ ولهذا بعث الله لهم أخاهم شعيبا يدعوهم إلى التوحيد وتزكية النّفس.

ويُمكن تلخيص منهج شعيب ﷺ فيما يلي:

أولًا: يعرض قضيته الأساسية، ويدعو قومه إلى التوحيد وعبادة الله يتّضح ذلك من قوله تعالى:﴿ ... فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا اليَوْمَ الآَخِرَ...﴾ [العنكبوت:٣٦].

وقال في موضع آخر: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١٧٧-١٧٩] .

فهو يقرن بدعوة التوحيد الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، من باب ترغيب الناس فيما ينتظرهم، ويذكرهم بالحساب ليستقيم سلوكهم.

ثانيًا: الدعوة إلى عبادة الخالق وحده، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٨٤]، والتذكير بنعم الله قال تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٨٦].

فهو يبيّن لهم أنّ الله خلقهم وخلق الأجيال السابقة جميعا، وعليهم أن يتدبروا في عاقبة الأمم التي سبقتهم ليعتبروا، وحتى لا يحِلُّ بهم ما حلَّ بالأمم السابقة.

ثالثًا: يوجّههم نحو إصلاح معاملاتهم وأخلاقهم بعد فسادها وضلالها، فيؤدّي ذلك إلى طهارة القلب والسلوك، قال تعالى على لسان شعيب: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود:٨٤]، وقال في موضع آخر:﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥].

المطلب الخامس: منهج سليمان ﷺ في تزكية الأنفس

سليمان ﷺ أحد أنبياء بني إسرائيل، ويُعَدُّ عصره أزهى عصور الإسرائيليين، فقد أسس لهم المملكة الصالحة بحضارتها الراقية، وهو ابن نبي الله داود ﷺ نشأ في بيت النبوة، وورث الشجاعة والحكمة والنّبوّة عن أبيه، قال تعالى: ﴿...وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُود...﴾ [النمل:١٦].

يقول أحمد غلوش: " ووراثة النّبوة تعبير مجازي، لأنّ النّبوة اختيار إلهي محض، والمراد منها هنا أنّ الله جعل النّبوة له بعد أبيه"(١).

وكان يشارك أباه في أمور الحكم والقضاء، ويساعده في تدبير أمور الدولة، وكان يحكم في بعض القضايا بأدق مما يحكم أبوه، كما حكم في قضية الزرع والغنم، وقضية التنازع حول الولد، ولقد كان داود يرجع لحكمه لظهور صوابه ودقته.

قال ابن الأثير:"ولَمَّا تُوُفِّي دَاوُد مَلَك بَعْدَه ابْنُه سُلَيْمَان على بني إِسْرَائِيل، وكان ابْن ثَلَاث عَشْرَة سنة، وَآتَاه اللَّه مع الْمُلْك النُّبُوَّة، وسأل اللَّه أَنْ يُؤْتِيَه مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحد من بعده، فَاسْتَجَاب له وَسَخَّر لَه الْإِنْس، وَالْجِنَّ، وَالشَّيَاطِين، وَالطَّيْر، وَالرِّيح"(٢).

وعلّمه الله منطق الطير والنبات والحيوان والجماد، قال تعالى:﴿... وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ﴾ [النمل:١٦].

ويمكن تلخيص منهج سليمان في تزكية الأنفس بما يلي:

١-دعا قومه إلى عبادة الله، وكان دائم الشكر لله يدعوه أن يعينه على الطاعة والذكر والشكر، قال تعالى: ﴿...وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩]،وقد مدحه الله لصلاحه وتقواه، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠].

٢- لمّا استعرض جنوده من الجن، والإنس، والطير، بعددهم وعدتهم، ولمّا سمع مقالة النملة لإخوانها لم يتملّكْهُ الكِبْر والغرور والاستعلاء بل تذكّر على الفور فضل الله عليه، وأقرَّ به،

---

(١) دعوة الرسل، ص٤٢٠.

(٢) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج١، ص٢٠٠، ط١، ١٤١٧ه-١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

وطلب من الله أن يلهمه ويوفقه لشكر نعمه التي تفضل بها عليه، وعلى والديه، وأن يجعله عبدا صالحا، خاشعا، خاضعا لله رب العالمين، قال تعالى حاكيًا على لسان سليمان عليه السلام: ﴿...وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، وفي ذلك درس عظيم لكل إنسان أن يكون شاكرًا لله عند الرّخاء، وأن يزكّي نفسه من الكِبْر والغرور، وأن يعترف بالفضل كله لله، على عكس ما حصل مع قارون-لعنه الله-عندما آتاه الله من الأموال ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوّة، أرجع الفضل كله لنفسه ونسي الله وكفر به، قال تعالى حاكيًا على لسان قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾[القصص:٧٨].

٣-ودرس آخر في تزكية الأنفس نتعلّمه من قصّة سليمان عليه السلام لمّا أرسلت إليه ملكة سبأ هدية مالية ضخمة، على وجه الرشوة، غضب كثيرا، ورد الهدية وقال لمن حملوها إليه: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[النمل:٣٦]، ونتيجة لموقف سليمان عليه السلام وردّه الهديّة، أيقنت ملكة سبأ أنّه صادق فيما يدّعيه من النّبوة، فأسلمت معه لله ربّ العالمين، قال تعالى على لسان بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:٤٤]، لذلك يجب على كلّ الدعاة أن يتعففوا عن متاع الدنيا الزّائل وأن يبتغوا أجرهم من الله عز وجل فسيكون لدعوتهم حينئذ صداها في نفوس المدعوين وأثرها البالغ في تزكية نفوسهم.

المطلب السادس: منهج يوسف عليه السلام في تزكية الأنفس

يوسف عليه السلام من رسل الله وأنبيائه إلى بني إسرائيل، وهو ابن يعقوب عليه السلام تميَّز بكرم الخلق، وكرم السلوك، وقد جاءت قصته مفصلة في سورة واحدة سميت باسمه هي سورة يوسف، حيث تحدّثت عن مولده، ونشأته، وحياته، وأخلاقه، وموقفه من إخوته، وهكذا حتى تنتهي به واليا على خزائن مصر، ومعه قومه إلى أن يموت.

وقد وهب الله ليعقوب عليه السلام اثني عشر ولدا، أحدهم يوسف عليه السلام له أخ شقيق اسمه بنيامين، والباقون إخوة لأب، وترتيب يوسف بينهم الثاني عشر، وقد تميز منذ صغره بسعة العقل، وسلامة الخلق، وكان محل حب أبيه لنجابته، وصغره، ويتمه بموت أمه راحيل، وزاد من حب أبيه له الرؤيا التي رآها.

ويُمكن تلخيص منهج يوسف عليه السلام في تزكية الأنفس بما يلي:

١-اغتنامه لحاجة من معه في السجن إليه في تأويل ما رأياه، حيث دعاهما إلى عقيدة التوحيد، وحذرهما من الشرك، مع بيان الحجّة، كل ذلك قبل تأويل الرؤيا، ليكون أدعى إلى الإصغاء والقبول، وأبعد عن الإعراض عنه، وحافزًا على تزكية النّفس، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

٢- لم يطلب منهما طلبًا صريحًا ترك الشرك وإعلان التوحيد، بل وجَّه ذلك لهما بشكل سؤال فيه غاية الحب والمودة وهو سؤال يقرع الفطرة: أيهما أفضل عبادة رب واحد أم التوجه لأرباب كثيرة؟ قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

٣-استعمال اللين ممثّلًا بقوله يا صاحِبَيْ لما فيها من التّودد والتّحنّن، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ...﴾.

٤- العفو عند المقدرة، وكان ذلك متمثّلًا في قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿...لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ...﴾[يوسف:٩٢] أي: لا تعيير ولا توبيخ مني أبداً عليكم! وأكمل قائلًا: ﴿...يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف:٩٢]، وهذا شأن المحسنين، يقابلون السيئة بالحسنة فيكون لذلك عظيم الأثر في نفس المسيء، فيتحوّل إلى وليّ حميم قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت:٣٤]. وبهذا تُنَال الدرجات العلى من الجنان، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٤].

القواسم المشتركة بين دعوة الأنبياء جميعًا:

يتضح للباحث من خلال تأمّله في منهج الأنبياء عليهم السلام وجود قواسم مشتركة بينهم في أسلوب الدعوة إلى الله.

١- بالرغم من قوة حجة الأنبياء في توصيل الدعوة إلى النّاس، إلّا أنّ أكثرهم مكابرين ومعاندين.

٢-يجب على الداعية أن يصبر على أذى النّاس، وألّا يستعجل النتائج.

٣- يجب على الداعية أن يتوكّل على الله، وأن يثق في نصر الله تأسّيًا بالأنبياء عليهم السلام.

٤-عدم طلب الأجر على الدعوة له أثر كبير في استجابة النّاس لها.

الفصل الثالث

معوقات تزكية الأنفس

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الانتصار للنّفس.

المطلب الثاني: عدم الانصياع للحق.

المطلب الثالث: الكبر والغرور.

المطلب الرابع: العادات والتقاليد السلبية.

المطلب الخامس: المكابرة والجدال العقيم.

المطلب السادس: هوى النّفس.

المطلب السابع: حب الدنيا.

المطلب الثامن: تزيين الشيطان.

الفصل الثالث

معوقات تزكية الأنفس

المعوّقات تختلف عن الأمراض لأنّ الأمراض تأتي من داخل النّفس، وأمّا المعوّقات فهي أمور خارجّية تؤثّر في النفس وتعيق تزكيتها مستغلّة نقاط الضعف فيها.

المطلب الأول: الانتصار للنّفس

١-الانتصار لغة:

قال صاحب الصحاح: نَصَرَه الله على عدوِّه يَنْصُره نَصْراً. والاسم النُصْرة. والنَصير: الناصر، والجمع الأنصار، واستنصره على عدوه، أي سأله أن يَنْصُرَه عليه. وتَناصَروا: نَصَرَ بعضُهم بعضاً. ونَصَرَ الغيثُ الأرضَ، أي غاثَها. ونُصِرَت الأرضُ فهي مَنْصورَة، أي مُطِرت(١).

قال الفيومي: "انْتَصَرْت مِنْ زَيْد انْتَقَمْت منه"(٢).

جاء في المعجم الوسيط: "تناصرت الأخبار صدق بعضها بعضًا"(٣)

٢-الانتصار اصطلاحًا:

قال صحب نضرة النعيم: الانتصار يراد به أحد أمرين:

الأول: تناصر المسلمين ويراد به: أن يقدّم كلّ منهم العون لأخيه ليدفع عنه الظّلم إن كان مظلوما ويردّه عن ظلمه إن كان ظالما.

الثّاني: التّناصر بين العبد وربّه ويراد به: أن يلتزم المسلم بتقديم النّصرة لعباد الله وأن يلتزم بتنفيذ أوامره ﷻ واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿...**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ**...﴾[الحج:٤٠](٤).

---

(١) انظر: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أحمد عبد الغفور عطار، ج٢، ص٨٢٩.

(٢) المصباح المنير، ج٢، ص٦٠٧

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى-أحمد الزيات-حامد عبد القادر-محمد النجار)، ج٢، ص٩٢٥، بدون طبعة، دار الدعوة.

(٤) انظر: نضرة النعيم، عدد من المختصّين، ج٤، ص١٢٣١.

وذهب السعدي في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٢] إلى أنّ"ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسّره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه"(١).

ويرى الباحث أنّ سلامة الصدر من الغش، وخلوّ القلب من نزعة الانتصار للنّفس، هي سمة للمؤمن الصالح الذي يُؤْثر حق الآخرين على حقّه، ويعلم أنّ الحياة دار ممر وليست دار مقر، فتصفو نفسه وترتقي وتزول معوّقات تزكيتها.

ويجب على الإنسان أن يعمل على تصفية قلبه من حب الذات، وحبّ الأخذ دون عطاء، وهذا يمكن تحصيله في ولوج باب العفو والصفح والتسامح والمغفرة، فطيب النفس وحسن الظن بالآخرين، وقبول الاعتذار، وكظم الغيظ والعفو عن النّاس يُعَد من أهم ما حثّ عليه الإسلام ويؤدّي إلى إزالة معوّقات التزكية.

ومن عمل على تعزيز هذه الصفات في نفسه وقلبه، وجاهد نفسه في عدم الانتصار لها، لهو جدير بأن يكون من أهل العزّة والرّفعة، وهذا مصداق قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة-رضي الله عنه-(ما نَقَصَت صَدَقَة من مال، وما زاد الله عَبْدًا بِعَفْو، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَع أحد للّه إِلَّا رَفَعَه الله)(٢).

والعفو شعار الصالحين الأنقياء ذوي الحلم والأناة والنّفس الرّضيّة، لأنّ التنازل عن الحق نوع إيثار للآجل على العاجل، فهو ليس بالأمر الهيّن لأنّ له في النّفس ثقل لا يتم التّغلّب عليه إلّا بمصارعة حب الانتصار والانتقام للنّفس، ولا يكون ذلك إلّا للأقوياء، قال تعالى: ﴿...وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٦٠، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ج٤، ص٢٠٠١، ح٢٥٨٨.

وورد في سنن أبي داود في الحديث الذي يرويه سهل بن معاذ عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال:(من كَظَم غَيْظًا وَهُو قَادِر على أن يُنْفِذَه، دَعَاه اللَّه ﷻ على رُءُوس الْخَلَائِق يَوْم الْقِيَامَة حَتَّى يُخَيِّره اللَّه من الْحُور الْعِين ما شَاء)[١].

والعفو والتسامح أمارة من أمارات القائد النّاجح، قال تعالى:﴿خذ العفو وأمر بالعرف...﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال في موضع آخر:﴿ولا تستوي الحسنة...﴾[فصلت: ٣٤].

المطلب الثاني: عدم الانصياع للحق

التأبّي عن الإيمان، وعصيان أوامر الله يقودان صاحبهما إلى الضلال، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾[طه: ٥٦].

يقول علي الصّلابي" وأما العناد فحالة نفسية تدفع بصاحبها إلى التأبّي عن الانصياع للحق على سبيل المكابرة دون أن تكون لديه مبررات بذلك، حتى ولو كانت مبررات زائفة أو باطلة"[٢]. قال تعالى مبيناً أن العناد مانع عن الهدى وسبب في الضلال: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١٦]، وقال في موضع ثانٍ مبيناً شدة عناد الضالين:﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[الحجر: ١٤ ـ ١٥]. وقال في موضع ثالث: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الأنعام: ٧].

وقد بلغ العناد وعدم الانصياع للحق من كفار قريش غايته، حين قالوا: ﴿ ...اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وطلبوا من الرسولﷺ أن يأتيهم بآية من ست آيات اقترحوها، قال تعالى حاكياً قول كفار قريش: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظا، ج٤، ص٢٤٨، ح٤٧٧٧، قال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٠، ح٢٧٥٣.

(٢) الإيمان بالقدر، ص١٥٨، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر.

يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

وعدم الانصياع للحق آفة تصيب النّفس، وتعوّق تزكيتها، وتنزل بصاحبها إلى الحضيض، ويكفينا لتوضيح ذلك أنّ إبليس رفض أمر الله ﷻ بالسجود لآدم بسبب تمكّن هذا الأمر منه، قال تعالى حاكيا على لسان إبليس- عليه لعنة الله-:﴿...قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ...﴾ [الأعراف: ١٢].

الخلاصة:

يرى الباحث أنّ الذي لا ينصاع للحق، يُحْرَم من الاتّعاظ والانتفاع بآيات الله، لأنّ عناده يمنعه من الانصياع له، فيطبع الله على قلبه، ويصرفه عن آياته، والنتيجة أنّه يُصاب بالخيبة والفشل وغضب الله عليه، ويدخل جهنّم ويُحْرم ممّا يناله المتواضعون لربّهم من نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص:٨٣].

المطلب الثالث: الكبر والغرور

أوّلا: الكِبْر لغة واصطلاحًا:

١-الكِبْر لغة:

قال ابن فارس:(كَبَر) الكاف والباء والرّاء أصل صحيح يَدُلُّ على خلاف الصِّغَر. يُقَال: هو كَبِير، وَكُبَار، وَكُبَّار. قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾، [نوح: ٢٢] وَالْكِبْر: مُعْظَم الأمر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾[النور: ١١]، ومن الباب الْكِبَر، وهو الْهَرَم. وَالْكِبْر: الْعَظَمة، وكذلك الكبرياء. وَيُقَال: وَرِثُوا الْمَجْد كَابِرًا عن كَابِر، أَيْ: كَبِيرًا عن كَبِير في الشَّرَف وَالْعِزِّ، وَيُقَال: أَكْبَرْت الشَّيْء: اسْتَعْظَمْتُه(١).

وقال ابن منظور:" الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتّجبّر، وقيل: الرّفعة في الشّرف، وقيل: هي عبارة عن كمال الذّات ولا يوصف بها إلّا الله تعالى"(٢).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص١٥٢-١٥٣بتصرف يسير.

(٢) لسان العرب، ج٥، ص١٢٩.

قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى المتكبّر والكبير، أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالى عن صفات الخلق، وقيل: المتكبّر على عتاة خلقه"[1].

٢-الكبر اصطلاحًا:

عرّفه رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن مسعود:(...الْكِبْر بَطَر[2] الْحَقِّ، وَغَمْطُ[3] النَّاسِ)[4].

قال الغزاليّ: "هو استعظام النّفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير.

وقال أيضا: الكبر حالة يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسه أكبر من غيره"[5].

وقال الكفويّ: التّكبّر: "هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التّشبّع وهو التّزيّن بأكثر ممّا عنده"[6]

وتحدّث الغزاليّ- رحمه الله- عن الكبر قائلًا: الكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواصّ من الخلق، وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزّهّاد والعلماء فضلا عن عوامّ الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن مسعود:(لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر)[7]، وإنّما صار حجابا دون الجنّة لأنّه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلّها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلّها، لأنّه لا يقدر على أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه وفيه شيء من الكبر. فما من خلق ذميم إلّا وصاحب الكبر مضطرّ إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلّا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه. فمن هذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال حبّة منه. والأخلاق الذّميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة. وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له[8].

---

(١) لسان العرب، ج٥، ص١٢٥.

(٢) بطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، انظر: شرح النّووي على مسلم، ج٢، ص٨٩.

(٣) غمط النّاس: احتقارهم، انظر: المرجع السابق، ج٢، ص٨٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج٦، ص٩٣، ح٩١.

(٥) إحياء علوم الدين، ج٣، ص٣٤٥.

(٦) الكلّيات، ص٢٨.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج١، ص٩٣، ح٩١.

(٨) انظر: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٣٤٥.

٣-أسباب الكبر:

ويرى الباحث أنّ للكبر أسبابًا متنوّعة يمكن تلخيصها في الآتي:

أ-سبب في المُتكبِّر، وهو الإعجاب بالنّفس، وهو مرض خطير يورث الكِبْر في الأعمال والأقوال والأحوال.

ب- سبب في المُتكَبَّر عليه، وهو الحقد والحسد.

ت-سبب يتعلّق بغيرهما، وهو الرّياء.

٤-درجات الكبر:

وجاء في الإحياء: "أنّ العلماء والعبّاد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون الكبر مستقرّا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرا من غيره، إلّا أنّه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلّا أنّه قد قطع أغصانها.

الثّانية: أن يظهر لك بأفعاله من التّرفّع في المجالس، والتّقدّم على الأقران، والإنكار على من يقصّر في حقّه، على عكس ما أمر الله به نبيّه، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَناحَك لمن اتَّبَعَك من المُؤْمِنِين﴾ [الشعراء: ٢١٥]، الدّرجة الثّالثة: أن يُظْهِرَ الكبر بلسانه كالدّعاوى والمفاخرة، وتزكية النّفس"[(١)].

والتكبُّر حماقة ودليل قاطع على جهل المتكبر بربه وبنفسه، فلو عرف ربَّه لعَلِمَ أنَّ الكبرياء لله وحده، فقد جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: (الكبرياء ردائي، والعظمة إِزَارِي، فمن نازعني واحدًا منهما، قَذَفْتُهُ في النَّار)[(٢)].

قال سعيد حوّى "اعلم أنّ الكِبْر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النّفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح"[(٣)]

ولو علم الإنسان أنَّ أوّله نطفة قذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بين ذلك يحمل في بطنه العذرة، لخجل من نفسه ووقف عند حده.

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ج٣، ص٣٥٠-٣٥١.

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، ج٤، ص٥٩، ح٤٠٩٠، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح. ج٣، ص١٤١٤، ح٥١١٠.

(٣) المستخلص، ص٢٢٥.

وقال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من التكبّر قط إلّا نقص عن عقله بقدر ما دخل من ذلّ قلَّ أو كثر، وسُئل عن السيّئة التي لا تنفع معها حسنة، فقال الكِبْر"[١].

قال صاحب كتاب أصول الدعوة" وسبب الكِبْر عُجْب الإنسان بنفسه، لعلمه أو ماله أو جاهه أو حسبه أو نسبه أو سلطانه، وغير ذلك ممّا يدعو إلى الإعجاب بالنّفس، ناسيًا هذا المُعْجَب أنّ الله تعالى هو المُنْعِم بهذه الأشياء، وأنّه لو شاء لسلبها منه"[٢].

وقد توعّد الله المتكبرين بالذل والخزي في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].، وقال في موضع ثانٍ: ﴿...كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال في موضع ثالث: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[إبراهيم: ١٥]، وقال في موضع رابع:﴿ ...إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النّحل: ٢٣].

ثانيًا: الغرور لغة واصطلاحًا

١-الغرور لغة:

قال ابن فارس: (غَرَّ) الغين والرّاء أُصُول ثَلَاثة صحيحة: الأول الْمِثَال، والثّاني النُّقْصَان، وَالثَّالِث الْعِتْق وَالْبَيَاض وَالْكَرَم.

فأمّا (الغرور) المذموم فهو من الأصل الثاني (أي النّقصان) لأنّه من نقصان الفطنة[٣].

٢-الغرور اصطلاحًا:

قال الجرجانيّ:" الغرور: هو سكون النّفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطّبع"[٤].

وقال المناويّ: " الغرور: هو إخفاء الخدعة في صورة النّصيحة"[٥].

وقال الكفويّ: "الغرور: هو تزيين الخطأ بأنّه صواب"[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ج٢، ص٣٣٩.

(٢) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٣٥٩، ط٩، ١٤٢١ه-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ج٤، ص٣٨٠-٣٨١.

(٤) التعريفات، ص١٦٧.

(٥) التوقيف على مهمّات التّعاريف، ص٢٥٢.

(٦) الكلّيات، ص٦٧٢.

ويرى الباحث أنّ الغرور يمكن أن يطلق على كل ما غرَّ الإنسان من مال، أو جاه أو شهوة أو إنسان أو شيطان.

٣-الفرق بين الجهل والغرور:

قال الغزاليّ: الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل، إذ الجهل هو أن يعتقد الشّيء ويراه على خلاف ما هو به، ولكن ليس كلّ جهل غرورا(١).

ونلاحظ أنّ لفظة الغرور قد جاءت بصيغ مختلفة في القرآن الكريم، حيث دلّت على معان مختلفة أهمها الانخداع والتّعالي المؤدّي إلى البطر، ونكران نعم الله على الإنسان، قال تعالى: ﴿...ما غرك بربك الكريم﴾[الانفطار:٦].

وقد كتب علماء المسلمين عن الغرور الشيء الكثير، فمسكويه يقرر أن الغرور جهل من الإنسان بعيوبه وجهل بحقيقة هامّة هي أنّ الفضل مقسوم بين البشر لا يَكْمُل الواحد منهم إلا بفضائل غيره(٢).

والماوَردي يذكر أن الغرور المبنى على الكبر والإعجاب يضرُّ بصاحبه قبل غيره لأنّ غروره يمنعه من أن يستفيد من علم غيره، ولا يألفه أحد لتكبّره فهو معزول عن مجتمعه ممقوت فيه(٣).

يخلص الباحث إلى أنّ المتكبّر والمغرور يستعظم نفسه ويستصغر قدرَ غيره، فيدفعه ذلك إلى رذائل ومهلكات تعوّق تزكية نفسه، وتدفع به إلى التهلكة.

والمتكبّر يردّ الحق ولا يقبله ولا يذعن إليه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النّمل: ١٤].

والمتكبّر والمغرور يستنكف أن يسأل النّاس عمّا يجهله، ولا يقبل تعليم من يعلّمه، ولا يقبل نصيحة ناصح، فتظل نفسه مغلّقة بغلاف سميك يحجب عنها نور التزكية.

ولا يمكن للمتكبّر أن يتخلّص من هذا الداء العُضَال إلّا بالمعرفة اليقينيّة لربّه ولنفسه، فيعرف أنّ الكبرياءَ لله وحده، ولا يجوز لأيّ إنسان أن يسمح لذرّة من الكِبْر أن تتسرّب إلى

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٣٧٩.

(٢) انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين، ص٢٣١.

قلبه، لأنّ الكبرياء صفة خاصّة بالله وليس بغيره، وعليه أن يعرف قدر نفسه، فهو نشأ من نطفة ثمّ يصير جيفة قذرة.

وعليه أن يعلم أنّ ما عنده من العلم قليل جدّا بالنّسبة إلى ما يجهله، قال تعالى: ﴿...وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وعليه أن يعلم أنّ هناك من هو أعلم منه، قال تعالى:﴿...وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وعليه أن يعلم أنّ الكبر والغرور أكبر مانع لتزكية النّفس وتصفيتها من الأدران، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٧].

المطلب الرابع: العادات والتّقاليد السيّئة

العادات والتّقاليد السلبية لها تأثير في تشويه الفطرة وإعاقة تزكية النّفس، ويتمثّل ذلك في الأثر السّيّئ للأسرة وخاصّة الأبوين، وللمجتمع بما فيه من اتّجاهات وعقائد وأفكار ومؤثّرات.

وممّا يزيد خطر البيئة الفاسدة أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه يحب مجالسة النّاس ويكره العزلة، ويتأثّر تلقائيّا بما يحيط به من أفكار وأخلاق وأعمال، ويسارع إلى محاكاتها إذا نالت منه الاستحسان، وكثيرًا ما يكون هذا الاستحسان موافقًا لهوى النّفس، أو بسبب ما أَلِفَه من عقائد وأعمال تربّى عليها منذ الصّغر.

وقد احتوى القرآن الكريم على العديد من الآيات التي توضّح هذا الأمر، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف:٢٢-٢٤]، وقال تعالى في موضع آخر:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[لقمان:٢١].

يقول صاحب منهج الإسلام: "فليس لهؤلاء المعرضين حجّة إلّا اتّباع ما وجدوا عليه آباءهم من قبلهم، وما نأوا عليه من عقائد وتصوّرات فاسدة طمست نور الفطرة وحجزت القلوب عن الهداية"(١).

ولم يقتصر الأمر على القرآن، بل تعدّاه إلى السنّة النبويّة، حيث بيّن ﷺ أنّ الفطرة النّقيّة تنحرف بتأثير الأسرة والمجتمع وبخاصّة الأبوين، وهذا ما أشار إليه الحديث النّبوي الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﵁ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مَوْلُود إِلَّا يُولَد على الفِطْرَة، فَأَبَوَاه يُهوّدانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه، أَوْ يُمَجِّسَانِه...)(٢).

وفي هذا الحديث بيان لما يعتري الفطرة من تشويه بسبب البيئة الفاسدة، حيث تنحرف عن الحق وبخاصّة إذا كان الفساد ناشئًا من الأبوين.

وعندما يكبر الطفل لا يقتصر تأثُّره على ما يراه في أسرته، بل يتعدّى ذلك إلى المجتمع الذي يعيش فيه، وبخاصة أصحابه وزملاؤه فإن كانوا فاسدين فقد استقى منهم الفساد وانحرف معهم في مهاوي الردى، وهذا مصدّق قول النّبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو موسى(مَثَل الجَلِيس الصَّالِح وَالسَّوْء، كَحَامِل المِسْك وَنَافِخ الكِير، فَحَامِل المِسْك: إِمَّا أن يُحْذِيَكَ(٣)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِد منْه رِيحًا طَيِّبَة، وَنَافِخ الكِير: إِمَّا أن يُحْرِق ثِيَابَك، وَإِمَّا أن تَجِد رِيحًا خَبِيثَة)(٤).

وهكذا يكون تأثير العادات السلبية في المجتمع تأثيرًا سلبيّا، وعائقًا من عوائق تزكية النفس، ويزداد الأمر سوءًا عندما يعيش الشاب في أسرة أَلِفَت هذا الانحراف وهيّأت له الأسباب، وتأتي أوقات الفراغ والغنى لتزيد النّار اشتعالًا.

---

(١) منهج الإسلام في تزكية النّفوس، أنس كرزون، ج٢، ص٦٧٩، ط٢، دار ابن حـــزم للطباعـــة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ج٢، ص٩٤، ح١٣٥٨، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ج٤، ص٢٠٤٧، ح٢٦٥٨.

(٣) إمَّا أن يحذيك: أَي يهب لَك الشَّيْء من ذَلِك. يُقَال: أحذيت الرجل أحذيه: إِذا أَعْطيته الشَّيْء وأتحفتـــه بِـــه، انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ج١، ص٤٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ج٣، ص٩٦، ح٥٥٣٤.

وقد تحدّث الإمام ابن تيمية–رحمه الله–عن ذلك فقال:"كم ممّن لم يُرِد خيرًا ولا شرًّا حتّى رأى غيره–لا سيّما إن كان نظيره –يفعله ففعله، فإن كان النّاس كأسراب القطا مجبولون على تشبّه بعضهم ببعض"(١).

الخلاصة:

يرى الباحث أنّ العادات والتّقاليد السلبيّة لها أثر مدمّر في شخصيّة ونفسيّة الفرد، وتمثّل عائقًا كبيرًا في تزكية نفسه والسموّ بها، وحتّى يقوى عليها الإنسان ويتغلّب على تأثيرها الضّار لا بدّ له من اتّباع ما يلي:

١–تقوية الإيمان:

فالإيمان إذا ترسّخ في القلب وتذوّق صاحبه حلاوته، فلا يمكن أن يتحوّل عنه مهما اشتدّت المغريات والفتن، فالإيمان القوي يبني جدارًا صلبًا واقيًا يحمي صاحبه من تأثير العادات السلبيّة.

وقد أشار هرقل إلى هذا المعنى لمّا سأل أبا سفيان مستفسرًا عن دين الإسلام، فكان من بين أسئلته: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟

فقال أبو سفيان: لا، فأجاب هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب(٢).

وهذا مصداق قوله تعالى:﴿ ...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧]، فلا يُعقَل أن يتحوّل المؤمن عمّا وجد فيه الحلاوة إلى ما فيه المرارة والشّقاء، مهما كانت المغريات، فهو يؤثّر فيمن حوله بالخير ولا يتأثّر بالشّر، وينتشل الغرقى بدل أن يغرق معهم.

والإيمان يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٢٨، ص١٤٩–١٥٠، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قل يا أهل الكتاب تعالوا، ج٦، ص٣٥، ح٤٥٥٣.

٢-بناء الأسرة على أساس التّقوى:

إذا حرص الرّجل على اختيار الزّوجة الصّالحة، وحرصت المرأة على اختيار الزّوج الصالح، وكانت حياتهما قائمة على أساس التّقوى، فإنّ هذه الأسرة هي البيئة الأولى التي يحيا فيها النشء الصّالح ويتلقّى فيها عقيدته وسلوكه قبل أن يختلط بالنّاس، فيكون محصّنًا من أمراض المجتمع ومفاسده، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التّوبة:١٠٩].

وإذا تساهل أحد الزّوجين في اختيار الآخر، فإنّ المفاسد ستنشر ظلالها على الأبناء، وخاصّة إذا كان المصدر من الأم لأنّها أكثر صلة بأبنائها من أبيهم، وأكثر عاطفة في التّعامل معهم، ويزداد الأمر سوءًا عندما تكون الزّوجة غير مسلمة، وهذا مصدّق لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة:(تُنْكَح المَرْأَة لِأَرْبَع: لِمَالِهَا ولِحَسَبِهَا وجَمَالِهَا ولِدِينِهَا، فَاظْفَر بِذَات الدِّينِ، تَرِبَت يَدَاك)(١).

٣-صحبة الصّالحين وتجنّب الأشرار:

هذه الصّحبة هي البيئة الثّانية التي يحيا فيها الإنسان بعد بيئة الأسرة، فالطّفل عندما يكبر لا بدّ له من الالتقاء بالآخرين ومجالستهم والحديث معهم، والتّأثّر بهم، فإن أحسن الأبوان اختيار تلك الصّحبة لأبنائهم فقد خفّفا عن كاهليهما عبئًا كبيرًا، حيث يستكمل الأبناء شخصيّتهم الإسلاميّة من تلك الصّحبة، أمّا إن كانت تلك الصّحبة فاسدة فإنّ البناء الذي بناه الوالدان في نفوس أبنائهم سيتقوّض. وأكبر مثال على الصحبة النّافعة، صحبة الرسول ﷺ لأبي بكر الصّدّيق، قال تعالى على لسان محمّد ﷺ:﴿...إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا...﴾، ومثال آخر على الصّحبة النّافعة، قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام:﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، وقد روى أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:(الرجل على دِينِ خليله، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ من يُخَالِلُ)(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ج٧، ص٧، ح٥٠٩٠.

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، أبــواب الزهــد، ج٢، ص٥٧٧، ح٢٣٧٨، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة -كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتــاب والسنة ١٤٢٤ هــ، قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع وزياداته، ج١، ص٦٦٤، ح٣٥٤٥.

٤-إصلاح المجتمع:

المجتمع الذي تنتشر فيه مظاهر الفساد والانحراف وتظهر فيه المعاصي والمنكرات، لابدّ له من علاج تتضافر فيه جهود الدّعاة والمصلحين والقادة والمربِّين، لكي يستقيم ويبرأ ممّا اعتراه من آفات وأمراض.

وقد بيّن الله ﷻ ضرورة إرشاد النّاس وإصلاحهم وتحذيرهم من الفساد، وأنّ بذل الجهد في ذلك لا يقل أهمّية عن جهاد العدوّ الخارجي، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

٥-الهجرة والعزلة:

إذا انتشر الفساد في المجتمع واستشرت فيه الفتن، وخاف المسلم على نفسه وأبنائه من الانسياق وراء الفساد، فليبادر إلى الهجرة من هذا المجتمع الآثم، ولينتقل إلى مجتمع آخر تتحقّق فيه حرّيّة الالتزام بالإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٧-٩٩].

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية" هذه الآية عامّة في كلِّ من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكّنًا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع"(١).

يجد الباحث من خلال الآية السابقة أنّ الله قد عذر المستضعفين الذين لا يقدرون على التّخلّص من أيدي المشركين إمّا لقلّة حيلتهم أو لأنّ الظروف المادّيّة والصّحّيّة لا تسعفهم.

وممّا يدل على ضرورة الهجرة لوقاية المسلم من شرِّ البيئة المنحرفة المغرقة في الفساد والظلم ما ورد في قصّة الرّجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثمّ قتل الراهب فكمّل به المائة، لأنّه يأّسَهُ من رحمة الله، فلمّا أرشده العالم للتّوبة بيّنَ له ما يعين عليها ويرسّخها في نفسه، فقال

---

(١) تفسير القرآن، ج٢، ص٣٨٩.

له:(انْطَلِق إلى أَرْض كذا وكذا، فَإِنَّ بها أُنَاسًا يعبدون الله فَاعْبُد الله معهم، ولَا تَرْجِع إلى أرْضِك، فَإِنَّهَا أَرْض سَوْء)(١).

ومثال آخر على الهجرة والعزلة ما جاء في قوله تعالى على لسان لوط: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦]، ويُسْتدل أيضًا بهجرة النّبي ﷺ وأصحابه مرّة إلى الحبشة، ومرّة أخرى إلى المدينة.

ولهذه العزلة ضوابط وشروط ينبغي الالتزام بها وإلّا أدّت إلى انحرافات لا تحمد عقباها.

المطلب الخامس: المكابرة والجدال العقيم.

١-المكابرة:

أ-المكابرة لغة:

قال الفيومي: "أنّها "الْمُغَالَبة. يُقَال: كَابَرْتُه مُكَابَرَة، غَالَبْتَه وَعَانَدْتَه"(٢)

ب-المكابرة اصطلاحًا:

عرفها الكفوي بأنّها "المنازعة في المسائل العلميّة مع عِلْمِ الْمُتَكَلِّم بفساد كلامِه وَصِحَّة كلام خصمه"(٣).

ويوجد فرق دقيق بين المكابرة والجدال العقيم يحدّثنا عنه صاحب الكلّيّات قائلًا: "

والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سَوَاء كان كلامُه في نَفسه فَاسِدًا أَو لا وَإِذا علم بِفساد كلامه وَصِحَّة كلام خَصمه فنازعه فهي المكابرة"(٤)

وقال علي بن زين الدين العابدين: "المكابرة: المنازعة في مسألة علمية لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم"(٥).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، ج٤، ص٢١١٨، ح٢٧٦٦.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج٢، ص٥٢٣، بدون طبعة، المكتبة العلمية -بيروت.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، ص٨٤٩، مؤسسة الرسالة-بيروت.

(٤) المرجع السابق، ص٨٤٩.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣١٢.

يرى الباحث أنّ المكابرة من أسوأ الأمراض التي يُبْتَلى بها الإنسان فهي حجاب كثيف يغطّي على العقل والقلب ويحجب الإنسان عن رؤية الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾[البقرة: ٢٠]. وهناك نوعيَّة من الناس رخيصة يجادلوا ليشوّشوا لا ليفهموا، يلاججوا ليغلبوا لا ليستمعوا فالمكابر والمعاند لا يقنعه دليل: قال تعالى:﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقال في موضع أخر ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ]﴾[الحجر: ١٤-١٥].

والمكابرة تعمل على إعاقة تزكية النّفس، وتمنع من اتّباع الحق، قال تعالى:﴿ ...وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا...﴾[الأنعام: ٢٥].

٢-الجدال العقيم.

أ-الجدال لغة:

مأخوذ من مادّة (ج د ل) الّتي تدلّ على استحكام الشّيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، نقول: جادله أي ناظره وخاصمه، والاسم من ذلك: الجدل، وهو شدّة الخصومة، وَجَدْلُ الحبل: إحكامُ فتلِه[(١)].

قال الراغب: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وكأنّ المتجادلين يفتل كلّ واحد الآخر عن رأيه، وأصله من جدلت الحبل، ومن ذلك جدلت البناء: أحكمته، والأجدل: الصّقر المحكم البنية، وقيل: الأصل في الجدال: الصّرع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصّلبة، والجدل: اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرّجل فجدلته جدلا أي غلبته. كما يأتي منه المصدر على جدال ومجادلة، ومعناه المناظرة والمخاصمة. والمجدل الجماعة من النّاس، لأنّ الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا[(٢)].

والجدال معناه أيضًا: المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، قال الفيّوميّ: هذا هو الأصل، ثمّ استعمل على لسان حملة الشّرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها. وهو محمود إذا كان للوقوف على الحقّ وإلّا فمذموم[(٣)].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ج١، ص٤٣٣

(٢) انظر: المفردات، للراغب، ص٨٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ج١، ص٥٧١.

يتبيّن للباحث من خلال تعريفات الجدل لغة، أنّه يطلق على معانٍ عدّة أهمّها:

١- الصرع والغلبة، تقول: جدل الرجل، أي صرعه، وغلبه في الجدل.

٢- الإتقان والحسن، تقول: جدل الحبل جدلا، أي أحكم فتله وأتقنه، وجارية مجدولة الخلق، أي حسنته.

٣- شدة الخصومة والمناقشة، تقول: جادله مجادلة وجدالا: ناقشه، وخاصمه.

٤- مقابلة الحجة بالحجة، تقول: جادل فلان فلانا: قابل حجته بحجة من عنده.

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا، فإن إتقان وحسن الخصومة والمناقشة ينتهي إلى الغلبة والفوز غالبا.

ب-الجدال اصطلاحًا:

قال الجرجاني: "الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، والجدال: عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها"(١)

وقال المناويّ: "هو مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها، وقيل: هو التّخاصم بما يشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب"(٢).

وقال الكفويّ: "هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجّة أو شبهة وهو لا يكون إلّا بمنازعة غيره، والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلميّة لإلزام الخصم سواء كان كلامه فاسدا أو لا"(٣).

يتبيّن للباحث من خلال تعريف الجدل اصطلاحًا، أنّه يقصد به إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، وغالبًا ما يكون في المسائل العلميّة.

ت- حكم الجدال:

الجدال قد يكون محمودا إذا تعلّق بإظهار الحقّ وقد أمر الله ﷻ رسوله محمّد ﷺ بذلك متمثّلًا في قوله تعالى: ﴿...وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[النحل:١٢٥].

---

(١) التعريفات، ص٧٤-٧٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، ص١٢٢.

(٣) الكلّيات، ص٨٤٩.

وقد يكون مذموما إذا شغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، قال تعالى: ﴿...وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[غافر:٥]، وهذا هو المقصود من قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو أمامة: (مَا ضَلَّ قَوْم بَعْد هُدًى كَانُوا عَلَيْه إِلَّا أُوتُوا الجَدَل)(١).

وقد عدّ الذّهبيّ هذا النّوع من الكبائر، وقال: "إن كان الجدال للوقوف على الحقّ وتقريره كان محمودا، وإن كان الجدال في مدافعة الحقّ، أو كان بغير علم كان مذموما، وعلى هذا التّفصيل تنزّل النّصوص الواردة في إباحته وذمّه"(٢).

يرى الباحث أنّ:

١-الجدال العقيم يفسد العبادة ويبعد عن الحق ويعوّق تزكية النّفس، قال تعالى على لسان قوم: ﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللهَّ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف:٧٠].

٢-الجدال لا بدّ أن يكون بالحسنى، قال تعالى:﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [العنكبوت:٤٦].

٣- الجدال في الله ﷻ بغير حق لا يجوز، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج:٨].

المطلب السادس: اتّباع هوى النّفس:

١-الهوى لغة:

قال ابن فارس: "الهاء والواو والياء: أصل صَحِيح يَدُلُّ على خُلُوٍّ وَسُقُوط. أَصْلُه الهواء بين الأرض والسّماء، سُمِّي لِخُلُوِّه. قالوا: وَكُلُّ خَال هَوَاء. قَال تَعَالَى: ﴿...وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣]، أَيْ: خَالِية لَا تَعِي شَيْئًا. وَيُقَال هَوَى الشَّيْء يَهْوِي: سَقَط. وَهَاوِيَة: جَهَنَّم؛ لِأَنَّ الْكَافِر يَهْوِي فِيهَا"(٣) .

---

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف، ج٥، ص٣٧٨، ح٣٢٥٣، قال الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، ج١، ص٦٣، ح١٨٠.

(٢) الكبائر، ص٢٢٢، بدون طبعة، دار الندوة الجديدة-بيروت.

(٣) مقاييس اللغة، ج٦، ص١٦.

وذهب الرّاغب إلى أنّه مأخوذ من معنى السّقوط فقط فقال:"وقيل سمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية وفى الآخرة إلى الهاوية"(١).

وقال ابن منظور: "وهوى النّفس: إرادتها، وقيل محبّة الإنسان الشّيء وغلبته على قلبه، قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى﴾[النازعات:٤٠] معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ، تَقُول: هَوِيَ، بِالْكَسْرِ، يَهْوَى هَوًى أَي أَحبَّ.وقيل الهوى: هوى الضّمير، ومتى تكلّم بالهوى مطلقا لم يكن إلّا مذموما، حتّى ينعت بما يخرج معناه عن الذّمّ كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصّواب"(٢).

يخلص الباحث من خلال تعريف الهوى لغة، أنّه يأتي بمعنى السّقوط، والخلاء، وإرادة الشّيء، ويأتي بمعنى الحب، ويكون في الغالب مذمومًا.

٢-الهوى اصطلاحًا:

قال الكفويّ: "الهوى: ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات من غير داعية الشّرع"(٣) .

وقال المناويّ: "وقيل: الهوى: نزوع النّفس لسفل شهواتها لباعث انبساطها ويكون ذلك في مقابلة معتلى الرّوح" (٤).

وقال الرّاغب: "هو ميل النّفس إلى الشّهوة"(٥) .

وقال ابن الجوزيّ: "ميل الطّبع إلى ما يلائمه"(٦).

يتبيّن للباحث من خلال تعريف الهوى اصطلاحًا أنّه إيثار ميل النّفس إلى الشّهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه، وانقياد الإنسان واتّباعه للشّهوة يجعله في مصافّ الحيوانات، ويجلب له الخزي في الدّنيا، والعذاب في الآخرة، فضلًا عن أنّه يقف سدّا منيعًا وعائقًا كبيرًا أمام تزكية نفسه.

---

(١) المفردات، ص٥٤٨.

(٢) لسان العرب، ج١٥، ص٣٧٢.

(٣) الكلّيّات، ص٩٦٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣٤٤.

(٥) المفردات، ص٥٨٤.

(٦) ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ص١٢، بدون طبعة.

يقول الجاحظ: إذا تمكّنت الشّهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم أشبه منه بالنّاس، لأنّ أغراضه ومطلوباته وهِمّته تصير أبدا مصروفة إلى الشّهوات واللّذّات فقط، وهذه هي عادة البهائم، ومن يكون بهذه الصّفة يقلّ حياؤه، ويكثر خرقه، ويُسْتَوْحَش من أهل الفضل، ويُبْغِضْ أهل العلم، ويودّ أصحاب الفجور، ويستحبّ الفواحش، ويُسَر بمعاشرة السّخفاء، ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو، وقد يصير من هذه الحالة إلى الفجور، وارتكاب الفواحش، والتّعرّض للمحظورات، وربّما دعته محبّة اللّذّات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها، ومُحِبّ اللّذّة إذا تعذّرت عليه الأموال من وجوهها، جسّرته شهوته إلى اكتسابها من غير وجوهها، ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحدّ، فهو أسوأ النّاس حالا، ويصبح من الأشرار الّذين يُخَاف خبثهم، ويصير واجبا على متولّي السّياسات تقويمهم وتأديبهم، وإبعادهم ونفيهم، حتّى لا يختلطوا بالنّاس(١).

٣-تزكية الأنفس من الهوى.

يرى الباحث أنّ الهوى يُرِي الإنسان ما لَهُ دون ما عليه، ويعمّي عليه ما يترتّب على ذلك من الأذى، لأنّه يريه الأمور بشهوة وميل، بخلاف العقل الذي يريه الأمور بحجة وبرهان.

ولكي يتخلّص الإنسان من تبعات الهوى فعليه بالمجاهدة في هجران ما يؤذي، والتّدرج في ذلك متسلّحًا بالصّبر وذلك من خلال الآتي:

١- التّفكّر والتّأمّل في أنّ الإنسان لم يخلق للهوى، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦].

٢- التّفكّر في عواقب الهوى، فكم فوّتَ من فضيلة، وأوقع في رذيلة، قال تعالى: ﴿ **...فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا...**﴾ [النساء:١٣٥].

٣- على العاقل أن يتفكّر في قِصَرِ الزّمن الذي يستغرقه في اشباع هواه، ثمّ يتصوّر مدى الأذى الذي يحصل عقب اللّذّة، فإنّه سيرى أنّ ما حصل له من الهوى أضعافًا مضاعفة.

٤- أن يتصوّر عاقبة ذلك في حق غيره وما يسبّبه له من الألم.

٥- التفكّر في فائدة مخالفة الهوى من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا، وسلامة النّفس وتزكيتها واكتساب الأجر في الآخرة، ثمّ يتفكّر لو وافق هواه ماذا ستكون النّتيجة.

---

(١) نضرة النّعيم، ج٩، ص٣٧٥٢.

المطلب السابع: حب الدنيا

حب الدنيا والاغترار بها واتخاذها لهواً من أكبر أسباب ضلال الإنسان وضياعه، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال في موضع آخر: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ ـ ٢١].

وحبّ الدنيا وتفضيلها على الآخرة من صفات الكافرين، قال تعالى:﴿... وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ...﴾ [إبراهيم: ٢ ـ ٣].

وقد حذّر الله ﷻ من مصاحبة أهل الدنيا والركون إليهم، قال تعالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

وقال الله ﷻ مسجّلاً على الكافرين بسبب غرورهم بالدنيا: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِّ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ [الجاثية: ٣٥].

وليس معنى ذلك أن نترك الدنيا للآخرين يعيثوا فيها فسادا، ويتحكّموا في رقاب المسلمين، بل يجب علينا أن نكون متوازنين في طلبنا للدنيا والآخرة لا إفراط ولا تفريط.

ويحدّثنا الدكتور وهبة الزّحيلي عن ذلك قائلًا: "الإسلام دين الاعتدال والاتزان والوسطية، فليس العمل في مجاله مقصورا على الدنيا، ولا مقصورا على الزهد والآخرة، وليس هو دين رهبنة وتقشف وإهمال للدنيا، ولا دين أخلاق وعبادة وعقيدة فحسب، وإنما هو دين شامل لمصالح الدنيا والآخرة، ويقترن فيه العمل والاعتقاد، والعبادة والاحتراف، والمادة والروح، قال تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِّ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]"(١).

يرى الباحث أنّ الإنسان المسلم ليس ممنوعًا عليه حبّ الدنيا ومظاهرها، ولكن الممنوع عليه المبالغة والإسراف فيها، والاقتصار عليها، حتى تطغى على الناحية الدينية، فيؤدّي ذلك إلى إهمال أمور الآخرة، ولذا وبّخ الله ﷻ الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعامِ وَالْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَاللهُّ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج١، ص١٧٨، ط١، ١٤٢٢ هـ دار الفكر–دمشق.

يقول الدّكتور وهبة الزّحيلي في تفسير هذه الآية: "قد زيّن الله حب الدنيا للناس وغرس حبها في قلوبهم حتى صار غريزة عندهم، وذلك من أجل تعمير الدنيا وتقدمها، فلو لم يحبها الناس لأهملوها وقصّروا في بناء معالمها، وشهوات الدنيا كثيرة تشتمل على حب النساء والأبناء وتكديس الأموال، وجمع الخيول المسومة، واقتناء الأنعام وزرع الحبوب وإعداد البساتين، وذلك كله متاع الحياة أي ما يستمتع به وينتفع به لمدة معلومة محصورة، وتُذَم هذه الأشياء إن كانت سببا للشر والبعد عن الله، وعند ذلك تكون خطرا على صاحبها، أما إن كانت سببا في الخير، ولم تمنع صاحبها من القيام بواجباته الدينية والخيرية والإنسانية، فتكون خيرا له، وعند الله حسن المرجع والمآب"(١).

وقد نَبّه القرآن الكريم إلى ما هو خير من الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾ [آل عمران:١٥].

ويرى الباحث أنّ:

١- محبّة الدنيا تقف عائقًا بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة، لأنّ محبّتها تعيق تزكية نفسه وتصفيتها من الأدران.

٢-ومحبّتها تجعلها أكبر همّ العبد، فيلهث وراءها وينفق وقته كلّه للحصول عليها وينسى حظّه من الآخرة، فلا يناله منها إلّا ما قدّر الله له ويكون عند الله مذموما، وهذا مصداق قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أنس ابن مالك: (من كانت الآخِرَة هَمَّه جعل اللَّه غِنَاه في قلبه وجمع له شَمْلَه، وَأَتَتْه الدُّنْيَا وهي رَاغِمَة، ومن كَانَت الدُّنْيَا هَمَّه جَعَل اللَّه فَقْرَه بين عَيْنَيْه، وَفَرَّق عليه شَمْلَه، ولم يَأْتِه من الدُّنْيَا إِلَّا ما قُدِّر له)(٢).

٣-وعاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أَسْفَهِ الخلق وأقلّهم عقلًا، لأنّه آثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والدّار الفانية على الدار الباقية، فأدّى ذلك إلى قسوة في قلبه، وحاجزٍ كثيفٍ على نفسه منع من تزكيتها والسّمو بها.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، ج١، ص١٧٩.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص٦٤٢، ح٢٤٦٥ قال الألباني: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ج٣، ص١٢٧، ح٣١٦٩.

المطلب الثامن: تزيين الشيطان.

لقد حذّرَنا الله من الشيطان في آيات كثيرة، ومواضع متعدّدة من كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر:٦]، وقال في موضع ثانٍ:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[يس:٦٠].

وأخبرنا الله ﷻ بأنّ الشيطان يرانا حيث لا نراه فقال: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]. وأمرنا سبحانه أن نأخذ حذرنا منه، وأن ننتبه لمكره وكيده وتلبيسه على بني آدم وتزيينه الكفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ...﴾ [المائدة:٩١].

طرق كيد الشيطان:

وقد تنوعت طرق الشّيطان في إغواء البشر فهو:

١- يقعد بكل صراط يصد عن سبيل الله من آمن، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النّساء:١٢٠]، وهذا مصداق قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه سَبْرة بن أبي فاكه:(إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك فعصاه فأسلم، ثم قعد له في طريق الهجرة فقال له: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، فعصاه فهاجر، ثم قعد له في طريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل وتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة)(١).

٢- يزين الفعل الضار للإنسان حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفّره من الفعل الذي هو أنفع الأمور حتى يخيل إليه أنّه يضره، قال تعالى: ﴿...فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾ [النّحل:٦٣].

٣- يزيّن للمشركين عبادة الأوثان وقطيعة الأرحام ووأد البنات، وقد تمثّل ذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم وهو يخاطب والده قائلًا: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:٤٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكّيين، باب حديث سَبْرَة بن أبي فاكه، ح١٥٣٩٢، قال الألباني: صـــحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٦، ص١١٨٦، ح٢٩٧٩.

٤- يزيّن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس وحسن الخلق معهم، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿...عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾ [المائدة:١٠٥]، فهو يقول للمسلم إذا أراد أن يتحرك: عليك نفسك لا تتحرك، هذا هو الدليل فينصرف كثير من الناس عن الحق بسبب هذا التزيين ويقعون في الباطل، وهذا التزيين يقف عائقًا كبيرًا وسدّا منيعًا أمام تزكية النّفس والارتقاء بها.

٥-ومن كيده أنّه يزيّن الغناء للإنسان ويحسّنه له، وقد ذكر ابن القيّم في ذلك كلامًا جميلًا هذا مفاده: الغناء قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسّنه لها مكراً منه وغرورا، وأوحى عليها الشّبَه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فتمايلوا له كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب من استماع سور القرآن، ولو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما تحرك له ساكن، حتى إذا تُلِي عليه قرآن الشيطان وولج مزموره سمعه تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت(١).

٦-ومن كيده أنّه يزيّن للإنسان التفريط أو الإفراط في أوامر الله، فيتحسّس نفس الإنسان ليعلم إلى أيِّ الأمرين هو أقرب إلى الإقدام أو الإحجام، فبعض النفوس مقدمة وبعض النفوس محجمة، فإذا رأى الغالب على النفس الإحجام زاد في تثبيطها وتخذيلها وإضعاف همتها، وإذا رأى النفس تريد الإقدام وتحب المضي، أوهم صاحبها أنّ ما يفعله قليل لا يكفيه وأنه يحتاج إلى الزيادة، فحينها يقع العبد في البدعة فيهلك.

٧-قال ابن القيم متحدّثًا عن كيد الشيطان في هذا الأمر" وقصّر بقوم في حق الأنبياء والصالحين حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين في مسألة الأنبياء والصالحين حتى عبدوهم.

وقصّر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم بالكلية وعدم الالتفات إليها قاطبة، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما أحله هؤلاء الرجال، والحرام ما حرموه فقدموا أقوال متبوعيهم على أدلة القرآن والسنة، وقصّر بقوم حتى قالوا: إن إيمان أفسق الناس كإيمان جبريل وميكائيل وهم المرجئة، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة مثل الخوارج، وقصّر بقوم

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج١، ص٢٢٤.

حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته وعطلوها، وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوه بهم"(١).

ويرى الباحث أنّ الشيطان إذا رأى الإنسان يريد الإحجام ويميل إلى الدعة والكسل ثبَّطه فوقع في التقصير وترك الواجبات وفعل المحرمات، وإذا رأى إنساناً يحب الإقدام ويحب العمل دفعه إلى الزيادة ولكن في مجالات بدعية، حتى أوقعه في الغلوِّ ومجاوزة الحد فوقع في محرمات عظيمة من جهة أنّه ظن أنّ فعل النبي ﷺ لا يكفيه ولا بد من الزيادة عليه.

٨-ومن كيده تسمية المحرمات بأسماء أخرى، مثل ما حدث مع آدم وحوّاء في الجنة حيث سمّى لهم الشجرة التي نهاهم الله عنها شجرة الخلد: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه:١٢٠]، فغيَّر له اسم الشجرة، فكان هذا من الدواعي إلى وقوع آدم في المعصية، وهذا ما يحدث اليوم في كثير من الأمور، فمثلًا تُسمّى الخمر أم الأفراح والمشروبات الروحية، وتسمّى معاملات الرّبا فوائد واستثمارات، ويسمّى الغناء والرقص فنّا، وتسمّى الرشاوي أتعاباً، وهكذا.

٩-ومن كيده التسويف، ووضع العوائق والعراقيل في طريق الإنسان فيعيق تزكية نفسه ويمنع تنقيتها من الشّوائب.

---

(١) إغاثة اللهفان، ج١، ص١١٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ خاتم النبوات والرسالات، وعلى ألِه وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنني أحمد الله تعالى الذي أعانني على كتابة هذا البحث، والوصول إلى خاتمته وأشكره سبحانه وتعالى أن هداني ووفقني للكتابة في هذا الموضوع.

وأسأل الله العلي العظيم أن يتقبّله مني ويجعله من خالص عملي، وأن يجعل فيه الخير والسعادة لي ولطلبة العلم في الدارين الدنيا والآخرة.

وقد توصّل الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات وهي كما يلي:

أولا: أهم النتائج:

١-التزكية هي تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان.

٢-بالتأمُّل في آيات القرآن الكريم يرى الباحث أنّ لفظة النفس تعدّدت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها حيث جاءت بمعنى الروح، وبمعنى الإنسان كله روحا وجسدا، وبمعنى القوى المفكرة في الإنسان، وبمعنى القلب، وبمعنى قوى الخير والشر في الإنسان.

٣-النفس المطمئنة واللوامة والأمارة هي صفات للنفس البشرية وليست أقسام لها.

٤-النفس المطمئنة هي أعلى درجات النفس؛ لأنها اطمأنت بإقامتها على طاعة الله فسلمت بوعده ورضيت بقضائه وتوكلت عليه.

٥- التقوى تأتي بمعاني عديدة حسب موقعها في السياق، فتارة تأتي بمعنى الخوف والخشية، وتارة تأتي بمعني العبادة، وتارة تأتي بمعنى ترك المعصية، وتارة بمعنى التوحيد.

٦-التقوى أمر نفسي يستشعره الإنسان ويعيش معه فلا يرى نفسه خيرا من أحد، حيث يعمل بطاعة الله على نور من الله راجيا ثوابه خائفا عقابه.

٧-هناك تلازم وارتباط، فبتزكية النفس وتطهيرها من الأدران نتحصّل على التقوى، إذا فالتزكية مقدمة ضرورية وهامة للوصول إلى التقوى.

٨-العبادات كلها- مالية أو بدنية- ما هي إلّا عمليات تزكية؛ لأنها تربط القلب بالخالق وتذكِّره به، ولذلك تحصُل التقوى بالقلب.

٩-التوحيد هو أصل كل زكاة ونماء، ويرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق العباد، ويؤدي إلى معرفة الله، ويؤدي إلى حصول اليقين، ويعمل على قطع الطمع عن الدنيا ويؤدي إلى التجرد للآخرة.

١٠-صدقة السرّ وسيلة من وسائل تزكية النفس وهي أعظم أجرا من صدقة العلن لما فيها من بعد عن الرياء فيكون تأثيرها في تزكية النفس عظيمة.

١١-الإنفاق في سبيل الله وسيلة عظيمة لعلاج أمراض النفوس وتطهيرها وتزكيتها من آفاتها وأمراضها.

١٢-الجهاد له علاقة وطيدة بتزكية النفس حيث انه يعمل على تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس.

١٣-من قرأ القرآن بارك الله له في عمره وولده ورزقه وفي ذلك تزكية له، ومن أعرض عنه محق الله مهابته، وأزال هيبته.

١٤-العدل يورث محبة الله، ويؤدي إلى دخول صاحبه في ظل الله في الآخرة، ويؤدي إلى علوّ المنزلة عند الله ﷻ .

١٥-مراقبة الله ﷻ في السر والعلن لها أثر كبير في تزكية النفس والسمو بها.

١٦-الإخلاص ركن عظيم من أركان تزكية النفس، فهو الأساس في قبول الأعمال والأقوال، والأساس في قبول الدعاء، يرفع منزلة الإنسان في الدنيا والآخرة فتزكو نفسه وترتقي.

١٧-العلم ركن هام من أركان تزكية النفوس لأنّه تِركة الأنبياء وتراثهم، وهو حياة القلوب، وشفاء الصدور، ورياض العقول، والعلم النافع له ثمرات عظيمة لما يغرس في نفس صاحبه من تقوى الله والخشية منه.

١٨-الرضا بالله له دور بارز في تزكية النفس ويثمر الشكر الذي هو أعلى مقامات الإيمان.

١٩-يجب أن يكون الهدف الرئيسي من تزكية النفس هو اكتساب رضا الله؛ لأن من أرضى الله رضي الله عنه وأرضى عنه الناس.

٢٠-لين الكلمة وسهولة الأسلوب وحسن التعامل وعدم مقابلة الأذى بمثله يفعل فعله بالنفس البشرية، ويعمل على تزكيته.

٢١-الذي لا ينصاع للحق يُحْرَم من الاتِّعاظ والانتفاع بآيات الله.

٢٢-العادات والتقاليد السلبية لها أثر مدمر في شخصية ونفسية الفرد، وتمثّل عائقا كبيرا في تزكية النفس والسمو بها.

ثانيا: التوصيات:

١-ضرورة مواصلة البحث في موضوعات القرآن التي هي نبع فياض لا ينتهي بخيره وعطائه المتواصل.

٢-الاهتمام بدراسة القضايا التي تعالج قضايا مشكلات الأمة، وإيجاد حلولٍ لها من خلال القرآن الكريم.

٣-لابد من الاهتمام في تزكية النفوس لما لها من أثر فعال في بناء المجتمع وحمايته من التفكك والانهيار.

٤- ضرورة اختيار موضوعات بحثية قرآنية تتناسب مع أحداث الواقع ومجريات العصر.

٥-إخلاص النية لله وإخلاص التواصل مع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وختاما فهذا جهد متواضع بذلت فيه وسعي وطاقتي وحاولت أن أتجنب الخطأ والزلل مع إيماني ويقيني بأن الكمال لله رب العالمين، فما كان فيه من توفيق وصواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس العامّة

أولًا: فهرس الآيات القرآنيّة.

ثانيًا: فهرس الأحاديث النّبويّة.

ثالثًا: فهرس الأعلام.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

خامسًا: فهرس الموضوعات.

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة				
١.	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾	البقرة	٣	٤١، ٥٥
٢.	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ...﴾	البقرة	٤	١١٦
٣.	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا ...﴾	البقرة	١٠	١١٢، ١١٣
٤.	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾	البقرة	٤٣	٤٢، ٤٩، ٥١
٥.	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ...﴾	البقرة	٤٤	١٣٥
٦.	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ ...﴾	البقرة	٤٨	٢٥، ٨٦
٧.	﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ...﴾	البقرة	١٠٢	٧٨
٨.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ ...﴾	البقرة	١٢١	٧٧
٩.	﴿...وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ...﴾	البقرة	١٢٣	٨٥
١٠.	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ...﴾	البقرة	١٢٥	٥٨
١١.	﴿...وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾	البقرة	١٢٩	ج، ١٣٤
١٢.	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾	البقرة	١٤٣	٨٦
١٣.	﴿... وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ...﴾	البقرة	١٤٣	١٢٧
١٤.	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ...﴾	البقرة	١٥١	ج، ٦، ١٠، ١٥٧
١٥.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ...﴾	البقرة	١٥٣	٤٧، ١٧١
١٦.	﴿...وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ...﴾	البقرة	١٧٤	٦
١٧.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ...﴾	البقرة	١٨٣	١٧٢
١٨.	﴿... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ...﴾	البقرة	١٨٤	١١٢
١٩.	﴿...وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ ...﴾	البقرة	١٨٩	٢٢
٢٠.	﴿...فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى...﴾	البقرة	١٩٦	١١٣
٢١.	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ...﴾	البقرة	٢٠٧	١٥٢

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية	مسلسل
٥٦	٢١٥	البقرة	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ ...﴾	٢٢.
٧٥	٢٢٢	البقرة	﴿... وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ..﴾	٢٣.
٤٢، ١١٦، ١٧١	٢٣٨	البقرة	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ ...﴾	٢٤.
٥٣، ٥٥	٢٤٥	البقرة	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ...﴾	٢٥.
٥٢، ٥٥، ٥٧	٢٦٢	البقرة	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾	٢٦.
٥٢، ٩٣	٢٦٤	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ...﴾	٢٧.
٥٧	٢٦٥	البقرة	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ ...﴾	٢٨.
١٠٥، ١٠٨، ١٠٩	٢٦٨	البقرة	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ ...﴾	٢٩.
٥٧	٢٧١	البقرة	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ...﴾	٣٠.
٢٥	٢٨١	البقرة	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ...﴾	٣١.
			سورة آل عمران	
١٠٣	١٤	آل عمران	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾	٣٢.
٢١٠	١٥	آل عمران	﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ...﴾	٣٣.
١٢٧، ١٢٩، ١٣٠	٣١	آل عمران	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾	٣٤.
١٦٨	٣٩	آل عمران	﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي...﴾	٣٥.
١٦٨	٤٩	آل عمران	﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾	٣٦.
١٦٩	٥٥	آل عمران	﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ...﴾	٣٧.
١٤٥	٦٠	آل عمران	﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	٣٨.
١٤٥	٦٢	آل عمران	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ...﴾	٣٩.
٥٨، ١٧٢	٩٧	آل عمران	﴿... وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ...﴾	٤٠.
٦٦، ١٠١، ١٤٣	١٠٤	آل عمران	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ...﴾	٤١.
١٣٠	١٣٢	آل عمران	﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٤٢.

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٣.	﴿...وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ ...﴾	آل عمران	١٣٤	٥٥، ١٨٨
٤٤.	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ...﴾	آل عمران	١٥٩	١٧٠، ١٧١
٤٥.	﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ...﴾	آل عمران	١٧٤	١٤٠
٤٦.	﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ...﴾	آل عمران	١٨٥	١٥٤
	سورة النساء			
٤٧.	﴿وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ...﴾	النساء	٣٦	١٤٨
٤٨.	﴿واعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾	النساء	٣٦	١٧٣
٤٩.	﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا ..﴾	النساء	٦٠	١٦
٥٠.	﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ...﴾	النساء	٦٩	٨٤
٥١.	﴿وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ...﴾	النساء	٩٥	٦٥
٥٢.	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ..﴾	النساء	٩٧	٢٠٢
٥٣.	﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ...﴾	النساء	١٠٣	٤٢
٥٤.	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ...﴾	النساء	١١٤	١٤٣
٥٥.	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾	النساء	١١٦	١٥١
٥٦.	﴿لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ...﴾	النساء	١١٨	١٠٥
٥٧.	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ...﴾	النساء	١١٩	١٠٥، ١١١
٥٨.	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ..﴾	النساء	١٢٠	١٠٤، ١٠٥، ٢١١
٥٩.	﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ...﴾	النساء	١٢٨	١١٦
٦٠.	﴿فَلا تَتَّبِعُوا الهَوى أَنْ تَعْدِلُوا...﴾	النساء	١٣٥	٢٠٨
٦١.	﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ...﴾	النساء	١٣٩	٦٩
٦٢.	﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ...﴾	النساء	١٤٦	١٢٠، ١٢١
٦٣.	﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ...﴾	النساء	١٥٧	١٦٩
٦٤.	﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾	النساء	١٧١	١٠٦

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة المائدة				
٦٥.	﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾	المائدة	٢	١٣٧
٦٦.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى...﴾	المائدة	٦	٧٠، ٧٣، ١٧١
٦٧.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله...﴾	المائدة	٨	١٧٣
٦٨.	﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾	المائدة	٩	١٥١
٦٩.	﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾	المائدة	٣٥	٦٦
٧٠.	﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا...﴾	المائدة	٧٢	١٦٨
٧١.	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾	المائدة	٧٧	١٦٨
٧٢.	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ...﴾	المائدة	٩١	٢١١
٧٣.	﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾	المائدة	١٠٥	٢١٢
٧٤.	﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا...﴾	المائدة	١١٦	٨٤
٧٥.	﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ..﴾	المائدة	١١٩	٨٤
٧٦.	﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾	المائدة	١١٩	٨٤، ٨٥
٧٧.	﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ..﴾	المائدة	١١٩	٨٤، ٨٥
سورة المائدة				
٧٨.	﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ...﴾	الأعراف	١٢	١٩٣
٧٩.	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾	الأعراف	١٧	١٠٤
٨٠.	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ...﴾	الأعراف	٢٣	٨١
٨١.	﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ...﴾	الأعراف	٢٧	٢١١
٨٢.	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ...﴾	الأعراف	٣٢	٢٠٩
٨٣.	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا...﴾	الأعراف	٥٩	٣٤
٨٤.	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا...﴾	الأعراف	٦٠	١٥٧
٨٥.	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ...﴾	الأعراف	٦١	١٥٧

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية	مسلسل
٣٤، ١٧٨	٦٥	الأعراف	﴿...اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا ...﴾	٨٦.
١٨٠	٦٦	الأعراف	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ...﴾	٨٧.
١٧٩، ١٨٠	٦٧	الأعراف	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ...﴾	٨٨.
١٧٩	٦٩	الأعراف	﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً...﴾	٨٩.
١٨٢	٦٩	الأعراف	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ...﴾	٩٠.
٢٠٦	٧٠	الأعراف	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ...﴾	٩١.
١٨٢	٧٤	الأعراف	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ ...﴾	٩٢.
١٨٣	٨٠	الأعراف	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ...﴾	٩٣.
١٨٤، ١٨٥	٨٥	الأعراف	﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾	٩٤.
١٨٤، ١٨٥	٨٦	الأعراف	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا...﴾	٩٥.
١٨٥	٨٦	الأعراف	﴿...وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا...﴾	٩٦.
١٨٤، ١٨٥	٨٦	الأعراف	﴿إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ...﴾	٩٧.
١٩٦	١٤٦	الأعراف	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...﴾	٩٨.
٤٩	١٩٩	الأعراف	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ...﴾	٩٩.
١١٠	٢٠٠	الأعراف	﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ...﴾	١٠٠.
٩	٢٠٥	الأعراف	﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا...﴾	١٠١.
		سورة الأنفال		
٢٠٠	٢	الأنفال	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ...﴾	١٠٢.
٧٣	١١	الأنفال	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ...﴾	١٠٣.
٧٣	١١	الأنفال	﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾	١٠٤.
٥٣	٢٨	الأنفال	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾	١٠٥.
٢٧، ١٥١	٢٩	الأنفال	﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾	١٠٦.
١٥١	٢٩	الأنفال	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ...﴾	١٠٧.

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٨.	﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ...﴾	الأنفال	٣٢	١٩٢
١٠٩.	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ...﴾	الأنفال	٣٨	١٥١
١١٠.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ...﴾	الأنفال	٦٤	١٣١
١١١.	﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ...﴾	الأنفال	٧٥	١٤٧
سورة التوبة				
١١٢.	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا...﴾	التوبة	١١	٥١
١١٣.	﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾	التوبة	٣٤	٤٩
١١٤.	﴿ويتّخِذ ما ينفق قُرُبات عندَ اللهّ...﴾	التوبة	٩٩	٤١
١١٥.	﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ...﴾	التوبة	١٠٠	١٢٩
١١٦.	﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ...﴾	التوبة	١٠٠	١٢٩
١١٧.	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ...﴾	التوبة	١٠٣	٣، ٦، ٤١، ٤٩، ٥٧، ١٧٢
١١٨.	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ...﴾	التوبة	١٠٩	٢٠١
١١٩.	﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ...﴾	التوبة	١١١	٥٣، ٦٨
١٢٠.	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ...﴾	التوبة	١١٤	١٦١
١٢١.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا...﴾	التوبة	١١٩	١٧٥
١٢٢.	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...﴾	التوبة	١٢٢	٢٠٢
١٢٣.	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾	التوبة	١٢٥	١١٣، ١١٤
سورة يونس				
١٢٤.	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	يونس	٢٢	٣٥
١٢٥.	﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾	يونس	٢٢	٣٥، ١٢١
١٢٦.	﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى﴾	يونس	٣٥	١٢٦
١٢٧.	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...﴾	يونس	٧١	١٦٠

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٢٨.	﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾	يونس	١٠٥	١٠٦
	سورة هود			
١٢٩.	﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ...﴾	هود	٣١	١٥٧
١٣٠.	﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾	هود	٥١	١٨٠
١٣١.	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا...﴾	هود	٥٢	١٨٠
١٣٢.	﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ...﴾	هود	٥٣	١٧٩
١٣٣.	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا...﴾	هود	٦١	١٨١، ١٨٢
١٣٤.	﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي...﴾	هود	٦١	١٨٢
١٣٥.	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى...﴾	هود	٦٣	١٨٢
١٣٦.	﴿...نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً...﴾	هود	٧٠	١٠٠
١٣٧.	﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ...﴾	هود	٧٨	١٨٤
١٣٨.	﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي...﴾	هود	٨٤	١٨٥
١٣٩.	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ...﴾	هود	٨٧	٤١
١٤٠.	﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا...﴾	هود	٨٨	٦٧
١٤١.	:﴿...وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا...﴾	هود	٩١	١٨٤
١٤٢.	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا...﴾	هود	١١٤	٤٧
١٤٣.	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ...﴾	هود	١١٦	١٠٢
	سورة يوسف			
١٤٤.	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا...﴾	يوسف	١٨	١٥
١٤٥.	﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ...﴾	يوسف	٣٩	١٨٨، ٢٠١
١٤٦.	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ...﴾	يوسف	٥٣	١٤، ١٥
١٤٧.	﴿...وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	يوسف	٧٦	١٩٨
١٤٨.	﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا...﴾	يوسف	٧٧	٩

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٤٩.	﴿...لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ...﴾	يوسف	٩٢	١٨٨
١٥٠.	﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ...﴾	يوسف	٩٢	١٨٨
سورة الرعد				
١٥١.	﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ...﴾	الرعد	٢١	١٧٣
١٥٢.	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ...﴾	الرعد	٢٢	٥٥
١٥٣.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ...﴾	الرعد	٢٨	١٤، ١٩، ٨١، ١١٠، ١١٥
١٥٤.	﴿...وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾	الرعد	٣٤	٢١
سورة إبراهيم				
١٥٥.	﴿...وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	إبراهيم	٢	٢٠٩
١٥٦.	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾	إبراهيم	٧	٥٣
١٥٧.	﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	إبراهيم	١٥	١٩٦
١٥٨.	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ...﴾	إبراهيم	٢٢	٨٤
١٥٩.	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً...﴾	إبراهيم	٢٤	٣٦
١٦٠.	﴿...وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾	إبراهيم	٤٣	٢٠٦
سورة الحجر				
١٦١.	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر	٩	٨٠، ١٦٩
١٦٢.	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ...﴾	الحجر	١٤	٢٠٤
١٦٣.	﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	الحجر	٤٠	١٢١
١٦٤.	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	الحجر	٤٥	٢٧
سورة النحل				
١٦٥.	﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ ...﴾	النحل	٢	٢٢، ٣٤
١٦٦.	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ...﴾	النحل	١٨	٩٤

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٦٧.	﴿...إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾	النحل	٢٣	١٩٦
١٦٨.	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا...﴾	النحل	٣٦	١٥٩
١٦٩.	﴿...أم يدسّهُ في الترّاب...﴾	النحل	٥٩	٥
١٧٠.	﴿...فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾	النحل	٦٣	٢١١
١٧١.	﴿...مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا...﴾	النحل	٦٦	١١٩
١٧٢.	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾	النحل	٨٠	١٧١
١٧٣.	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ...﴾	النحل	٩٠	٨٦
١٧٤.	﴿...وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ...﴾	النحل	٩٦	١٧٥
١٧٥.	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ...﴾	النحل	١٢٥	١٧٠
١٧٦.	﴿...وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	النحل	١٢٥	٢٠٥
سورة الإسراء				
١٧٧.	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ...﴾	الإسراء	٧	١٧٤
١٧٨.	﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ...﴾	الإسراء	١٤	٩١
١٧٩.	﴿...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا﴾	الإسراء	٢٣	١٤٩، ١٧٣
١٨٠.	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾	الإسراء	٢٣	١٧٣
١٨١.	﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ...﴾	الإسراء	٢٤	١٤٩
١٨٢.	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ...﴾	الإسراء	٣٦	٩٣
١٨٣.	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ...﴾	الإسراء	٥٣	١٤٣
١٨٤.	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ...﴾	الإسراء	٧٤	١٥
١٨٥.	﴿...وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	الإسراء	٨٥	١٩٨
١٨٦.	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ...﴾	الإسراء	٩٠	١٩٢
١٨٧.	﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ...﴾	الإسراء	١٠٠	٥٤، ٥٥
١٨٨.	﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا...﴾	الإسراء	١١٠	٤١

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الكهف				
١٨٩.	﴿...فلينظر أَيّهَا أزكى طَعامًا...﴾	الكهف	١٩	٦
١٩٠.	﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ...﴾	الكهف	٢٤	٣٢
١٩١.	﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ...﴾	الكهف	٤٩	٩٢
١٩٢.	﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ...﴾	الكهف	٧٠	١٢٧
١٩٣.	﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾	الكهف	٨٥	١٢٤، ١٢٧
١٩٤.	﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ...﴾	الكهف	١١٠	١٢١
سورة مريم				
١٩٥.	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾	مريم	١٢	٧٨
١٩٦.	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ...﴾	مريم	٣١	٤٢، ١٦٨
١٩٧.	﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا ...﴾	مريم	٣٦	١٦٧
١٩٨.	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ...﴾	مريم	٤١	١٦١، ١٧٥
١٩٩.	﴿...لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا...﴾	مريم	٤٢	١٦٣
٢٠٠.	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ...﴾	مريم	٤٦	١٦١
٢٠١.	﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي...﴾	مريم	٤٧	١٦١
٢٠٢.	﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ...﴾	مريم	٤٨	٧٥
٢٠٣.	﴿...إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا...﴾	مريم	٥٨	٤٦
٢٠٤.	﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...﴾	مريم	٧٦	٩٦
سورة طه				
٢٠٥.	﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾	طه	٥٦	١٩٢
٢٠٦.	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ...﴾	طه	٧٥	١١
٢٠٧.	﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾	طه	٩٣	١٦٤
٢٠٨.	﴿...وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾	طه	٩٤	٨٧

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٠٩.	﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا...﴾	طه	٩٤	١٦٤
٢١٠.	﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾	طه	٩٦	١٥
٢١١.	﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ...﴾	طه	١٠٨	١٢٧
٢١٢.	﴿...وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	طه	١١٤	١٣٥
٢١٣.	﴿...قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ...﴾	طه	١٢٠	٢١٣
٢١٤.	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً...﴾	طه	١٢٤	٨١
سورة الأنبياء				
٢١٥.	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا...﴾	الأنبياء	٢٢	٣٥
٢١٦.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ...﴾	الأنبياء	٢٥	٣٤
سورة الحج				
٢١٧.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ...﴾	الحج	١	٢٢
٢١٨.	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ ...﴾	الحج	٨	٢٠٦
٢١٩.	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا...﴾	الحج	٢٧	٦١
٢٢٠.	﴿...فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا..﴾	الحج	٣٠	٣٦
٢٢١.	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا...﴾	الحج	٣٢	٢٢، ٥٩
٢٢٢.	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا...﴾	الحج	٣٤	٤٤
٢٢٣.	﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...﴾	الحج	٤٠	٤١
٢٢٤.	﴿...وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ...﴾	الحج	٤٠	٤١، ١٠٢
٢٢٥.	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا...﴾	الحج	٤١	٥١
٢٢٦.	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾	الحج	٧٨	٩٦
سورة المؤمنون				
٢٢٧.	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	المؤمنون	١	٤٥
٢٢٨.	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾	المؤمنون	٤	١٧٢

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية	مسلسل
٣٥	٩١	المؤمنون	﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ...﴾	٢٢٩.
١١٠	٩٧	المؤمنون	﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾	٢٣٠.
٢٠٩	١١٥	المؤمنون	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ...﴾	٢٣١.
سورة النور				
١٩٣	١١	النور	﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾	٢٣٢.
١٥	٢١	النور	﴿...وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا...﴾	٢٣٣.
٥٣	٣٣	النور	﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا...﴾	٢٣٤.
٣٧	٣٩	النور	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ...﴾	٢٣٥.
١١٢	٦١	النور	﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا﴾	٢٣٦.
سورة الفرقان				
١٢٥	١	الفرقان	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى...﴾	٢٣٧.
٧٩	٣٠	الفرقان	﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا﴾	٢٣٨.
٦٥	٥٢	الفرقان	﴿...وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾	٢٣٩.
سورة الشعراء				
١٢	٨٨	الشعراء	﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾	٢٤٠.
١٥٨	١٠٥	الشعراء	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	٢٤١.
١٥٩، ١٨٢، ١٨٤	١٠٩	الشعراء	﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا...﴾	٢٤٢.
١٧٨	١٢٨	الشعراء	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾	٢٤٣.
١٧٨	١٣٢	الشعراء	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾	٢٤٤.
١٨٥	١٧٧	الشعراء	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	٢٤٥.
١٨٥	١٨٤	الشعراء	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ﴾	٢٤٦.
١٩٥	٢١٥	الشعراء	﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٤٧.

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة النمل				
٢٤٨.	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾	النمل	١٤	٩
٢٤٩.	﴿...وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُود...﴾	النمل	١٦	١٨٦
٢٥٠.	﴿...وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ...﴾	النمل	١٦	١٨٦
٢٥١.	﴿...وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ..﴾	النمل	١٩	١٨٦، ١٨٧
٢٥٢.	﴿...أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ...﴾	النمل	٣٦	١٨٧
٢٥٣.	﴿..قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ...﴾	النمل	٤٤	١٨٦
٢٥٤.	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ...﴾	النمل	٤٦	١٨٢
٢٥٥.	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ...﴾	النمل	٥٤	١٨٣
سورة القصص				
٢٥٦.	﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ...﴾	القصص	٣	٧٨
٢٥٧.	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾	القصص	١٦	١٦٥
٢٥٨.	﴿...قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	القصص	٢١	١٦٥
٢٥٩.	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ...﴾	القصص	٢٠	١٦٥
٢٦٠.	﴿... رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	القصص	٢٤	١٦٦
٢٦١.	﴿... قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	القصص	٢٥	١٦٦
٢٦٢.	﴿...أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ...﴾	القصص	٢٥	١٦٦
٢٦٣.	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...﴾	القصص	٧٨	١٨٧
٢٦٤.	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ...﴾	القصص	٨٣	١٩٣
سورة العنكبوت				
٢٦٥.	﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ ...﴾	العنكبوت	٦	٦٩
٢٦٦.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ...﴾	العنكبوت	١٤	١٥٨، ١٦٠
٢٦٧.	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ ...﴾	العنكبوت	١٦	١٦١

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٦٨.	﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن...﴾	العنكبوت	١٨	١٦٣، ١٦٤
٢٦٩.	﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ...﴾	العنكبوت	٢٦	٢٠٣
٢٧٠.	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ...﴾	العنكبوت	٢٨	١٨٣
٢٧١.	﴿... فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا ...﴾	العنكبوت	٣٦	١٨٥
٢٧٢.	﴿...وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾	العنكبوت	٣٨	١٨١
٢٧٣.	﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ...﴾	العنكبوت	٤٥	٢٩، ٤٤
٢٧٤.	﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ ...﴾	العنكبوت	٤٥	٢٩، ٤٤، ٤٧، ١٧١
٢٧٥.	﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي...﴾	العنكبوت	٤٦	٢٠٦
٢٧٦.	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ...﴾	العنكبوت	٦٩	١٢، ٦٥، ٦٩، ٩٦، ٩٨
	سورة الروم			
٢٧٧.	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ...﴾	الروم	٤٢	١٧٠
	سورة لقمان			
٢٧٨.	﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾	لقمان	١٥	٩٩
٢٧٩.	﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ...﴾	لقمان	١٧	١٠١، ١٠٢
٢٨٠.	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا...﴾	لقمان	٢١	١٩٨
٢٨١.	﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ ...﴾	لقمان	٢٨	٩
٢٨٢.	﴿...مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾	لقمان	٣٢	١٢٠
	سورة الأحزاب			
٢٨٣.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ ...﴾	الأحزاب	١	٢١
٢٨٤.	﴿... وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى ...﴾	الأحزاب	٦	١٧٣
٢٨٥.	﴿...فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي...﴾	الأحزاب	٣٢	١١٣
٢٨٦.	﴿ ...وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ...﴾	الأحزاب	٣٥	٨٠

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٨٧.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	الأحزاب	٤١	٨٠
٢٨٨.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ...﴾	الأحزاب	٥٠	١٢٦
٢٨٩.	﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ ...﴾	الأحزاب	٥٢	١٢٧
٢٩٠.	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ ...﴾	الأحزاب	٧٢	١٧٤
	سورة فاطر			
٢٩١.	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ...﴾	فاطر	٦	٢١٠
٢٩٢.	﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ ...﴾	فاطر	٢٨	١٣٤، ١٣٦
٢٩٣.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ...﴾	فاطر	٢٩	٧٨
	سورة الصافات			
٢٩٤.	﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾	الصافات	٤٠	١٢١
	سورة ص			
٢٩٥.	﴿... فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ...﴾	ص	٢٢	١٠٣
٢٩٦.	﴿... فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾	ص	٢٤	١٦٨
٢٩٧.	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	ص	٣٠	١٨٦
٢٩٨.	﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾	ص	٤٦	١٢١
٢٩٩.	﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	ص	٨٣	١٢١
	سورة الزمر			
٣٠٠.	﴿...وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ...﴾	الزمر	٧	١٣٨
٣٠١.	﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ...﴾	الزمر	٩	١٣٥
٣٠٢.	﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ ...﴾	الزمر	١٠	١٧٥
٣٠٣.	﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ ...﴾	الزمر	٢٤	٢١
٣٠٤.	﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ ...﴾	الزمر	٢٩	٣٨، ١٢٠
٣٠٥.	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ ...﴾	الزمر	٣٣	١٧٥

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٠٦.	﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ ...﴾	الزمر	٦٢	٣٥
	سورة غافر			
٣٠٧.	﴿... وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ...﴾	غافر	٥	٢٠٦
٣٠٨.	﴿...فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ...﴾	غافر	٧	١٢٦
٣٠٩.	﴿... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ ...﴾	غافر	٣٥	١٩٦
٣١٠.	﴿...فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾	غافر	٦٥	١٢١
	سورة فصلت			
٣١١.	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ ...﴾	فصلت	١٥	١٨٠
٣١٢.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى ...﴾	فصلت	١٧	١٨١
٣١٣.	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ ...﴾	فصلت	٣٠	١٩
٣١٤.	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ ...﴾	فصلت	٣٣	١٠٢
٣١٥.	﴿وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ...﴾	فصلت	٣٤	١٤٩
	سورة الشورى			
٣١٦.	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ ...﴾	الشورى	٢٠	٩٣
٣١٧.	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ...﴾	الشورى	٣٨	٤٦
٣١٨.	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	الشورى	٤٢	١٩١
٣١٩.	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾	الشورى	٥٢	١٢٧
	سورة الزخرف			
٣٢٠.	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا...﴾	الزخرف	٢٢	١٩٨
٣٢١.	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾	الزخرف	٤٤	٨٠
٣٢٢.	﴿... مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ ...﴾	الزخرف	٥٨	١٣٥
	سورة الدخان			
٣٢٣.	﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُتَّبَعُونَ﴾	الدخان	٢٣	١٢٧

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٢٤.	﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا ...﴾	الدخان	٤١	١٢
٣٢٥.	﴿... وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾	الدخان	٥٦	٢١
سورة الجاثية				
٣٢٦.	﴿... وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى ...﴾	الجاثية	٢٣	١٣٦
٣٢٧.	﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا...﴾	الجاثية	٣٥	٢٠٩
سورة الأحقاف				
٣٢٨.	﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ...﴾	الأحقاف	٢١	١٧٨
سورة محمد				
٣٢٩.	﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ ...﴾	محمد	١٧	٢١، ٣٧، ٩٦
٣٣٠.	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ...﴾	محمد	١٩	١٣٤، ١٣٥
٣٣١.	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ...﴾	محمد	٢٢	١٧٣
٣٣٢.	﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ...﴾	محمد	٢٥	١٦
٣٣٣.	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ ...﴾	محمد	٢٨	١٤١
٣٣٤.	﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ...﴾	محمد	٣٧	٥١
سورة الفتح				
٣٣٥.	﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ...﴾	الفتح	٢٦	٢٣
سورة الحجرات				
٣٣٦.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ ...﴾	الحجرات	٣	٢٢
٣٣٧.	﴿...وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ ...﴾	الحجرات	٧	٢٠٠
سورة ق				
٣٣٨.	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ...﴾	ق	١٦	٩، ١٥، ٩٢
سورة الذاريات				
٣٣٩.	﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	الذاريات	١٨	١٥١

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٤٠.	﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	٥٦	٢٠٨
		سورة الطور		
٣٤١.	﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾	الطور	١٧	٢٧
		سورة النجم		
٣٤٢.	﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا ...﴾	النجم	٢٩	٢٠٩
٣٤٣.	﴿... فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾	النجم	٣٢	٤، ٧
		سورة الرحمن		
٣٤٤.	﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	الرحمن	٥	٩٠
		سورة الحديد		
٣٤٥.	﴿... وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ ...﴾	الحديد	٧	٥٣
٣٤٦.	﴿يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى ...﴾	الحديد	١٢	٤٨
٣٤٧.	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ...﴾	الحديد	٢٢	١٨، ١٤٠
٣٤٨.	﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ ...﴾	الحديد	٢٤	١٠٨
		سورة المجادلة		
٣٤٩.	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ ...﴾	المجادلة	٦	٩٢
٣٥٠.	﴿... وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	المجادلة	٩	٢٥
٣٥١.	﴿... يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ...﴾	المجادلة	١١	١٣٧
٣٥٢.	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ...﴾	المجادلة	١٩	٣٧
		سورة الحشر		
٣٥٣.	﴿...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ...﴾	الحشر	٩	٥١
٣٥٤.	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ...﴾	الحشر	١٠	١٢٩
٣٥٥.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ ...﴾	الحشر	١٨	٩٠، ٩٥

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الممتحنة				
٣٥٦.	﴿...إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	الممتحنة	٨	٨٦
سورة الجمعة				
٣٥٧.	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا ...﴾	الجمعة	٢	١٠، ١١، ٢٨، ١٧٠
٣٥٨.	﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ...﴾	الجمعة	٣	١٢٩
٣٥٩.	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ...﴾	الجمعة	٥	١٣٦
سورة التغابن				
٣٦٠.	﴿... وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ...﴾	التغابن	١٤	١٩١
٣٦١.	﴿... وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ...﴾	التغابن	١٦	٥١
سورة الطلاق				
٣٦٢.	﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	الطلاق	٢	٢٧
٣٦٣.	﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ...﴾	الطلاق	٥	٢٧
٣٦٤.	﴿...وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ...﴾	الطلاق	٦	٥٥
٣٦٥.	﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ...﴾	الطلاق	٧	٥٥
سورة التحريم				
٣٦٦.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ .	التحريم	٦	٢٣
٣٦٧.	﴿... إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي ...﴾	التحريم	١١	١٥٠
سورة الملك				
٣٦٨.	﴿... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ...﴾	الملك	٢	١٢٠
سورة القلم				
٣٦٩.	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم	٤	١٢٧، ١٣١
٣٧٠.	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	القلم	٣٤	٢٧

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
	سورة الحاقة			
٣٧١.	﴿... كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	الحاقة	٧	١٧٩
	سورة المعارج			
٣٧٢.	﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾	المعارج	١٩	٤٥
٣٧٣.	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	المعارج	٣٤	٤٥
	سورة نوح			
٣٧٤.	﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾	نوح	٢	١٥٨
٣٧٥.	﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	نوح	٣	١٦٠
٣٧٦.	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾	نوح	٥	١٥٧
٣٧٧.	﴿... وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا ...﴾	نوح	٧	١٥٨
٣٧٨.	﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا ...﴾	نوح	٧	١٩٨
٣٧٩.	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	نوح	٩	١٥٢، ١٥٨
٣٨٠.	﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا﴾	نوح	١٣	١٥٩
٣٨١.	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾	نوح	٢٢	١٩٣
٣٨٢.	﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ...﴾	نوح	٢٣	١٠٦
	سورة المدثر			
٣٨٣.	﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾	المدثر	١٦	١٩٢
٣٨٤.	﴿...هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ...﴾	المدثر	٥٦	٢١
	سورة القيامة			
٣٨٥.	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	القيامة	١	٩٠
٣٨٦.	﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	القيامة	٢	١٠، ١٤، ١٦، ٩٠
٣٨٧.	﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾	القيامة	١٤	٩١
٣٨٨.	﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾	القيامة	٢٠	٢٠٩

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٨٩.	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾	القيامة	٣١	٤١
سورة المرسلات				
٣٩٠.	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾	المرسلات	١	٩٩
سورة النبأ				
٣٩١.	﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾	النبأ	٣٦	٨٩، ٩٠
سورة النازعات				
٣٩٢.	﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾	النازعات	١٨	١١
٣٩٣.	﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾	النازعات	١٨	١٦٦
٣٩٤.	﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	النازعات	٤٠	١٠
٣٩٥.	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ ...﴾	النازعات	٤٠	٩
سورة عبس				
٣٩٦.	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾	عبس	٢٤	١٧١
سورة الانفطار				
٣٩٧.	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	الانفطار	٦	١٩٧
سورة الانشقاق				
٣٩٨.	﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	الانشقاق	٨	٩١
سورة الأعلى				
٣٩٩.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾	الأعلى	١٤	ب
سورة الفجر				
٤٠٠.	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾	الفجر	٦	١٧٩
٤٠١.	﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾	الفجر	٢٧	١٤، ١٩، ١٤١
٤٠٢.	﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾	الفجر	٢٩	١٩

مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الشمس				
٤٠٣.	﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾	الشمس	١	١١
٤٠٤.	﴿وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾	الشمس	٢	١١
٤٠٥.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾	الشمس	٩	٣، ٥، ٧، ٦٦، ١١٥، ١٥٣
٤٠٦.	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾	الشمس	١١	١٨٢
سورة الليل				
٤٠٧.	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾	الليل	١٧	١٥٢
٤٠٨.	﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾	الليل	١٨	١٥٢
سورة البينة				
٤٠٩.	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ...﴾	البينة	٥	٩٣، ١٢١، ١٢٣
٤١٠.	﴿... رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ ...﴾	البينة	٨	١٤٣
سورة التكاثر				
٤١١.	﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	التكاثر	٨	٩٣
سورة الماعون				
٤١٢.	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	الماعون	٤	٤٥
سورة الناس				
٤١٣.	﴿مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ﴾	الناس	٤	١٦

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

مسلسل	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١	(أول ما تفقدون من دينكم الخشوع...)	الحاكم	صحيح	١٢
٢	(اتّقوا النار ولو بشق تمرة...)	البخاري	صحيح	٢٠
٣	(اتقوا الظلم؛ فإنّ الظلم ظلمات...)	مسلم	صحيح	٢٦
٤	(...واتّق دعوة المظلوم...)	البخاري	صحيح	٢٦
٥	(اتّق المحارم تكن أعبد الناس...)	الترمذي	صحيح	٢٦
٦	(إنّ الحلال بين، وإنّ الحرام بيّن...)	مسلم	صحيح	٢٦
٧	(لَيْس الْغِنَى عن كَثْرَة الْعَرَض)	مسلم	صحيح	٣٢
٨	(أُمِرت أن أُقاتل النّاس حتّى يشهدوا...)	البخاري	صحيح	٣٤
٩	(إِذَا دُعِي أَحَدُكُم إِلَى طَعَام فَلْيُجِب...)	الترمذي	صحيح	٣٩
١٠	(أي العمل أفضل ؟ قال: الصلاة على...)	البخاري	صحيح	٤٢
١١	(إنّ أول ما يحاسب به العبد...)	الترمذي	صحيح	٤٣
١٢	(من تطهر في بيته ثم مشى...)	مسلم	صحيح	٤٧
١٣	(...والصلاة نور...)	مسلم	صحيح	٤٨
١٤	(أَمَرَنَا رَسُول اللَّه ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّق...)	أبو داود	حسن	٥١
١٥	(خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى...)	البخاري	صحيح	٥٦
١٧	(لغدوة أو روحة في سبيل الله...)	البخاري	صحيح	٦٦
١٨	(إنّ أول النّاس يُقضى يوم القيامة...)	مسلم	صحيح	٦٧
١٩	(الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل...)	البخاري	صحيح	٦٧
٢٠	(لا تُقبل صلاة بغير طهور...)	مسلم	صحيح	٧٠
٢١	(ما منكم من رجل يَقْرب وَضُوءَه...)	البيهقي	صحيح	٧١
٢٢	(أَلَا أَدُلُّكم على ما يَمْحو الله به الْخَطَايَا..)	مسلم	صحيح	٧١
٢٤	(إذا أتى أحدكم أهله...فليتوضّأ...)	ابن حبان	صحيح	٧١
٢٣	(إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود...)	مسلم	صحيح	٧٢
١٦	(اتقوا النار ولو بشق تمرة...)	البخاري	صحيح	٢٠، ٥٧
٢٥	(من قرأ حرفًا من كتاب الله...)	الترمذي	صحيح	٧٨
٢٦	(كلمتان خفيفتان على اللسان...)	البخاري	صحيح	٨١
٢٧	(خيار عباد الله الذين يراعون الشمس...)	العراقي	صحيح	٨٢

مسلسل	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
٢٨	(من كان آخر كلامه لا إله إلّا الله...)	أبو داود	صحيح	٨٢
٢٩	(دَع مَا يَرِيبُك إِلى ما لا يَرِيبُك...)	أبو داود	صحيح	٨٤
٣٠	(عليكم بالصدق، فإنّ الصدق يهدي...)	مسلم	صحيح	٨٤
٣١	(سبعة يظلهم الله في ظله...)	البخاري	صحيح	٨٦
٣٢	(إنّ المقسطين عند الله على منابر من...)	مسلم	صحيح	٨٧
٣٣	(إنّ من ورائكم أيام الصبر...)	الطبراني	صحيح	٨٧
٣٤	(... ما الإحسان؟ ...)	البخاري	صحيح	٨٨
٣٥	(اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حسابًا يسيرًا...)	ابن خزيمة	حسن صحيح	٩١
٣٦	(لا تزول قدما عبد حتى يُسأل...)	الترمذي	صحيح	٩٣
٣٧	(الكيّس من دان نفسه...)	الترمذي	حسن	٩٤
٣٨	(أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها...)	مسلم	صحيح	٩٧
٣٩	(انطلق إلى أرض كذا وكذا...)	مسلم	صحيح	٩٧
٤٠	(كان النبي ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في..)	البخاري	صحيح	٩٨
٤١	(اللهم إنّا نعوذ بك من شرور أنفسنا...)	النسائي	صحيح	٩٨
٤٢	(يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما...)	العراقي	حسن	٩٨
٤٣	(من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده...)	مسلم	صحيح	١٠١
٤٤	(فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه...)	البخاري	صحيح	١٠٢
٤٥	(ما تركت بعدي فتنة أضر على...)	البخاري	صحيح	١٠٣
٤٦	(عليك بذات الدين تربت يداك)	البخاري	صحيح	١٠٤
٤٧	(ما من مولود يولد إلّا على الفطرة...)	البخاري	صحيح	١٠٦
٤٨	(لا تطروني كما أطرت النّصارى...)	البخاري	صحيح	١٠٧
٤٩	(إياكم والغلو، إنّما أهلك الذين...)	ابن ماجة	صحيح	١٠٧
٥٠	(هلك المتنطّعون)	مسلم	صحيح	١٠٧
٥١	(إياكم والشّح، فإنّما هلك من كان...)	أبو داود	صحيح	١٠٨
٥٢	(... وأيّ داء أدوى من البخل...)	البخاري	صحيح	١٠٩
٥٣	(عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة...)	الترمذي	صحيح	١١١
٥٤	(إياكم والظن، فإنّ الظنّ أكذب الحديث..)	البخاري	صحيح	١١٦

مسلسل	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
٥٥	(لا يحل لرجل أن يهجر أخاه...)	البخاري	صحيح	١١٦
٥٦	(لا يبع الرجل على بيع أخيه...)	مسلم	صحيح	١١٧
٥٧	(أنا أغنى الشركاء عن الشرك...)	مسلم	صحيح	١٢٣
٥٨	(من تعلّم علمًا ممن يُبتغى به وجْهُ الله..)	أبو داود	صحيح	١٢٣
٥٩	(...وبُعِثْت إِلَى الْأَحْمَر وَالْأَسْوَد...)	الحاكم	صحيح	١٢٥
٦٠	(صلّوا كما رأيتموني أصلّي)	ابن حبان	صحيح	١٢٨
٦١	(خذوا عنّي مناسككم)	البخاري	صحيح	١٢٩
٦٢	(...والذي نَفْسي بيده، لو كان موسى...)	ابن أبي شيبة	حسن	١٣٠
٦٣	(من دعا إلى هدى، كان له من الأجر...)	مسلم	صحيح	١٣٠
٦٤	(اتّخذ النبي خاتمًا من ذهب...)	البخاري	صحيح	١٣١
٦٥	(...فَرَجع عُرْوَة إِلَى أَصْحَابه: ...)	البخاري	صحيح	١٣١
٦٧	(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من...)	مسلم	صحيح	١٣٦
٦٨	(لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه...)	البخاري	صحيح	١٣٦
٦٩	(ومن سلك طريقا يطلب فيه علمًا...)	ابن حبان	صحيح	١٣٦
٧٠	(اللهم أعوذ برضاك من سخطك)	مسلم	صحح	١٣٧
٧١	(من عادى لي وليًا فقد بارزني...)	البخاري	صحيح	١٣٨
٧٢	(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا...)	مسلم	صحيح	١٣٨
٧٣	(من قَال حين يَسْمَع الْمُؤَذِّن...)	مسلم	صحيح	١٣٨
٧٤	(ثَلَاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإِيمَان...)	البخاري	صحيح	١٤٠
٧٦	(...ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك..)	ابن حبان	صحيح	١٤١
٧٧	(اعبد الله كأنّك تراه...)	ابن حنبل	صحيح	١٤٢
٧٨	(إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت...)	ابن حبان	صحيح	١٤٣
٧٩	(أن تعبد الله كأنّك تراه...)	البخاري	صحيح	١٤٣
٨٠	(أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك...)	الأصبهاني	صحيح	١٤٤
٨١	(من وُقِيَ شرَّ ما بين لحييه، ورجليه...)	ابن حبان	صحيح	١٤٤
٨٢	(من حسن إسلام المرء...)	الترمذي	صحيح	١٤٤
٨٣	(مَثَلُ الْمُؤْمِنِين في تَوَادِّهِمْ...)	ابن حنبل	صحيح	١٤٦
٨٤	(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)	البخاري	صحيح	١٤٦

مسلسل	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
٨٥	(الأذى عن طريق المسلمين)	مسلم	صحيح	١٤٦
٨٧	(لن يجزي ولد والده حتّى يجده...)	العراقي	صحيح	١٤٧
٨٨	(...إنّي أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه...)	الطبراني	جيد	١٤٧
٨٩	(قدمت عليّ أمّي راغبة في عهد...)	أبو داود	صحيح	١٤٧
٩٠	(إنّي أردت أن أغزو فجئت أستشيرك...)	الحاكم	صحيح	١٤٧
٩١	(أنا الرحمن، وهي الرحم...)	ابن حنبل	صحيح	١٤٧
٩٢	(من سره أن يبسط له في رزقه...)	البخاري	صحيح	١٤٧
٩٣	(أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح)	الحاكم	صحيح	١٤٨
٩٤	(ما زال جبريل يوصيني بالجار...)	البخاري	صحيح	١٤٨
٩٥	(...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر...)	مسلم	صحيح	١٤٨
٩٦	(لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)	مسلم	صحيح	١٤٨
٩٧	(إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل...)	البزار	صحيح	١٤٨
١٠٧	(لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ...)	مسلم	صحيح	١٤٨
٨٦	(من استعاذ بالله فأعيذوه...)	أبو داود	صحيح	١٤٩
٩٨	(اللهُم آت نَفْسِي تَقْوَاهَا...)	مسلم	صحيح	١٧٠
٩٩	(يا معشر الشباب من استطاع منكم...)	البخارى	صحيح	١٧٢
١٠٠	(إن الله كتب الإحسان على كل شيء)	مسلم	صحيح	١٧٤
١٠١	(ليس منا من لطم الخدود وشق...)	البخارى	صحيح	١٧٥
١٠٢	(أربعة من العرب: وصالح وشعيب...)	البخارى	صحيح	١٨٤
١٠٣	(ذاك خطيب الأنبياء)	الحاكم	صحيح	١٨٤
١٠٤	(ما نقصت صدقة من مال)	مسلم	صحيح	١٩١
١٠٥	(من كظم غيظا وهو قادر على أن...)	أبو داود	حسن	١٩٢
١٠٦	(الْكِبْر بَطَر الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)	مسلم	صحيح	١٩٤
١٠٨	(الكبرياء ردائي، والعظمة إِزَارِي...)	أبو داود	صحيح	١٩٥
١٠٩	(ما من مولود إلّا يولد على الفطرة...)	البخاري ومسلم	متفق عليه	١٩٩
١١٠	(مثل الجليس الصالح والجليس السوء...)	البخاري	صحيح	١٩٩
١١١	(وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة ...)	البخارى	صحيح	٢٠٠

مسلسل	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١١٢	(تنكح المرأة لأربع...)	البخارى	صحيح	٢٠١
١١٣	(الرجل على دين خليله، فلينظر...)	الترمذي	حسن	٢٠١
١١٤	(انطلق إلى أرض كذا وكذا...)	مسلم	صحيح	٢٠٣
٦٦	(مَا ضَلَّ قَوْم بَعْد هُدًى كَانُوا عَلَيْه إِلَّا...)	الترمذي	صحيح	٢٠٦
١١٥	(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه...)	الترمذي	صحيح	٢٠٦
١١٦	(من كانت الآخرة همّه جعل الله...)	الترمذي	صحيح	٢١٠
١١٧	(إن الشيطان قعد لابن أدم بأطرقه...)	أحمد بن حنبل	صحيح	٢١١

ثالثًا: فهرس الأعلام المغمورين

مسلسل	العَلَم	الصفحة
١	أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي	٣
٢	محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل ابن منظور	٣
٣	محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب المرتضى	٣
٤	الحسين بن محمد، أبو القاسم الأصفهانى	٤
٥	يحي بن شرف الحوراني، النووي، الشافعي، أبو ذكريا	٤
٦	أبو الحسن علي بن محمد البصري، المعروف بالماوردى، الفقيه	٥
٨	أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي	٢٣
٩	كعب بن ماتع الحميري، اليماني، العلّامة، الحبر	٢٤
١٠	عبد الله بن جعفر بن العباس، ابن المعتز بن المتوكل بن المعتصم	٢٤
١١	زين الدين أبو الفضل العراقي المصري الشافعي	٨٢
١٢	محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري، زين الدين	١١٩

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

-أ-

القرآن الكريم

١. اتباع لا ابتداع، حسام الدين بن موسى بن عفانة، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م- بيت المقدس.

٢. الإحسان في تقريب صحيح بن حبان، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة- بيروت.

٤. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ط٢، ١٣٩٩ه-١٩٧٩م، دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٥. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي، بدون طبعة، ١٩٩٦م، دار مكتبة الحياة.

٦. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أبو عبد الله، حققه وقابله على أصوله: سمير الزهيري، ط١، ١٤١٩ه-١٩٩٨، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٧. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أبو عبد الله، حققه وقابله على أصوله: سمير الزهيري مستفيدا من تخريجات وتعليقات الألباني، ١٤١٩ه-١٩٩٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٨. أدب النفوس، أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي، ط١، دار الخراز، السعودية ودار بن حزم بيروت- لبنان.

٩. أرشيف ملتقى أهل الحديث-٤، نخبة من العلماء.

١٠. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١. الإسلام أصوله ومبادؤه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ط١، ١٤٢١هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية.

١٢. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط٩، ١٤٢١ه-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

١٣. الأصول العلمية للدعوة الفلسفيّة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ط٢، ١٣٩٨ه.

١٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
١٥. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة.
١٦. الاعتصام، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار بن عفان، السعودية.
١٧. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٨. انظر الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين.
١٩. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٤٢هـ-٢٠٠٣م، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
٢٠. الإيمان بالقدر، علي محمد محمد الصلابي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- ب-

٢١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ١٤٢٠ه، دار الفكر- بيروت.
٢٢. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ١٤٠٧ه-١٩٨٦م، دار الفكر.
٢٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- ت-

٢٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، دار الهداية.
٢٥. تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط٤، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، دار الفكر العربي.
٢٦. التحصين من كيد الشياطين، خالد بن عبد الرحمن الجريسي، بدون طبعة.

٢٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المبارك فوري، دار الكتب العلمية- بيروت.
٢٨. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، تقي أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط٢، ١٣٩٩ه، المطبعة السلفية- القاهرة.
٢٩. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٣٠. التعليقات الحسان على صحيح بن حبان، لابن حبان، تعليقات الألباني.
٣١. تفسير التستري، أبو محمد سهم بن رفيع التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٢. تفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ط ١٣٨٣ه، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.
٣٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، بدون رقم طبعة، ١٩٩٧م، مطابع أخبار اليوم.
٣٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي البصري، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٣٥. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن التميمي الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، ١٤١٩ه، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.
٣٦. تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: مكتبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ط١، ١٤١٠ه، دار ومكتبة الهلال- بيروت.
٣٧. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن أحمد السمعاني، تحقق: ياسر بن إبراهيم غنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض- السعودية.
٣٨. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط١، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.
٣٩. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١٤١٨ه، ط٢، دار الفكر المعاصر- دمشق.
٤١. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، ط١٠، ١٤١٣ه، دار الجيل الجديد- بيروت.
٤٢. تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، ١٩٨٩م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة.

٤٣. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣، دار التوحيد.
٤٤. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: بن الخطيب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية.
٤٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
٤٦. التوقيف على مهمات التعريف، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة.
٤٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلى اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
٤٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، مكتبة الإمام الشافعي- الرياض.

- ث -

٤٩. الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح بن عبد السميع، المكتبة الثقافية- بيروت.

- ج -

٥٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: د.عبد الله التركي، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام.
٥١. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ط١، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت.
٥٢. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ط٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة- بيروت.
٥٣. الجامع الكبير- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق بشار عواد معروف، ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٥٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، ١٤٢٢ه، دار طوق النجاة.
٥٥. الجامع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الأزدي الحميدي، د علي حسين البواب، ط٢، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م، دار ابن حزم- لبنان- بيروت.
٥٦. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م، دار الكتب المصرية- القاهرة.
٥٧. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين- بيروت.
٥٨. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن قيصر الأفغاني، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦، دار الصميعي.
٥٩. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، ط١، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م، دار المعرفة- المغرب.
٦٠. جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، ط١، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل عبد الموجود، ١٤١٨ه، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

- ح -

٦١. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط٤، ١٤٠١ه، دار الشروق- بيروت.
٦٢. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني.
٦٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد الأصبهاني، ط١، دار السعادة- ١٣٩٤ه- ١٩٧٤م.
٦٤. حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد، محمد بن عبد الله الغامدي، ط١، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة.

- د -

٦٥. دليل الحيران على مورد الظمآن، أبو إسحاق إبراهيم التونسي المالكي، دار الحديث- القاهرة.

٦٦. دعائم التمكين، حمد بن حمد الصاعدي، ط١٠١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٦٧. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد البكري الشافعي، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
٦٨. دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة.
٦٩. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- ذ -

٧٠. ذم الهوى، جمال الدين بن الفرج بن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

- ر -

٧١. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبى بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية- بيروت.
٧٢. الرد الوافر، محمد بن عبد الله بن مجاهد الشافعي، شمس الدين، تحقيق: زهير الشاويش، ط١، ١٣٩٣هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.
٧٣. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، بدون طبعة، دار الفكر- بيروت.
٧٤. رياض الأنس في بيان تزكية الأنس، إبراهيم محمد العلي، ط٢، ١٤٦٢هـ- ٢٠٠٥م، المملكة الأردنية الهاشمية.
٧٥. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ط٣، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، مكتبة الغزالي- دمشق.

- س -

٧٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر.
٧٧. سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.
٧٨. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

٧٩. السنن الصغرى= المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد الخرساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب.
٨٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.
٨١. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٨٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، ط: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، دار الحديث- القاهرة.
٨٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية.
٨٤. السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي – بيروت.

– ش –

٨٥. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد الزرقاني المالكي، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية.
٨٦. شرح المعلقات التسع، أبو عمرو الشيباني، ط١، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان.
٨٧. شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، ١٤٣٣هـ- ٢٠٠٣م.
٨٨. شرح المنهاج، ابن حجر الهيثمي، ١٣٥٧م-١٩٨٢هـ، المكتبة الجامعية الكبرى.
٨٩. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي الخرساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي حامد، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض.
٩٠. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، ط: ١٤٢٦هـ، دار الوطن للنشر، دار الرياض.

- ص -

٩١. صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباري، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٩٢. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، ١٤٢٢ه، دار طوق النجاة.
٩٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م، دار العلم للملايين- بيروت.
٩٤. صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط١، المكتب الإسلامي- بيروت.
٩٥. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي حسين المهدي، ٢٠٠٩م.
٩٦. صحيح الجامع الصغير وزياداته أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

- ط -

٩٧. طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد بن غيهب بن محمد، ط١، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م، دار الرشد، الرياض.

- ع -

٩٨. عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان الأشقر، ط٤، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م، مكتبة الفلاح، الكويت.
٩٩. عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ﷺ، عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي لدمشقي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م، دار الثقافة العربية، دمشق بيروت.
١٠٠. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط٣، ١٤٠٩ه- ١٩٨٩م، دار ابن كثير، دمشق.
١٠١. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، ط١، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م، مكتبة دار الزمان.

١٠٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

– ف –

١٠٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، ط١، ١٣٧٩ه، دار المعرفة- بيروت.

١٠٤. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ط١، ١٤١٤ه، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت.

١٠٥. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٧، ١٣٧٧ه- ١٩٥٧م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.

١٠٦. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، ط٢، ١٣٩٣ه/ ١٩٧٣م، مؤسسة الرسالة.

١٠٧. فقه العبادات على المذهب الحنبلي، الحاجة سعاد زرزور، بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٠٨. فقه العبادات على المذهب المالكي، الحاجة كوكب عبيد، ط١، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م، مطبعة الإنشاء، دمشق- سوريا.

١٠٩. الفكر الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي.

– ق –

١١٠. قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، أبواب الزهد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ.

١١١. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

١١٢. القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، ط٢، ١٤٢١هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.

١١٣. القول المفيد على كتاب التوحيد، الطبعة الأخيرة- ١٤١٣هـ، دار الوطن.

- ك -

١١٤. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، بدون طبعة، المكتبة العصرية.

١١٥. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٤١٧ه، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

١١٦. الكبائر، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، بدون طبعة، دار الندوة الجديدة- بيروت.

١١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله، ط٣، ١٤٠٧ه، دار الكتاب العربي- بيروت.

١١٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبو محمد ين عاشور، ط١، ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١١٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

- ل -

١٢٠. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر.

١٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، ط٣، ١٤١٤ه، دار صابر- بيروت.

- م -

١٢٢. مجلة البحوث الإسلامية، تأليف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٢٣. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

١٢٤. مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين محمد رشيد رضا وغيره من كتاب المجلة.

١٢٥. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرائي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

١٢٦. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، طبعة كاملة، دار الفكر.
١٢٧. مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، طبعة أخيرة- ١٤١٣ه، دار الوطن- دار الثريا.
١٢٨. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٢٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤١٨هـ.
١٣٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠، دار الكتب العلمية -بيروت.
١٣١. المستدرك للحاكم، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، حققه: محمد عبد المنعم رشاد، الناشر: مكتبة السنة- القاهرة.
١٣٢. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
١٣٣. مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، ط١، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، ١٩٩٦م، دار السقا، دمشق - سوريا.
١٣٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، بدون طبعة، المكتبة العلمية- بيروت.
١٣٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٠ه، دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٣٧. معترك الأقران، جلال الدين السيوطي، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٣٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

١٣٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى–أحمد الزيات–حامد عبد القادر–محمد النجار)، بدون طبعة، دار الدعوة.

١٤٠. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، ط٢، ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٣م، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة.

١٤١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩.

١٤٢. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.

١٤٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، حققه: صفوان عدنان الداودي، ط١، ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت.

١٤٤. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، ١٤٠٧–١٩٨٧.

١٤٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ص٤٢٤، ط١، ١٤١٠ هـ–١٩٩٠م، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف– المملكة العربية السعودية.

١٤٦. منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي الحضرميّ، ط٣، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، دار المنهاج – جدة.

١٤٧. منهج الإسلام في تزكية النفس، الدكتور أنس أحمد كرزون، ط٢، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، دار ابن حزم– بيروت.

١٤٨. المواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، دار الجيل–لبنان – بيروت.

١٤٩. الموسوعة الفقهية الكويتية، ج١٠، ص١٧٨، ط٢، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت.

١٥٠. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، ط١، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ١٤٢٠هـ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية–بيروت.

- ن -

١٥١.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط١، ١٤٠٤ﻫ-١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة-لبنان-بيروت.

١٥٢.نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع-جدة.

١٥٣.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن البقاعي، بدون طبعة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

خامسا: فهرس الموضوعات

الإهداء .... أ

شكر وتقدير ....ب

المقدمة .... ج

أولًا: أهمية الموضوع:..د

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع: ....د

ثالثًا: أهداف الدراسة والغاية منها:......................................د

رابعا: الدراسات السابقة:..ه

خامسا: منهج الباحث: ....ه

سادسا: خطة الدراسة:...و

الفصل التمهيدي: مفهوم تزكية الأنفس وعلاقتها بتقوى الله تعالى **١**

المبحث الأول: تزكية الأنفس، تعريفها، ماهيّتها، أهمّيتها ٢

المطلب الأول: تعريف تزكية الأنفس:.................................... ٣

أولًا: التزكية لغة: ٣

ثانيًا: الزكاة اصطلاحا:.. ٤

ثالثًا: الأنفس لغة: ٧

رابعًا: النفس اصطلاحا:... ٨

خامسًا: التعريف الاصطلاحي لتزكية الأنفس كمركب إضافي:....................١٠

المطلب الثاني: ماهية تزكية الأنفس: ١٠

المطلب الثالث: أهمية تزكية الأنفس: ١١

المبحث الثاني: الأنفس وعلاقة تزكيتها بالتّقوى ١٣

المطلب الأول: صفات الأنفس:..١٤

المطلب الثاني: التقوى لغة واصطلاحا: ٢٠

أولًا: التقوى لغة:...٢٠

ثانيًا: التقوى اصطلاحا: ٢١

ثالثًا: آراء السلف في معنى التقوى: ٢٣

المطلب الثالث: استعمالات التقوى في القرآن الكريم والسنّة:.......................٢٥

المطلب الرابع: علاقة تزكية الأنفس بالتقوى:..................................٢٧

الفصل الأول: وسائل تزكية الأنفس وأركانها وثمارها **٣٠**

المبحث الأول: وسائل تزكية الأنفس ٣١

المطلب الأول: الوسائل العامة لتزكية الأنفس:..................................٣٢

أولًا: التوحيد: ٣٢
ثانيًا: الصلاة والزكاة والإنفاق: ٣٩
ثالثًا: الحج والنسك. ٥٨
رابعًا: الجهاد في سبيل الله. ٦٥
خامسا: الوضوء والغسل والتيمم. ٧٠
سادسًا: اعتزال النساء في المحيض. ٧٥
المطلب الثاني: الوسائل الخاصة لتزكية الأنفس. ٧٧
أولًا: تلاوة القرآن والذكر: ٧٧
ثانيًا: الصدق والعدل: ٨٣
ثالثًا: المراقبة والمحاسبة والمجاهدة: ٨٨
رابعًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٩٩
خامسًا: الحذر من مكائد الشيطان ومجاهدته. ١٠٣
سادسا: أمراض القلوب ومعالجتها ١١٢
المبحث الثاني: أركان تزكية الأنفس وثمراتها ١١٨
المطلب الأول: أركان تزكية الأنفس ١١٩
أولًا: الإخلاص لله تعالى ١١٩
ثانيًا: الاتّباع: ١٢٤
ثالثًا: العلم: ١٣٢
رابعًا: الرضا بالله وعن الله ﷻ ١٣٨
المطلب الثاني: ثمرات تزكية النّفس: ١٤٣
أولًا: الرقابة على الأقوال والأفعال ١٤٣
ثانيًا: الارتقاء بالحقوق والمعاملات ١٤٥
ثالثًا: غفران الذنوب ورضا الله ١٥١
الفصل الثاني: نماذج تطبيقية في تزكية الأنفس في قصص الأنبياء عليهم السلام **١٥٦**
المبحث الأول: منهج أولي العزم من الرسل ١٥٧
المطلب الأول: منهج نوح عليه السلام في تزكية النفوس. ١٥٨
المطلب الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في تزكية النفوس ١٦٢
المطلب الثالث: منهج موسى عليه السلام في تزكية النفوس ١٦٥
المطلب الرابع: منهج عيسى عليه السلام في تزكية النفوس ١٦٨
المطلب الخامس: منهج محمد ﷺ في تزكية النفوس ١٧٠
المبحث الثاني: منهج أنبياء آخرين ١٧٨
المطلب الأول: منهج هود عليه السلام في تزكية الأنفس. ١٧٩

المطلب الثاني: منهج صالح عليه السلام في تزكية الأنفس. ١٨٢
المطلب الثالث: منهج لوط عليه السلام في تزكية الأنفس ١٨٤
المطلب الرابع: منهج شعيب عليه السلام في تزكية الأنفس ١٨٥
المطلب الخامس: منهج سليمان عليه السلام في تزكية الأنفس ١٨٧
المطلب السادس: منهج يوسف عليه السلام في تزكية الأنفس ١٨٩
الفصل الثالث معوقات تزكية الأنفس ١٩٠
المطلب الأول: الانتصار للنّفس ١٩١
المطلب الثاني: عدم الانصياع للحق ١٩٣
المطلب الثالث: الكبر والغرور ١٩٤
أوّلا: الكِبْر لغة واصطلاحًا: ١٩٤
ثانيًا: الغرور لغة واصطلاحًا ١٩٧
المطلب الرابع: العادات والتّقاليد السيّئة ١٩٩
المطلب الخامس: المكابرة والجدال العقيم. ٢٠٤
المطلب السادس: اتّباع هوى النّفس: ٢٠٧
المطلب السابع: حب الدنيا ٢١٠
المطلب الثامن: تزيين الشيطان. ٢١٢
الخاتمة ٢١٥
الفهارس العامّة ٢١٨
أولًا: فهرس الآيات القرآنية ٢١٩
ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية ٢٤١
ثالثًا: فهرس الأعلام المغمورين ٢٤٦
رابعًا: فهرس المصادر والمراجع ٢٤٧
خامسا: فهرس الموضوعات ٢٦٠
ملخص الرسالة باللغة العربية ٢٦٣
Abstract ٢٦٤

ملخص الرسالة باللغة العربية
المنهج القرآني في تزكية الأنفس

وتشتمل الرسالة على أربع فصول:

الفصل التمهيدي: مفهوم تزكية الأنفس وعلاقتها بتقوى الله.

وتحدّثت فيه عن تعريف تزكية الأنفس، وماهيّتها، وأهمّيتها، وعن صفات الأنفس، والتّقوى لغة واصطلاحًا، وآراء السلف في معنى التقوى، وإضافة التقوى في القرآن الكريم، وعلاقة تزكية الأنفس بالتقوى.

الفصل الأول: وسائل تزكية الأنفس وأركانها وثمارها.

وتناولت في البحث المجالات الآتية: وسائل تزكية الأنفس، حيث قمت بتقسيمها إلى قسمين، القسم الأول: الوسائل العامّة لتزكية الأنفس، أمّا القسم الثاني فكان بعنوان الوسائل الخاصة لتزكية الأنفس. ثم تحدّثت عن أركان تزكية الأنفس وثمراتها.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية في تزكية الأنفس في القصص عند الأنبياء عليهم السلام.

وقد تحدّثت فيه عن مناهج أولي العزم من الرسل، ومناهج أنبياء آخرين.

الفصل الثالث: معوقات تزكية الأنفس.

وقد تحدّثت فيه عن الانتصار للنفس، وعدم الانصياع للحق، والكبر والغرور، والعادات والتقاليد السلبية، والمكابرة والجدل العقيم، وهوى النفس، وحب الدنيا، وتزيين الشيطان.

ثم الخاتمة، والفهارس، وملخص الرسالة باللغتين العربية والانجليزية.

Abstract

The Koranic Methodology in Soul Purification

This dissertation includes four chapters as follows:

Introductory Chapter: Selves purification concept and its relationship wit Alla piety

It included selves purification definition, essence, importance, and selves characteristics. Polling ancestor scholars views about the concept of piety and connecting it with the holy Koran and its relationship with selves purification.

Constituents and its, First chapter: Methods of purifying souls outcomes

I tackled the following fields: methods of purifying selves classified into two sections; the first is about the general methods to purify selves and the second is entitled with the specific methods to purify selves. I further discussed the constituents and outcomes of selves purification.

The second chapter: applicable models about selves purification from peace be upon them ‹prophets stories

I discussed the models of firm will prophets (Noah, Ibrahim, Moses, Jesus, and Mohammed) as well as the models of other prophets in self-purification.

Third chapter: Obstacles of self-purification

I talked about soul triumph, arrogance, self-conceit, negative customs and traditions, unreasonable contention, self-love, life love, Satan temptation. At last, we moved to conclusion and indexes as well as abstract in English and Arabic.

End